



مجلة

اللغة العربية بالمنصورة

مجلة علمية محكمة



المشرف العام

أ.د/ محمد حسين حماد

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د/ صلاح عبد العزيز على

وكيل الكلية

١٩٩٩م

١٤١٩هـ

الجزء الأول

جامعة الأزهر



كلية اللغة العربية

بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

العدد الثامن عشر

الجزء الأول

المشرف العام
دكتور

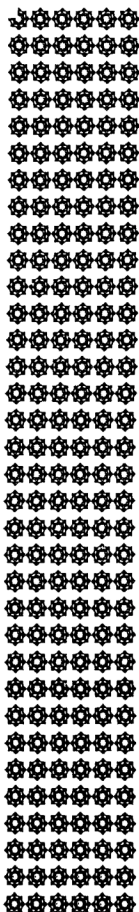
محمد حسين حماد

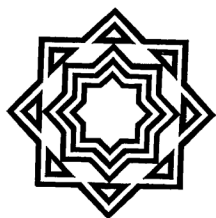
عميد الكلية

رئيس التحرير
دكتور

صلاح عبد العزيز على

وكيل الكلية ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م





بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

بقلم الدكتور / محمد حسين حماد

عميد الكلية

تواصل كلية اللغة العربية بالمنصورة عطاءها العلمي في مختلف تخصصاتها على نحو يخدم لغة القرآن الكريم . ويسهم في ثرائها ، وكشف دقائقها وأسرارها .

ففيها هو ذا العدد الثامن عشر من مجلتها العلمية يضم بحوثاً أدبية ونحوية ولغوية وتاريخية ، نشر أكثرها بعد إجازة من اللجان العلمية

فمن هذه البحوث ما يكشف عن أعلام شبيه مغفورين لم يأخذوا حظهم من الدراسة كساعده بن جؤية الهذلي ، والأديب الكاتب محمد صادق عنبر ، والنحويّ الأندلسيّ أبي عبد الله بن أبي العافية النحوي ، ومنها ما يكشف عن مسائل نحوية وصرفية ولغوية مثل (العامل والمعنى النحوي ، والجملة الخبرية بين البصريين والكوفيين ، واستخلاص الآراء النحوية والصرفية من عبارة ابن جني من خلال كتابة (الخصائص) ، والاستدراك على أبنية سيبويه في ضوء الواقع اللغوي ، وغير ذلك من المسائل والقضايا النحوية واللغوية التي تسهم في جلاء العربية وإبراز مكنونها .

ومنها ما يتعلق بالدراسات التاريخية مثل أضواء على حياة نصر بن سيار ، وولادة البصرة .

وقد وقعت بحوث هذا العدد من المجلة فى ثلاثة أجزاء كبيرة ، وختمت بتسجيل موضوعات البحوث العلمية التى قدمت إلى الكلية لنيل درجة التخصص (الماجستير) والعلمية (الدكتوراه) حتى تاريخ إخراج هذا العدد ، مما يوفر الوقت والجهد للباحثين فى مختلف كليات جامعة الأزهر .

وبعد

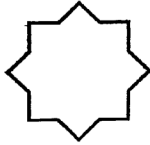
فهذه البحوث العلمية المتخصصة تسهم فى جلاء لغة القرآن، وتكشف عن عميقها ودقائقها ، وجواهرها ويواقيتها ، وتبرهن على ثرائها ، وقدرتها على استيعاب ما جدَّ وما سجدَّ فى الحياة الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، وصدق حافظ حين قال على لسان اللغة العربية :
وَسَعَتْ كُتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضَيَّقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضْيَقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمَخْتَرَعَاتِ

دكتور

محمد حسين حماد

عميد الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم



الحس القصصى

فى شعر

ساعدة بن جؤية

الدكتور

عبدالناصر محمد السعيد

الأستاذ المساعد فى كلية

اللغة العربية بالمنصورة



تقديم :-

الحس القصصى فى شعر الهذليين ، ظاهرة تحدث عنها كل من تعرض لدراسة الشعراء الصعاليك.

لقد تعرضوا لدراسة هذه الظاهرة عند هؤلاء الشعراء ، ثم نفذوا من وراء ذلك إلى الحديث عن شعراء هذيل ، ووجود هذه الظاهرة فى شعرهم . تعرض لذلك الدكتور يوسف خليف تحت عنوان "القصصية" فقال : " وشعر الصعاليك فى مجموعته ، شعر قصصى يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور فى حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التى تصلح مادة طيبة للفن القصصى" ^(١) ثم يشير بعد ذلك إلى أن هذه الظاهرة تتجاوز دائرة الصعلكة إلى شعراء هذيل " فقد اتخذ الهذليون فيه مذهباً قصصياً ، عماده حياة الحيوان الشارد فى أرجائها ، الممتنع فوق جبالها العالية ، يضربون به المثل على أن الموت يدرك كل كائن حتى مهما يكن بعده عن مواطن الخطر وامتناعه عليه . والصورة القصصية عندهم دائماً حيوان آمن فى سربه ، أو فى معقله ، ثم يتيح له القدر صائداً ، تارة يكون إنساناً ، وتارة يكون جارحاً من الطير يتربص به ، حتى إذا أمكنته الفرصة انقض عليه فأورده موارد الهلاك . ولكن من الحق أن نسجل أن هذه الظاهرة ليست مقصورة

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى .د. يوسف خليف ط ٢ دار المعارف

على شعراء هذيل ، ولكنها ظاهرة عامة عند الشعراء الهذليين وعند بعض الشعراء الجاهليين أيضا^(١) وقد أشار إلى وجود تلك الظاهرة أيضا عند الهذليين ، الدكتور عبد الحليم حنفى تحت عنوان "القصص والتصوير" مشيرا إلى أن الدارس لشعر الصعاليك لا يشك فى أن الذين أسسوا للقصة فى شعرنا العربى ، بل والذين وصلوا إلى مستوى القصة الشعرية الكاملة بمفهومها الفنى فى شعرهم ، هم الصعاليك ، ثم يضيف موضحا أن هذه الظاهرة ليست خاصة بالصعاليك ، وإنما تتعداهم إلى غيرهم من شعراء هذيل ، متفقا بذلك مع الدكتور يوسف خليف يقول :- وإذا كان شعر صعاليك الجاهلية قد وصل إلى هذا المستوى الذى نراه متكاملا بالنسبة للقصة الشعرية ، فإنه قد وضع أسسا كثيرة عريضة لما يمكن أن نسميه مبادئ قصص شعري . وقد وصل بعض هذه النزعة إلى درجة تقترب جدا من القصة القصيرة بكل مقوماتها الفنية التى يسمح بها الشعر ، ونجد هذا كثيرا فى قصائد شعر الهذليين^(٢).

ولم يكف الدكتور عبد الحليم حنفى برصد هذه الظاهرة فى شعر الهذليين ، ولكنه أشار إلى وجود معالم القصة من وصف وخوار وتحليل نفسى " وهو أدل على تأصل

(١) المرجع السابق ص ٢٧٩

(٢) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه د. / عبد الحليم حنفى . الهيئة المصرية

العامة للكتاب ص ٤١١

الاتجاه القصصى فى شعرهم ، لأن الشاعر فيه متعمد خلق الموضوع^(١) وكذلك أشار الدكتور على عبد الحليم محمود إلى أن ما تعارف عليه النقاد من خصائص تطبع كل قصة بطابعها ، ويتحتم وجودها فى كل عمل قصصى ، موجود فى القصة الجاهلية ، من حدث وسرد وبناء وشخصية وزمان ومكان وفكرة ، وقد طبق هذه العناصر وتلك الخصائص على بعض القصص الشعرى الجاهلى^(٢)

وقد دفعت تلك المقولات المتواترة عن القصة فى الشعر الجاهلى والهذليين بصفة خاصة ، دفعت الدكتورة مى يوسف خليف إلى حشد جهودها لدراسة العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى . وتحذث عن وجود الشخصية والحوار ، والحدث والعقدة والحل^(٣) ثم أتبعته هذه الدراسة بدراسة أخرى تحت عنوان " بطولة الشاعر الجاهلى وأثرها فى الأداء القصصى "^(٤)

(١) المرجع السابق ص ٤١٤

(٢) القصة العربية فى العصر الجاهلى د . على عبد الحليم محمود دار المعارف ط ٣١٨ ص ٢

(٣) العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى . د. مى يوسف خليف . دار الثقافة للنشر والتوزيع.

(٤) بطولة الشاعر الجاهلى وأثرها فى الأداء القصصى . د. مى يوسف خليف دار

وحتى هؤلاء الذين تحفظوا فى تطبيق العناصر القصصية على الشعر الجاهلى مثل الدكتور حسين نصار عندما قال " فمن الخطأ أن نبحث عن قصة تتمتع بالقواعد التى استخرجوها قبل هذين القرنين . ذلك فى أوربا مهد اللون القصصى . ولا شك أن الخطأ يزداد أضعافا حين تبحث عن قصة لها هذه القواعد فى أدبنا العربى القديم . ولا يعنى هذا أنه لم يعرف القصة القصيرة ، بل عرفها ، وأهدى العالم منها ما لا يزال موضع إعجابه وتقديره ، لكنها قصص لها شكلها وقواعدها الخاصة ، التى تطورت مع تطور الأدب العربى ذاته . فقد كان لأدباء العرب تصورهم الخاص للقصة القصيرة ، نثرية كانت أو شعرية . وهذا التصور يجب أن نضعه نصب أعيننا حين نعالج القصة العربية القديمة"^(١)

أقول حتى مع تحفظه على تطبيق تلك العناصر القصصية ، فقد تحدث عن القصص عند الهذليين ، واصفا القصة الشعرية عندهم بأنها قد بلغت أعلى مراتب التطور عند الشعراء الهذليين . فلم يقصروا جهودهم على الإشارة المومنة ، أو الخطوط الكبرى ، بل فصلوا القول فى أجزاء القصة جميعا . ووجهوا كل جزء إلى إبراز النهاية التى يريدون . فالرباط محكم بين التفاصيل ، والغاية موحدة ، والوصف

(١) مجلة العربى العدد ٢٥ كانون الأول ديسمبر سنة ١٩٦٠

حي^(١) وبهذا لم أجد - فيما وصلت إليه يدى من مصادر ومراجع - من معارض لوجود هذه الظاهرة.

ومن هنا كانت دراستى لأشعار الهذليين ، ممثلة فى "الحسن القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى ، وهو بحث مطبوع^(٢) . وهذا البحث الذى أتناول فيه " الحسن القصصى فى شعر ساعدة بن جؤية " ، ويتلوه - إن شاء الله - بحث يتناول بقية الشعراء الهذليين بالبحث والدراسة.

قصص ساعدة بن جؤية :-^(٣)

القصة الأولى وردت فى قصيدة له ، يتحدث فيها عن رحيل المحبوبة ، وترحل أهلها . وما أصابه من وجد وشوق لمحبوبته . وقد هيجه رؤيته للدمن والرسوم ، فأصبح سقيما يحتاج إلى عزاء ومواساة ، وقد اشتد وجده بها .

يقول فى مقدمة القصيدة:-

(١) كتاب العربى . آراء حول قديم الشعر وجديده . الكتاب الثالث عشر ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨٦ ص ٣٨ .

(٢) دار الانشاء للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) ترجم له محقق ديوان الهذليين الشيخ احمد الزينى ، فنكر أنه ساعدة بن جؤية أخو بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . ديوان الهذليين ط ص ١٦٧

أهاجك مغنى دمنة ورسوم لقليلة منها حوادث وقديم

عفا غير أرث من رماد كائنه حمام بالباد القطار جثوم

فإن تك قد شطت وفات مزارها فإنى بها - إلا العزاء - سقيم^(١)

هذه هي مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصيدة^(٢) . وقد

أتت فى ثلاثة أبيات

فرغ بعدها الشاعر لسوق قصته فقال :-

١- وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

٢- رآته على فوت الشباب وأنها تراجع بعلا مرة وتئيم

٣- فشب لها مثل السنان ميراً أشم طوال الساعدين جسيم

٤- وألذمها من معشر يبغضونها نوافل تأتيتها به وغنوم

٥- فأصبح يوماً فى ثلاثة فتية من الشعث كل خلة ونديم

٦- وقدم فى عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم

٧- بذات شدوف مستقل نعامها بأديارها جنح الظلام رضيع

٨- فلم ينتبه حتى أحاط بظهره حساب وسرب كالجراد يسوم.

(١) ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٨٨

(٢) أثبت فى بحثى " الحس القصصى فى شعر أبى زؤيب أن مقدمة القصيدة ، ما هى إلا تمهيد للقصيدة .

- ٩- فورك لنا لا يثمت نصله إذا صاب أوساط العظام صميم
- ١٠- ترى أثره فى صفحته كأنه مدارج شبثان لهن هميم
- ١١- وصفراء من نبع كان عداها مزعة تلقى الثياب حطوم.
- ١٢- كحاشية المحذوف زين ليطنها من النبع إزر حاشك وكتوم.
- ١٣- وأحصنه ثجر الطبات كأنها إذا لم يغيبها الجفير حجوم
- ١٤- فألهاهم باثنين منهم كلاهما به قارب من النجيع دميم
- ١٥- وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غربهن سجوم
- ١٦- فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم
- ١٧- فقامت بسبت يلعب الجلد وقعه يقبض أحشاء الفؤاد أليم
- ١٨- إذا أنزفت من عبرة يمتهم تسائلهم عن حبها وتلوم
- ١٩- فبينما تنوح استبشروها بحبها على حين أن كل المرام تروم.
- ٢٠- فلما استفاقت فجت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تعوم
- ٢١- وخرت تليلا اليدين ونعلها من الضرب قطاع القبال خذيم
- ٢٢- فما راعهم إلا أخوهم كأنه بغادة فتخاء الجناح لحوم
- ٢٣- يخفض ريعان السعاة كأنه إذا ما تنحى للنجاع ظليم
- ٢٤- نجاء كدر من حمير أبيدة بغائله والصفحتين كدوم

٢٥- يُرَنّ على قَب البطون كأنها ربابية أيسار بهن وشوم^(١)

أولاً عرض القصيدة :

هذه القصة تصور امرأة ، عاشت فى مجتمع ، أو فى بيئة تنظر إلى المرأة العقيم على أنها أرض قاحلة جرداء. وقد طال انتظار المرأة للولد فلم يأت. وطال أملها فى الحمل ولم تحمل . وراح القلق يسرى فى حناياها ، والشباب يدبر ويتقهقر ، وجذوته تخبو ، والشعر الأبيض يسرى فى رأسها سريان النار فى الهشيم ، وتئيم ، ويراجعها البعل وتئيم . وراح الخوف يدب فى عظامها ، ويسرى بين ضلوعها . والهمس يتمشى حولها . ويتحول الهمس إلى علن . والنظرات إلى تساؤلات تدور . والزوج مبغض لها ، نافر منها كاره لمعاشرتها . والصديقات يقدمن لها المشورة ، وهى تنفذ كل مشورة بحذافيرها . كم استمعت لنصائحهن ، وكم بذلت من أجل هذا الولد . ولكنه لم يأت . ومرت سنوات العمر ، فإذا هى عجوز شمطاء ينظر إليها زوجها فى استهانة ، ولا يأبه بها أحد . يالها من شجرة عتيقة لا تثمر ، ويالها من أرض قاحلة جرداء لا تنبت.

وهى على هذه الحال ، أحسته ، شعرت به يسرى فى تلك الأحشاء التى طال انتظارها . شعرت بالحمل . حملت وولدت رأتة على فوت الشباب وأنها ،

رأته على فوت الشباب وأنها تراجع بعلا مرة وتقيم

وشب هذا الولد لها . فتيا قويا محاربا جلدأ غنيدا ،
ويشمر برجاله إذا ما الحرب شب سعيها .

وعاد إلى المرأة زهوها ، واعتدل عودها بعد تقوس ،
وصار لها دورها ومكانتها بين قومها . وضحكت لها الأيام .
وعاشت سعيدة بهذا الفتى .

فشب لها مثل السنان مبرأ أشم طوال الساعدين جسيم
وألذمها من معشر يبغيضونها نوافل تأتيها به وغنوم

ومرت الأيام ، والقبيلة تتحدث عن شجاعته وبسالته
ونجده . إلى أن جاء هذا اليوم . يوم حمل فيه سيفه ورمحه
وعدة قتاله ، وسار في نفر من قومه ووسط هضاب طويلة ،
ووسط قلال الجبال وشماريخها ومرتفعاتها أحاط بظهره نفر
كثير (حساب وسرب كالجراد يسوم) . هي إذن المواجهة
الضارية .

فورك لنا لا يثتم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم^(١)

(١) في اللسان : ورك الذنب عليه ، حمله . وقد استشهد بهذا البيت وقال : واستعمله
ساعة في السيف ونصل صميم : أى يصمم في العظم وورك للضرب أى أماله
للضرب حتى ضرب به يعنى السيف (لسان العرب مادة ورك).

لقد حمل عليهم بسيفه ، بسيف لا ترد ضربته وكذلك
راح بقوسه وصوتها مثل صوت الرياح الشديدة التى تحطم ما
مرت به . لقد تحصن بعده هذه ودافع بها عن نفسه .

وأحصنه ثجر الظلمات كأنها إذا لم يغيبها الجفير حجيم

وسط هذا الجحيم المستعر ، سقط اثنان من العدو ،
والدماء تنزف منهما ، وشغل الباقي بهما ، فاهتبلها فرصة
وفر بعيدا عن المواجهة غير المتكافئة بينه وبين هؤلاء .

فألهاهم باثنين منهم كلاهما به قارب من النجيع دميم

وأما خليلاه فقد فرا ، فرا بعد رؤيته وقد أحيط به .
ودمعت العيون ، ولم يصدق كل منهما ما حدث . أصبح أنه
قد فقد ؟ ومن منهما يستطيع نقل الخبر إلى أمه ؟ وهل أحد
بمستطيع . الخطب جسيم ، والمصائب فادح على وحيد أمه
التي رأته على ياس وشماتة عدو ومهاناة عشير .

وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غريهن سجوم

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وبالها من لحظة قامت فيها الأم :-

قامت بسبت يلعب الجلد وقعه يقبض أحشاء الفؤاد أليم

قامت كما تقوم أى ثكلى فقدت وحيدها ، فعلت كما
تفعل ، وكما هى العادة ، عمدت إلى نعل من جلود البقر ، سيور من

الجلد ، قامت تلطم جلدها بالنعال لطمًا يحرق الجلد ويقطعه ،
لطمًا يقبض أحشاء القواد ، وأى فائدة لبقائها بعد ذهاب ولدها
؟ لقد عز عليها أن تبقى بعد فقد ولدها :-

إذا أنزفت من عبرة يمتهم تسألهم عن حبها وتلوم

مع كل عبرة من عبراتها يأتى السؤال لهؤلاء
الأصحاب ، ويأتى معه اللوم والتوبيخ والتفريع . كيف سولت
لهم أنفسهم الفرار ؟ وهل هم فى حاجة إلى لوم أو تفريع؟

إن دموعها لهى أقسى من السياط.

وبينما هى على هذه الحالة ، وبعد أن ألهمت نفسها
بسياط من نار ، وبعد أن كلت يدها وأدمت جسمها ، راحت
تنوح على ولدها ، راحت تئن وتتوجع وبينما هى على هذه
الحالة ، وبعد أن فت الخور و الضعف فى جسمها بشروها
بعودة ولدها سليما فى صحة وعافية :-

فلما استفاقت فجت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تقوم

فرقت الناس بيدها ، تقوم ، تسبح من على أكتاف
الناس ، تطير فى الهواء ثم خرت صريعة ضعفا ، وقد تحول
النعل إلى قطع صغيرة من إثر الضرب والولد يقدم على أمه ،
وسط روع الحاضرين فى صحة وعافية . يطرح الناس خلفه ،
ويتقدم نحو هذه الأم الملتاعة.

والبقية معروفة سجلها فى بداية قصته بقوله :

وما وجدت وجدى بها أم واحد .. على النأى شاطئ القذال عقيم

وبهذا ينهى الشاعر قصته وقصيدته فى آن واحد .

*رؤية فنية:

ربما كانت هذه القصة أقرب القصص الهذلى إلى
الكمال الفنى فى اكتمالها ، وفى نضجها الفنى ، ففيها العقدة ،
وفىها الحبكة ، وفيها الشخصيات النامية المتحركة ، وفيها
الحل والنهاية .

ونتحدث أولا عن :-

• ارتباط القصة بموضوع القصيدة:

وقد بين الشاعر وجه الارتباط بقوله :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد .. على النأى شاطئ القذال عقيم

ولقد ساق الشاعر فى بداية قصيدته رحيل المحبوبة ،
وكيف بكر أهلها بالرحيل ، وقد كان هذا دأبهم دائما ، فهم فى
لرحال دائم وهذا من سوء حظه .

لقد راح يفكر فيها ليلا ونهاره ، يرى صورتها أمام
عينيه ، ويؤرقه البرق من ناحيتها فيهيجها .

ثم يتذكر الأماكن التي رحلت إليها فى حنين وشوق .
ووجد لا يعدله وجد ولا وجد تلك المرأة العجوز التى رزقت
بولد على كبر ، ثم أخبرت بفقده ، ثم تبين كذب الخبر وعودة
ولدها فى صحة وعافية.

وهكذا نرى ارتباط القصة بمقدمة القصيدة وعدم
انفصالها عنها .

• الشخصيات فى القصة:

الشخصية الأولى فى القصة هى شخصية الأم . وقد
جاءت فى القصة بأبعادها مبسطة ، مرسومة واضحة.

فالبعد الجسمى لها أنها " شمطاء القذال" عجوز قد
شاب شعرها . وأدبر شبابها وغارت عيناها ، وانطفأ بريقها.

وأما البعد الاجتماعى - فى بيئة تعتمد على الولد ،
رأس مال المرأة وعزها وجاهها وسيادتها - فهو أنها لم
تنجب ، عقيم - ، تراجع بعلا مرة وتثيم . وقد راح زوجها
يعيرها بذلك . وراحت النسوة الأخريات ينظرن إليها
باستهانة "ألذمها من معشر ييغضونها"

وأما البعد النفسى ، وهو جماع ونتاج البعدين
السابقين ، فقد أصابها اليأس نتيجة لعدم الإجاب ، والفرحة
الطاغية عندما رزقت بولد ، وقد صار زينها ونصيرها .
ولطمها نفسها بنعل من الجلد حزنا على فقده.

كل هذا البعد النفسى ناتج عن البعد الجسمى والبعد الاجتماعى.

وأما شخصية الولد ، فهو مثل السنن مبرأ ، أشم طوال الساعدين ، جسيم هذا هو البعد الجسمى ، وهو عطوف على أمه ، حذب عليها ، وهو بعد نفسى.

* البيئة :

لقد صور الشاعر بيئة القصة أصدق تصوير . فهى بيئة جاهلية ، قوامها الولد . والمرأة إن لم تنجب فقدت قيمتها ، ولاقت من الهوان ما لاقت ، حتى من أقرب الناس إليها ، وأصبحت ولا قيمة لها . يلخص ذلك كله فى قوله " وألذمها من معشر يبغضونها " ومن ذا الذى يأبىه بشجرة جافة خاوية ، بل الشجرة الخاوية تنفع لإتضاع الطعام . وهذا هو الجو العام فى القصة . ثم تغير الجو العام بعد أن رزقها الله بالولد .

لقد تبدلت الإهانات إلى نواقل وغموم ، واعتدل العود بعد ذبول . يعكس ذلك قول الشاعر " فشَبَّ لها وألذمها من معشر يبغضونها " كأنه ما كبر إلا لها ، لإسعادها ، لعزها . هذا هو الجو العام بعد أن رزقت تلك المرأة بهذا الولد .

وقد ساق البيئة بما فيها من عادات كانت موجودة ، ومنها اللطم بالنعل أو بسير الجلد " فقامت بسبب يلعب الجلد وقعه "

والبيئة المكانية : تلك التى دارت المعركة فيها " عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم " هضاب طويلة ، وفيها نعائم - والنعائم جمع واحدته نعامة تبنى ويطرح عليها شئ من ثمام يستظل بها^(١) - هذه النعائم منها القائم ، ومنها المتكسر " بذات شدوف مستقل نعامها " شماريخ ورعوس الجبال ، شخوص بارزة ، قلل للجبال عالية وسط هذه البيئة المكانية المخيفة دارت المعركة وكان الحصار.

والزمان الذى دارت فيه المعركة هو " جنح الظلام "

الأحداث :-

تبدأ القصة بوصف عام لتلك المرأة ، وعدم إنجابها ، وموقف الناس منها ما بين شامت ، وما بين مهين لها . إلى أن يقع الحدث الكبير فى حياتها ، بعد أن كبرت وسيطر عليها اليأس ، فقد حملت وولدت . وهذا هو الحدث الذى حرك الشخوص فى كل اتجاه ، وغير مجرى الأحداث ، فإذا بالمرأة فى عز بعد ذل ، وإذا بزوجها يغير من معاملتها ، وإذا ببيتها يقصد لهذا البطل للغارات وغيرها .

ثم يأتى حدث آخر يضع هذه الشخصية ، وهذا المجتمع ، وتلك البيئة فى محك أخلاقى آخر . يأتى خبر موت هذا الشاب الفتى القوى .

(١) الديوان ج ١ ص ٢٢٩

وهنا نلمحها هي ، هي بمفردها "فقامت" فقامت بسبب
..... ثم يأتي الحدث الأخير بالحلّ والنهاية معا " استبشروها
بحبّها صحيحا"

الصياغة:

الطرق المستخدمة في القصة هي سرد الأحداث
بطريقة مباشرة ، يتحدث فيها الشاعر واصفا الأحداث
متناولا الشخصيات ، مخبرا عنها ، محللا لها.

وقد استعان الشاعر في تصويره لتلك الأحداث بالألفاظ
الموحية ، والصور المعبرة ، من مثل قوله : " شمطاء القذال"
" عقيم" و" فوت الشباب" و " مثل " " السنان " . وتأتى الصور
متلاحقة في قوله : " تراجع بعلا مرة وتئيم" فحياتها متأرجحة
لا تهدأ إلا ويعكرها عدم الإجاب . وفي قوله : " فشَبَ لها "
تصوير لهذا الولد ، وأنه ما شَبَ وما كبر إلا لإسعادها شَبَ
ليدافع عنها وينير حياتها ويرفع رأسها.

والتعبير بقوله : " ألذمها من معشر يبغضونها ، نوافل
تأتيها به وغنوم " يوحى بمدى قوّته ، وقهره للأعداء ،
فتحولوا من مبغضين إلى مؤدين فروض الولاء لهذه الأم
المسكينة.

وتصوير حال الأم بقوله :-

إذا أنزفت من عبرة يممّتهم تسألهم عن حبّها وتلوم

وتصويره لفرحتها بعد سماع خبر عودته:-

فلما استفاقت فجّت الناس دونه وناشّت بأطراف الرداء تعوم

ونلاحظ التركيز في الألفاظ . فمثلاً : " رأته على قوت
الشباب " هذه العبارة تستطیع أن تسوق تحتها قصة طويلة
من الانتظار ، ونصائح وتجارب مريرة ، تفشل واحدة تلو
الأخرى ، والشعرات البيضاء تتناثر فى قذالها ، وبريق العين
يخبو ، والظهر يتقوس ، وأخيراً رأته. فلغة السرد هنا مركزة
جداً.

النهاية :

النهاية هنا فى هذه القصة جاءت بغير الموت . جاءت
بنهاية سعيدة ، جاءت بالنجاة ، مع أن الموضوع فى هجر
المحبوبة . وساعدة بن جؤية له قصيدة أخرى ^(١) فى هجر
المحبوبة له ، جاءت النهاية بالموت ، فما الفرق بين
الموضوعين ؟ وما سر اختلاف النهايتين؟

هجر المحبوبة فى القصيدة التى جاءت نهايتها بالموت
، هجر غلقه اليأس ولقه انقطاع الأمل :-

(١) مطلع هذه القصيدة:-

هجرت غضوب وحب من يتحب وعدت عواد دون وإليك تشعب

الديوان ج ١ ص ١٦٧.

فاليوم إما تمس فات مزارها منا وتصيح ليس منها مأرب^(١)

وقد انعكس اليأس على نهاية القصيدة فكان الموت ،
وأما فى هذه القصيدة التى معنا فالأمل موجود ، والحببية وإن
كانت ترتحل كثيرا ، فإن البرق من ناحيتها يزوره ويورقه ،
والأمل موجود فى لقائها . ومن هنا فقد جاءت النهاية - على
ما شابها طوال القصة من ألم - جاءت مشرقة سعيدة

مقدمة القصيدة :

لقد أورد ساعدة بن جوبة فى هذه القصيدة ثلاثة أبيات
، ثم ساق قصته بعد ذلك فى خمسة وعشرين من الأبيات .
والباحث لابد وأن يسأل نفسه عن هذه المقدمة ، وما هو
دورها فى القصيدة ؟ . الموضوع فى هجر المحبوبة ، وفى
وجد الشاعر بها . فهل فرغ الشاعر بتلك الأبيات البسيطة من
عاطفته ، ثم بدأ فى سرد قصته على سبيل التسلية ؟ هذا ليس
بمعقول ولا بمقبول ، أن يفرغ الشاعر عاطفته وإحساسه فى
ثلاثة أبيات ، ثم يعمد إلى التسلية فى خمسة وعشرين بيتا بعد
ذلك . أما المعقول والمقبول فهو أن القصة هى القصيدة
، هى ما أراد أن يقولها الشاعر ، هى عاطفته
وفكرته . ويظل السؤال قائما : فما دور المقدمة ؟

(١) الديوان ج ١ ص ١٨٣ .

ونقول إن المقدمة بأبياتها تُعدّ تمهيدا للقصة^(١) . فهو يقول
لسامعيه : سأحدثكم عن تلك المرأة التى أحببتّها ، وتعلق قلبى
بها ، ورغم البعد عنها فأنا كلف بها ، ووجدى بها يشتغل
أواره يوما بعد يوم كنتك المرأة التى فقدت ولدها ووحيدها
..... إلى آخره .

صياغة جديدة للقصة :

موضوع القصة سهل^(٢) وتكمن الصعوبة فى خلق
الشخصيات وتحريكها وصياغة القصة . والصياغة شعرا
تضفى صعوبة أخرى لما فى الشعر من قيود النظم والبحر
والقافية والتركيز فى الألفاظ وغير ذلك كثير .

ومع هذا فقد صاغ ساعدة بن جؤية تلك القصة
السابقة ، صياغة جديدة ، بقافية مغايرة لقافية القصة الأولى
والألفاظ مغايرة لها أيضا ، وإن جاءت بعض شطرات الأبيات
بنصها .

من مثل قوله فى القصة التى معنا :

(١) استطعنا أن نثبت أن المقدمة فى القصيدة تمهيد للقصة ، وذلك فى البحث الذى

عنوانه " الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى "

(٢) (لو كانت القصة تقاس بحبكها وموضوعها لكانت الحوادث التى تسردها

الصحف كل يوم متفنتة فى عرضها ، قصصا فنية ولكنها بعيدة عن ذلك) .

القصة من خلال تجاربي الذاتية . عبد الحميد جوده العبحار ص ٨١ .

فشب لها مثل السنان مبرأ أشم طوال الساعدين جسيم

وقوله فى القصة الثانية :

فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادى دارها وأميرها

وقوله فى القصة التى معنا:-

فورك لنا لا يتمم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم

وقوله فى القصة الثانية :

فورك لنا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نذيرها

يقول ساعدة بن جؤية فى هذه القصة الثانية ، والتى
بدأها بمقدمة تشبه تماما مقدمة هذه القصة

أهاجك من غير الحبيب يكورها أجدت بليل لم يعرج أميرها

تحملن من ذات السليم كأنها سفائن يم تنتحيها دبورها (١)

إلى أن يصل إلى بداية قصته ، والتى تتشابه مع
القصة الأولى والتى يقول فيها :-

١- وتالله ما إن شهلة أم واحد بأوجد منى أن يهان صغيرها

٢- مرأته على يأس وقد شاب رأسها وحين تصدى للهوان عشيرها

(١) الديوان ج ٢ ص ٢١١

- ٣- فثب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادى دارها وأميرها
- ٤- عناش عدو لا يزال مشمرا برجل إذا ما الحرب شب سعيها
- ٥- تقدم يوما فى ثلاثة فتية بجداء نصب للغوازي ثغورها
- ٦- فبيناهم يتابعون لينتهوا بقذف نياف مستقل صخورها
- ٧- رأوا من قدى الكفين قدام عدوة محيطا به من كل أوب حضورها
- ٨- فورك لنا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نذيرها
- ٩- يزحزحهم عنه بنبل سنيئة يضر بحبات القلوب حشورها
- ١٠- فلما رأوهم يركبون صدورهم كبدن أياد يوم ثجت نحورها
- ١١- تملأ من تحت الطبات كأنه رداة إذا تعلق الخبر ندورها
- ١٢- بساق إذا أولى العدى تبدوا يخفض ريعان السعاة غويرها
- ١٣- وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا لا يريث همورها
- ١٤- ينيلان بالله المجيد لقد ثوى لدى حيث لا قى زينها ونصيرها
- ١٥- فقامت بسبت يلعب الجلد مارن وعز عليها هلكه وغورها
- ١٦- فبينما تتوح استبشروها بحبها صحيحا وقد فت العظام فتورها
- ١٧- فخرت وألقت كل نعل شراذما يلوح بضاحى الجلد منها حدورها

رؤية فنية :-

الموضوع فى هذه القصة هو الموضوع السابق .
والأحداث هى الأحداث ، والشخص هو الشخص ، وإن
اختلفت الصياغة ، وإن اختلفت الصور . فمثلا شخصية الأم
قد أخذت بعداً اجتماعياً أكبر فى القصة الأولى . ومع ذلك فقد
جاء الشاعر بصورة لطيفة عندما قال : " حين تصدى للهوان
عشيرها " فهى تشعرنا بأن الزوج جعل شغله الشاغل ،
وحرصه ودينه هذه المرأة " تصدى للهوان عشيرها "
فالعبرة تحمل فى طياتها كل أساليب الهوان . النظرات
الجارحة ، والأساليب الخارجة ، والتصرفات غير اللائقة .

لقد صورت فى القصة الأولى ، بأنها شمطاء القذال ،
وهى عقيم ، وهى تراجع بعلا مرة وتثيم . بعكس القصة
الثانية . فهى شهلة ، وقد شاب رأسها . والتعبير فى القصة
الثانية عن شجاعة الولد بأنه "عناش عدو" فهو معانق للأعداء
، كناية عن مداومة الحرب لهم . التعبير بذلك أضاف جديدا
عن القصة الأولى بالنسبة لشخصية الابن ووصف الابن أيضا
فى القصة الثانية بأنه " إمام لنادى دارها وأميرها " أضاف
لشخصيته بعدا جديدا .

وصورة الأم عندما بشروها بابنها قد بسطت فى
القصة الأولى عن الثانية .

وفى خلال هذه الموازنة بين القصتين نرى أن واحدة ربت وزادت على أختها بأحد عشر بيتا . مما أعطى الشاعر فرصة التصوير للمواقف والرسم للشخصيات ، مما جعلنا نقول إن الشاعر قد قال القصيدة الثانية فى بداية الأمر ، ثم نقحها وجودها وأضاف إليها مرة أخرى وغير فى معالمها حتى خرجت بهذه الصورة الجديدة.

وتبقى كلمة :

هذه القصة فى مجملها تصور المرأة فى الحياة الجاهلية ، ونظرة المجتمع إليها عندما لا تنجب . لقد ثارت المرأة قديما على هذا الوضع الاجتماعى ، عندما أُنجبت جارية ولم تلد غلاما فهجرها زوجها وهجر منزلها ، وصار يأوى إلى غير بيتها . فمرّ بخبانها بعد حول ، وإذا هى ترقصُ بنيّتها منه وتقول :-

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك فى أيدينا

وإتما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما ، حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبل بنيّتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة^(١)

(١) البيان والتبيين : ج ٣ ص ٥٨١ ط بيروت.

فهل كان ساعدة بن جؤية يعالج وضعاً اجتماعياً فى تلك الفترة المبكرة ؟ هل كان يبرزه ويجسده للناس ليتضح مدى الظلم الصارخ الذى يقع على كاهل المرأة التى لا تتجرب؟

هل نتزيد ، ونحمل النص ما لا يطيق ونقول : إنها قصة اجتماعية ، راحت تعالج مبكراً صورة المرأة التى لا تتجرب ، ومدى معاناتها ، وموقف المجتمع منها حتى نتعاطف معه هذه الإنسانية ؟ أميل إلى إثبات ذلك ولو اتهمت بالتزيد والمبالغة ، وإنطاق القصة بما ليس فيها فأننا أرى فى إلحاح الشاعر على هذه الصورة وسوقها فى قصيدتين مختلفتين ذلك الدافع الاجتماعى.

بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى :-

وقد عمد أبو ذؤيب الهذلى ، وقد كان راوية لساعدة ابن جؤية إلى القصة نفسها ، فصاغها فى قصيدة جديدة ، مشبهاً وجده بمحبوبته بوجد تلك الأم التى فقدت ولدها . وقد بدأها بمقدمة غزلية قال فيها :-

تؤمل أن تلاقى أم وهب	بمخلفة إذا اجتمعت ثقيف
إذا بنى القباب على عكاظ	وقام البيع واجتمع الأكوف
تواعدنا عكاظ للنزله	ولم تعلم إذا أنى خليف

فسوف تقول إن هي لم تجدني أخان العهد أم أثم الحليف^(١)

وواضح من هذه المقدمة أنه غير حريص على دوام هذه العلاقة ، غير متشبث بها ، قال لها ، مخلف لمواعيدها . فقد واعدته " أم وهب " بأن يلقاها في عكاظ ، حيث يجتمع الناس لشئونهم الكثيرة ، ولم تعلم أم وهب أنه سيخلف وعده ، وسيخلف عن مواعده ، ولعلها عند ذلك تتحير ، متسائلة عن سبب تخلفه " أخان العهد أم أثم الحليف " لقد عاهدها وأقسم لها فما الذي جعله يتخلف عن مواعده ؟

ثم يبدأ أبو ذؤيب في سوق قصته التي تشبه إلى حد كبير قصة ساعدة بن جؤية فيقول :-

- ١- وما إن وجد معولة رقوب بواحدة إذا يغزو تُضيف
- ٢- تنقض مهده وتذب عنه وما تغنى التمام والعكوف
- ٣- تقول له كفيتك كل شئ أهلك ما تخطنتي الحتوف
- ٤- أتيج له من الفتیان خرق أخو ثقةٍ وخريقٍ خسوف
- ٥- فبينما يمشيان جرت عقاب من العقبان خائنة دفوف
- ٦- فقال له وقد أوحى إليه ألا لله أمك ما تعيف
- ٧- بأرض لا أنيس بها بباب وأمسلة مدافعها خليف

(١) الديوان جـ ١ ص ٩٨

فقال له :-

- ٨- أري طيــــرا ثقالا تبشر بالغنيمة أو تخيف
- ٩- فألقى القوم قد شربوا وضموا أمام الماء ، منطلقهم نسيف
- ١٠- فلم يرغب عادية لزاما كما يتهدم الحوض اللقيف
- ١١- فراغ وزودوه ذات فرغ لها نفذ كما قد الحشيف
- ١٢- وغادر في رئيس القوم أخرى مشلشلة كما قد النصيف
- ١٣- فلما خر عند الحوض طافوا به وأبانه منهم عريف
- ١٤- فقال : أما خشيت - وللمنايا مصارع أن تخرقك السيوف
- ١٥- فقال : لقد خشيت وأنبأتني به العقبان لو أنى أعيف
- ١٦- وقال بعده في القوم إنى شفيت النفس لو يشفى
- اللهيف^(١)

وقد علق الدكتور حسين نصار على القصيدتين بقوله
: ولجأ أبو ذؤيب وساعدة إلى قصة واحدة أتيا بها لوصف ما
يشعران به من حزن . ولكنه ليس حزنا على ميت ، وإنما
على حبيب مفارق . وقد اتفقا في الخطوط الكبيرة للقصة ،
واختلفا في بعض التفاصيل وفي النهاية . ونستطيع أن نجعلها
في امرأة شابت وأوغل زوجها في العمر ، وفي هذه السن

أنجبت ابناً أحاطته بكل مظاهر الحب والرعاية ، حتى
شب جميلاً قوياً مبرأ من كل عيب . وخرج ذات يوم للغزو
ومع رفقة له ، فإذا بأعدائه يحيطون به من كل جانب ،
فراماهم بالنبل ، ثم طاعنهم بالرمح ، ثم ضاربهم بالسيف ،
وأخيراً طعن - عند أبي ذؤيب - فهجم على رئيس القوم
وطعنه ، وسقط الاثنان صريعين .

أما ساعدة فأنقذ بطل قصته عدواً على رجله ، فأعاد
الحياة والفرحة إلى أمه التي كادت تموت أسى عندما أبلغها
رفاقه بموته المظنون^(١) .

وليست هذه هي أوجه التلاقى والاختلاف بين
القصيدتين فقط . بل ليست هذه الخطوط الكبيرة بين القصتين
موضع اتفاق .

فقصة أبي ذؤيب قد بدأت بنهاية الأحداث ، ثم عاد إلى
سرد قصته مسلسلاً تطور الحوادث التي أدت إلى تلك
النهاية^(٢) . لقد بدأ أبو ذؤيب قصته بالأم وهي معولة على
ولدها الذي مات :-

(١) الديوان ج ١ ص ٩٩

(٢) آراء حول قديم الشعر وجديده . كتاب العربي . الكتاب الثالث عشره أكتوبر
لسنة ١٩٨٦ ص ٣٨ .

(٢) وهذه طريقة من طرق عرض القصة . وتسمى هذه الطريقة بالإنجليزية (فلاش
باك Flash Bake) القصة والرواية د/ عزيزة مريدن ص ٤١

وما إن وجد معولة رقوب بواحدھا إذا يغزو تضيف
ثم بعد هذه النهاية يذكر الأحداث التي أدت إلى النهاية
بقوله :-

تنفض مهده وتذب عنه وما تغنى التمام والعكوف
فالبداية عند أبى ذؤيب مختلفة عن البداية عند ساعدة
ابن جؤية .

وليست البداية فقط . ولكن ساعدة قد اهتم بقضية
الأم التي لا تنجب ، وأبرز ما تعانيه وما تلاقيه من هذا
المجتمع ، وبسط شخصيتها تبعاً لذلك . فهي مرة : شاب
رأسها ، ومرة : شمطاء القذال . ، ومرة : عقيم . وهي تراجع
بعلا مرة وتقيم . ، وهي من معشر يبغضونها . وهي تصدى
للهموان عشيرها . وقد رآته على فؤت الشباب ، وقد رآته على
ياس . هذا الفصل من القصة - قبل أن يأتى الولد - لا وجود
له فى قصة أبى ذؤيب . وهو موجود ومفصل ومبسوط فى
قصة ساعدة بن جؤية .

ويقابله فى قصة أبى ذؤيب إشارة أبى ذؤيب الخاطفة
إلى تلك العادة التى كانت موجودة وهى العيافة وزجر الطير .
فقد أشار إليها فى لحظة خاطفة عندما قال :-

فبينما يشيان جرت عقاب من العقبان خائنة دفوف

فقال له وقد أوحى إليه ألا لله أمك ما تعيف .

بارض لا أنيس بها يباب وأمسلة مدافعها خليف

فقال له : أرى طيرا ثقالا تبشر بالغنيمة أو تخيف

ولم يتعرض مساعدة في قصته لتلك العادة.

والولد في قصة مساعدة هو الحامى ، هو العنصر
الفاعل ، هو المؤثر والمدافع عن الأم والحامى لها . فهو "
شب لها" يحميها ويدافع عنها وهو "أكذمها من معشر
يبغضونها نوافل تأتيها به وغنوم " وهو " إمام لنادى دارها
وأما عند أبى ذؤيب ، فالأم هي العنصر الفاعل والمؤثر:-

تنفض مهده ، وتذب عنه ، تقول له كفيتك كل شئ
أهمك ما تخطتنى الحنوف ، ما بقيت على قيد الحياة كفيتك كل
شئ .

وقد اختلف العنصر الفاعل هنا بين القصتين لاختلاف
الدافع . فالمرأة المحبة عند مساعدة مرغوبة ومأمولة . ولذلك
جاء الذكر حاميا ومدافعا ومنقذا لها من إهانات القبيلة ،
ومخلصا لها . أما المرأة عند أبى ذؤيب فهي التى ستذهب إلى
عكاظ ، إلى الموعد ، وأبو ذؤيب سيخلف مواعده ، ولن يذهب
إلى هناك " ولم تعلم إذا أنى خليف " ولذلك فهي تقدم وتعطى ،
والذكر يخلف ويهرب . وجاءت القصة على هذا النمط " هي
ستذب عنه وهي ستكفيه كل شئ . ومع ذلك لا غرابة أبدا ، لا
غرابة أن يخذلها الذكر ، وأن يموت فى نهاية القصة ، أو من
بدايتها ، ليقبجها فى ولدها ، كما فجعت محبوبه أبى ذؤيب فى
محبوبها ، ولا غرابة أن يحافظ مساعدة على حبه ، وأن يبقم

على الولد لأمه . واختلاف نهاية القصائد تبعاً لاختلاف
موضوعها يردُّ على كثير من الباحثين الذين قالوا إن نهاية
القصة واحدة مكررة ومعادة^(١)

القصة الثانية :-

"نهاية العمر"

تقديم :-

هذه قصة أخرى لساعدة بن جؤية ، تحدث فيها عن
مرحلة من أخطر مراحل عمر الإنسان ، وهى مرحلة الشيب
والهرم.

وقد مهد لقصته ، أو على الأصح مهد لقصصه الذى
أورده فى تلك القصيدة عن الشيب والهرم بمقدمة فى سبعة
أبيات ، صور فيها حالة مع الهرم وجفاف أيامه وما يعانى به
فقال :-

ياليت شعرى ألا منجى من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم
والشيب داء نجيس لا دواء له للمرء كان صحيحاً صائب القم
وسنان ليس بقاض نومة أبداً لولا غداة يسير الناس لم يقم

(١) القصة الشعرية . د / عزيزة مريدن ص ٣٢

إن تأتته في نهار الصيف لا تره إلا يجمع ما يصلى من الحجم
حتى يقال وراء البيت منتبذا قم لا أبالك سار الناس فاحترم
فقام ترعد كفاه بمجنه قد عاد رهبا رذ يا طائش القدم
هكذا يتحدث ساعدة بن جؤية عن فترة الضعف
والوهن في عمر الإنسان ، ويصور ما يعانيه من سقم و ألم
وضعف في الحركة ، ووهن في المناكب والمفاصل ، وما
شابه ذلك . ثم بدأ في سرد قصته ، فساق ثلاثة نماذج ، الأول
منها يصور حياة وعل من الوعول :-

(١) قصة الوعل :-

- ١- تأله يبقى على الأيام ذو حيد أدفى صلود من الأوعال ذو خدم
- ٢- ياوى إلى مشمخرات مصعدة شم بهن فروع القان والنشم
- ٣- من فوقه شعف قر وأسقله جى تنطق بالظيان والعتم
- ٤- موكل بشدوف الصوم ينظرها من المغارب مخطوف الحشا زرم
- ٥- حتى أتيج له رام بمجدلة جشء وبيض نواحيهن كالسجم
- ٦- فظل يرقبه حتى إذا دمست ذات العشاء بأسداف من الغسم
- ٧- ثم ينوش إذ اد النهار له بعد الترقب من نيم ومن كتم
- ٨- دلى يديه له سيرا فالزمه نقاحة غير ابناء ولا شزم

٩- فراغ منه بجانب الريد ثم كبا علي نضى خلال الصدر منحطم^(١)

هذه قصة من ثلاث قصص ساقها ساعدة فى قصيدته ،
لي رسم بها صورة الشيب والهزم . وتبدأ القصة بمطلعها المعهود
عند الهذليين " تالله يبقى على الأيام " أى لا يبقى على الأيام .
ويطل هذه القصة " ذو حيد " أدفى صلود من الأوعال ذو حزم
" بطلها إذن وعل من الوعول ، قرونه ملتوية ، قد احدويت
ومالت على ظهره . يعيش وحيدا منفردا ، فى يديه بياض .
يعيش فى المرتفعات العالية ، وسط تلك الأشجار التى يتخذ
منها القسى .

وهو فى هذه المرتفعات يحس بالبرودة الشديدة من
فوقه ، ومن تحته مناقع الماء وأشجار الزيتون البرى وغير
ذلك .

وهو فزع خائف يرقب فروع الأشجار يحسبها صائدا ،
وهو طائر اللب مشعوف الفؤاد .

موكل بشدوف الصوم ينظرها من المغارب مخطوف
الحشازرم^(٢)

لقد ظل على هذه الحال فى أعالي الجبال ، حتى أتيج
له صائد بنصاله وسهامه . ظل هذا الصائد يرقبه ، حتى إذا

(١) الديوان ج ١ ص ١٩١ الصوم شجر . المغارب .

(٢) للشدوف : الشخص . الصوم : شجر المغارب : كل مكان يتوارى فيه زرم :
قطع

كانت سدفة الليل ، وأرعى الليل سدوله ، رماه من فوقه فأصابه . ونفذ السهم حتى خرج من جنبه ، ونضخ الدم ، وراغ الوعل بسهمه ودمه إلى حرف الجبل ، ثم كبا وقد دخل السهم بين الضلوع .

رؤية فنية :-

علاقة القصة بموضوع القصيد :-

موضوع القصيد كما عرفنا من المقدمة ، يرسم صورة للشيب والهزم وقد صاحبها الوهن والضعف . وقد جاءت القصة لتؤكد ارتباطها بالموضوع

-فالمقدمة كما قلنا ما هي إلا عنوان للقصة . كأنه يقول :
سأحكى لكم قصة عن الشيب والهزم ، وما يصاحبها من ضعف ، ثم يسرد قصته .

وقد اختار بطل قصته وعلا من الوعول ، تحنى قرنائه على ظهره وقد احدوبت ومالت ، يعيش منفردا "صلودا" (١)
أوظفته ببضاء ، ذو حزم. هذه الصفات لم تذكر عثا ، وإنما

(١) وقد فسر شارح الديوان "صلود" بمعنى يصلد يرجله ، أى يضرب بها على الصخرة فيسمع لها صوت . وعلق محقق الديوان على هذا بقوله : فسر في اللسان "الصلود" بأنه المنفرد . وأنشد هذا البيت ، ولم يذكر الصلود بالمعنى الذى ذكره الشارح هنا . الديوان جـ ١ ص ١٩٣ أقول إن سياق القصة يؤكد صحة ما ذهب إليه المحقق

ساق الوعل بهذه القرون التى طالت ، وانفراده فى أعالى الجبال ،
وقد ابيضت أوظفته بما يرمز أو يشير إلى الشيب ، وقد عبّر عنه فى
المقدمة ، وصوّر بغضه له بقوله :

والشيب داء نجيس لا دواء له للمرء كان صحيحا صائب القحم^(١)

أعتقد أن هذه هى صورة الشيب والهرم فى القصة .
ومع انفراده ، فهو يأوى إلى أماكن مرتفعة ، موغلة فى
الارتفاع ، فهى مشمخرات مصعدات شُمّ بها أشجار عالية .
من فوقه رعوس الجبال بما تحمله من برد شديد وأسفله جفار
المياه ، وأشجار الزيتون ، وما يشبه النسرين .

هو فى هذا المكان حيث البرد الشديد ، والأشجار
العالية ، غير مطمئن .

إنه يسيطر عليه الخوف ، ينظر إلى أعلى فلا يرى
سوى رعوس الجبال ، وينظر إلى أسفل فلا يرى إلا بقايا
الماء فى الأجفار . وأين هو ؟ فى أعلى ؟ فى أسفل ؟ . إن
الشاعر قد قصد تصويره على هامش الحياة . على هامش
الجبل . إنه الشيخ الهرم الخائف المترقب ، مخطوف الحشا .

وظل كذلك حتى أتى له قدره . أتى له رام بمجدلة
فأعطاه سهما أطبقت عليه الضلوع.

(١) الديوان جـ ١ ص ١٩١ .

والقصة كما نرى مرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع القصيدة ، وهو الشيب والهزم والضعف الذى يوصل إلى الموت .

الشخصيات فى القصة :-

وهل فى القصة شخصيات غير هذه الشخصية الواهنة الضعيفة المنتظرة للموت؟ . وقد أجاد مساعدة بن جؤية فى رسم أبعاد تلك الشخصية ، وتصويرها . فقد تناول البعد الجسمى لهذا الوعل بما يعكس دوره فى القصة ، ويخدم القصة وينميها ويثريها . فهو وعل قد بلغ من الكبر عتيا . قروته ملتوية طويلة ، أوظفته بيضاء . هجر الدنيا وعاش وحيدا فى الحياة ، أقصد على هامش الحياة . يعيش فى شاهق الجبال بين برودة فى أعاليه ، وماء أجراف فى أسفله ، والبعد النفسى ناتج عن هذا البعد الجسمى . فهو يعيش منعزلا خائفا منكشأ ، يرقب فروع الأشجار يحسبها صائدا . لا يتحرك إلا إذا مال النهار للزوال .

ينوش بعض الأشجار ، ويتناول أوراقها .

أما الشخصية الثانية وهى شخصية الصائد ، فهى شخصية غائمة ، ليس فيها من وصف سوى أنه رام يحمل فى يده أدوات الرمى من سهام وغير ذلك .

البيئة :-

البيئة هنا تلك التى عاش فيها هذا الوعل ، هى الجبال الموغلة فى الارتفاع . وقد اختار مكانا تحت رعوس الجبال ، فكانت البرودة الشديدة من ناحية ، والأشجار التى لا تنبت إلا فى هذا المكان المرتفع (القان والنشم) (الصوم) وهى أشجار على شكل شخوص قائمة ، كريهة المنظر ، يقال لثمره رعوس الشياطين ، وليس له ورق ، وللصوم هذب ولا تنتشر أفنانه ، ينبت نبات الأثل ولا يطول طوله هذا بالنسبة للبيئة المكانية ، وهى بيئة فيها النبات الخالى من الورق وفيها رعوس الجبال الشاهقة ، وفيها القرّ والبرد الشديد وهى بيئة تساهم فى رسم جو القصة للشيب والهرم .

والبيئة الزمانية وقد تمثلت فى الوقت الذى اختاره

الصلاند :-

فظل يرقبه حتى إذا دمت ذات العشاء بأسداف من الغسم

فالبينة الزمانية هنا مظلمة . (دمست، العشاء) أسداف ، الغسم^(١) وحتى عندما ذكر النهار ، ذكره وقد آد ، وقد مال للزوال .

وهكذا نرى البيئة وقد خطط لها الشاعر لتخدم الجو العام فى

القصة.

٢٠

(١) دمت : التبت بالظلمة أسداف جمع سدف وهى الظلمة
الغسم : اختلاط الظلمة وهو غيب الليل وسواده

الأحداث :-

القصة تحكى الشيب والهزم . وهما نهاية الأحداث لا بدايتها . ولذلك لا نجد أحداثا فى القصة سوى حدث واحد . ونرى حركات بسيطة ضعيفة ، تلوح فى ضعف وتخاذل . فهذا الوعل " يأوى " وهى حركة خمول ، يأوى إلى مشمخرات . وهو "موكل " بشدوف الصوم ينظرها . وهو " ينوش إذا أد النهار له " بعد الترقب من نيم ومن كتم.

والحركة الأخيرة كانت عند موته "فراغ منه يجنب الريد ثم كبا " وهكذا حركات بسيطة ضعيفة واهنة.

وحتى حركة الصائد "فظل يرقبه " وليس هناك من حدث يحرك الشخص ويدفع القصة إلى نهايتها سوى تحرك الصائد " دلى يديه له سيرا فألزمه نفأحة " هذا هو الحدث الوحيد الذى يحرك الأحداث إلى نهايتها.

الصباغة والأسلوب :-

لقد صيغت القصة كلها بطريقة واحدة من بدايتها إلى نهايتها ، وهى طريقة السرد القصصى المباشر . واستخدم الشاعر الوصف فى قصته . وصف هذا الوعل والمكان الذى يعيش فيه ، وطريقة تحركه وتناوله لطعامه . ووصف عذة الرامى وروغان الوعل وكبوته . وجاءت بعض الصور البلاغية غير المتكلفة ، وإن كانت قليلة . من مثل قوله :-

من فوقه شعف قر وأسفله جى

وقوله :-

موكل بشدوف الصوم ، أد النهار

بين البداية والنهاية :

بدأ الشاعر قصته بقوله :-

"تالله يبقى على الأيام ذو حيد"

وهذه البداية القصصية تكررت كثيرا فى شعر الهذليين حتى صارت لازمة من لوازم القصة عندهم . إذا أراد الشاعر أن يحكى قصة بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على حدثائه " وهى ليست جملة خبرية أراد الشاعر أن يخبرنا بها عن نهاية قصته ، كما ظن صاحب كتاب " الرؤى المقنعة " عند ما قال معلقا على هذه البداية عند الهذليين " وهذه صيغة فاجعة تماما للحكاية لأنها تقدم النهاية سلفا^(١) . وهى ليست حكما على القصة أشار إليه الشاعر من البداية كما يقول الدكتور حسين نصار " وقد اعترف من قصص الصيد هذه شعراء بنى هذيل فأتوا منها بالقصص الرائع الباهر ، فقد اعتاد شعراء هذه القبيلة فى الرثاء خصوصا أن يحكو قصص الصراع العنيف بين العظيم القوى من الحيوان والطير وبين القدر . والنهاية المحتومة لهذا الصراع . فهم يفرون من مشاعرهم الخاصة إلى

(١) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى . كمال أبو ديب

المشاعر العامة . أو من حزنهم الفردى إلى سنة الطبيعة فى القضاء
على كل حى مهما بلغ.

وكانوا فى هذا القصص يصورون حياة ما يعالجون من
حيوان ، مع زوجته وعشيرته وما تتمتع به من رياض ، وما حظى
به من لهُو ، وما نعم به من سعادة . وفى أثناء ذلك يبدو القدر على
صورة صائد يرافق كلابه ، فتبدأ المطاردة ويشد الصراع وتسقط
القتلى.

ويُصرُّ الشاعر الهذلى على إهلاك الحيوان الذى يصفه فى
النهاية . لأن الفكرة كما يقول ساعدة بن جؤية :-

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه أبود بأطراف المناعة جلعد
ويكررها أبو ذؤيب :-

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

ويكررها صخر الغى ، وأبو خراش وغيرهما^(١)

ويَقْهَم من كلام الدكتور حسين نصار أن الشاعر قد أعطى
فكرته ، وهى إهلاك الحيوان منذ البداية . منذ أن قال "والدهر لا
يبقى على حدثانه . وهى فكرة تقترب مما قاله صاحب " الروى

(١) كتاب العربى "أراء حول قديم الشعر وجديده " الكتاب الثالث عشر ١٥ أكتوبر

المقنعة" وهو ما رفضناه فى بحثنا السابق "الحس القصصى فى شعر
أبى ذؤيب الهذلى" لأسباب عديدة منها :-

أن بعض القصص الهذلى قد بدأ بهذه البداية " والدهر لا يبقى
على حدثانه" ولم تأت النهاية بالموت ، وإنما أتت بالتشتت أو الضياع
أو ما شابه ذلك . وأن هذه البداية أصبحت لازمة عند شعراء هذيل .
إذا أراد الشاعر أن يبدأ قصة بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على
حدثانه " كما نبدأ الحكاية لأطفالنا بقولنا " كان يا ما كان "

وقد جاءت النهاية هنا فى هذه القصة بالموت ، وهى نهاية
طبيعية للشيب والهرم . فالنهاية جاءت متساوية مع موضوع
القصيدة .

(ب) قصة قطيع البقر :-

نص القصيدة :-

- ١- ولا صوار مذرّة مناسجها مثل الفريد الذى يجرى من النظم
- ٢- ظلت صوافن بالأرزان صادية فى ماحق من نهار الصيف محتدم
- ٣- قد أوبيت كلّ ماء فهى طاوية مهما تصب أفقا من بارق تشم
- ٤- حتى شأها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم ينم
- ٥- كأنّ ما يتجلى من غواربها بعد الهدوء تمشى النار فى الضرم
- ٦- حيران يركب أعلاه أسافله يخفى جديد تراب الأرض منهزم

٧- فأسادت دلجا تحيي لموقعه لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم

٨- حتى إذا ما تجلى ليلها فزعت من فارس وحليف الغرب ملئتم

٩- فافتنا فى قضاء الأرض يافرها وأصحرت عن قفاف ذات معتصم

١٠- أنحى عليها شراعيها فغادرها لدى المزاحف تلى فى نضوخ دم

١١- فكان حتفا بمقدار وأدركها طول النهار وليل غير منصود

عرض القصة :-

هذه قصة أخرى فى القصيدة نفسها ، وفى الموضوع نفسه ، تحدث فيها الشاعر عن قطع من البقر " صوار " أى والدهر لا يبقى على وعلا على صوار ، ولا على قطع من البقر (صوار مذاكرة مناسجها) ، مثل الفريد الذى يجرى من النظم ^(١) قطع من البقر ، تضرب الريح فى مناسجها البيضاء ، واقفة على ثلاثة أرجل عطشى فى يوم قائنظ (ظلت صوافن فى الأرزان صادية ، فى ما حق من نهار الصيف محتدم) قد منعت الماء ، وأصبحت طاوية ، إذا رأت برقاً توسمت منه المطر ، منعها الرماة من الحركة وحاصروها مكانها تبيت على الطوى .

(١) الصّوار : بكر الصاد وضسها : القطيع من البقر ، منسج الدابة ما بين مغرز العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب . أو ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق . مذاكرة قد ذريت بالمنرى . مثل الفريد أى كأنها فريد من بياضها . والفريد ما دور

حتى كانت ليلة برق فيها بارق فى الأفق ، فباتت تمنى
نفسها الأمانى ، وظل البرق طوال الليل على هذه الصورة ، يظهر
قليلا ويختفى . ويبرق من أعلى مرة ومن أسفل أخرى . وسار
القطيع ليلا متوجها جهة هذا البرق ، سار لا يلوى على شئ . فهو
إن لم يمّت من الصائد مات من العطش ، وسار لا يتعبه مشى ولا
تعوقه ظلمة .

فأسادت دلجا تحى لموقعه لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم^(١)

وأخيرا ، وبعد هذه الرحلة الشاقة طوال الليل ، وسط
الظلمة والأحوال ، انجلى الليل عن فارس بسيفه وقتاته ، فكان
الخوف والفرح ، وكان الهروب فى فضاء الأرض ، وكان العدو
والوثب ، وأصحرت وأقفرت ، والتفت الخيل والصائد حولها . ولم
يضيع الصائد فرصة . لقد أشرع على القطيع رمحه الطويل ، وغادر
القطيع وهو ينضخ بالدماء . فأخذت البقر نصيبها وأصابها قدرها
وحثفها .

رواية فنية :-

هذه هى القصة الثانية ، أو هى النموذج الثانى ، للشيب
والهرم . وهى تحكى عن قطع من البقر ، قد حاصره الرماة فى
مكان ما ، ليس به ماء ولا طعام .

(١) الامتداد : سير الليل . لم تنتشب : لم تحتبس

لقد أشرفت على الهلاك ، وظلت تتطلع إلى البرق لعل وراءه المطر ، علّه ينقذها من الهلاك . ولما ابتعد هذا البرق ، وابتعد معه الأمل فى المطر ، ضاع الأمل المنشود ، تحرك القطيع بحثاً عن الماء ، سار الليل كله ، حتى انبلج الصباح عن الخيل بفوارسها ، فكان هلاك هذا القطيع.

ونلاحظ أن القصة قد بدأت ، وقد بلغت الروح الحلقوم ، وصلت النهاية وهكذا الشيب والهزم . لقد بدأت القصة بالقطيع وهو محاصر ظمآن .

ولم ينس الشاعر أن يجعل مناسجها بيضاء ، كما جعل أرجل الوعول بيضاء من قبل وهو رمز الشيب وعندما أصاب الصائد القطيع أصابه بمقدار - فكان حتفاً بمقدار - وهكذا نرى الترابط الوثيق بين القصة وموضوع القصيدة.

الشخصيات :

شخصية قطيع البقر هنا لها معالم واضحة . فأجسادها بيضاء كالفضة ، ضربت مناسجها الريح ، حوصرت فى مكان ما بعد مطاردة الرماة لها . وقد طالعت وقففتها وحصارها حتى ذبلت "صادية" وهى تقف فى شدة الحر وقد منع عنها الماء.

ثم انتقل الشاعر إلى تصوير البعد النفسى للشخصية ، وهو انعكاس ونتاج البعد الجسدى ، فهى تنظر فى الأفق آملّة أن تلمح برقاً ، وأن يتحول هذا البرق إلى قطرات من الماء ، وهى فرحة

لرؤيتها برقاً ضعيفاً على بعد . وهى يائسة مغادرة عندما انهزم
البرق وتلاشى . وهى فى سبيل قطرة ماء لا تحس تعباً ولا وهناً .

الشخصية الأخرى وهى شخصية الصائد ، هى شخصية
ليست بذات بال ، فمعالمها غير واضحة ، وأثرها غير واضح أيضاً .
ولم لا ، والظماً كفيل بالنهاية ، ومرور الوقت يقتلها من الظماً بدون
صائد ولا غيره . فالصائد هنا فارس يحمل سهمه وقناته ، يتبع خطى
هذا البقر ، ومال عليها برمحه فأصابها قدرها .

الأحداث :

الأحداث هنا قليلة بالقياس إلى النموذج السابق . فالقصة
تبدأ بهذا الحصار لهذا القطيع من البقر فى مكان قفر ليس فيه
مقومات الحياة ، مما يوحي لنا أن الحصار قد سبقه مطاردة من
الرماة لهذا القطيع حتى ألجأه إلى هذا المكان الخالى من الحياة .
وقطيع البقر لم يرضخ لهذا الحصار ، وإنما هو يتطلع إلى السماء
آملاً أن تهطل ، ولم تكف بالتطلع إلى السماء ، ولكنها راحت تجرى
وراء هذا البرق . وتسير الليل كله بحثاً عن الماء . وهنا نرى
الأحداث فى هذه القصة نامية ومتطورة ومحركة للأحداث . فحصار
الرماة لها جعلها تطلب الماء ، وابتعاد البرق جعلها تطوى الليل بحثاً
عنه ، ليسلمها إلى الصائد ، فتفر منه إلى خيل أخرى فتلقى حتفها
الذى قدر لها

البيئة :-

البيئة هنا تخدم القصة . وقد وصف الشاعر البيئة المكانيّة والزمنيّة ، بما يساهم في رسم قصته . فهي قد حوصرت في الأركان ، وهى الأماكن العالية الخالية من المياه . والبرق الذى ظهر برق كليل موهن ، وعندما هربت من الخيل هربت فى قفاف . وهو غلظ من الأرض لا تجرى فيه الخيل .

وأما البيئة الزمنية فهي " ما حق من نهار الصيف " فأسادت دلجا" . حتى المرة الوحيدة التى انبلج فيها الظلام ، انبلج عن الخطر ، وظهر الفارس بعدته :-

حتى إذا ما تجلى ليلها فزعت من فارس وحليف الغرب ملتئم^(١)

(ج) جماعة الأنس :-

وهى النموذج الثالث الذى ساقه الشاعر فى قصته عن الشيب والهزم وقد بدأه بقوله :-
هل اقتنى حدثان الدهر من أنس

كانوا بمعيط لاوخض ولاقزم

كيدا وجمعا بأناس كأنهم

أفناد كيكب ذات الشق والخزم

يهدى ابن جعتم الأتباء نحوهم

لا منتأى عن حياض الموت والحمم

(١) الغرب : الحد . حليف اللسان : حدن اللسان ، حليف الغرب حديد الحد

يخشى عليهم من الأملك بالجة
من البوائج مثل الخادر الرزم
ذا جزاة تسقط الأحبال رهيبته
مهما يكن من مسام مكره يسم
يدعون حمسا ولم يرتع لهم فرع
حتى رأوهم خلال السبى والنعم
بمقربات بأيديهم أعتتها
خوص إذا فرعوا أدغمن فى اللجم
يوشونهن إذا ما نابهم فرع
تحت السنور بالأعقاب والحزم
فاشرعوا يزينات محربة
مثل الكواكب يساقون بالسم
كانما يقع البصرى بينهم
من الطوائف والأعناق بالوزم
يجدلون ملوكا فى طوائفهم
ضربا خراويل كالتشقيق فى الآدم
ماذا هنالك من أسوان مكتئب
وساهف ثمل فى صعدة حطم
وخضرم زاخر أعراف تلف
يؤوى اليتيم إذا ما ضن بالذمم
وشرجب نحره دام وصفحته
يصيح مثل صياح النسر منتحم

مطرف وسط أولى الخيل معتكر
كحل قرقر وسط الهجمة القطر
وحرة من وراء الكور واركعة
فى مركب الكره أو تمشى على جشم
يذرين دمعا على الأسفاد منحدر
يرفلن بعد ثياب الخال فى الردم
فاستديروهم فهاضوهم كأنهم
أرجاء هار زفاه اليم منثلهم
فحلزوا بأسارى فى زمامهم
وجامل كحريم الطود مقتسم^(١)

هذى هى القصة الثالثة ، أو النموذج الثالث للهدم
والشيب . وهو فى هذه المرة نموذج من البشر ، كانوا
يعيشون فى بلاد هذيل ، ما هم بلئام ولا بأنذال وكانوا أصحاب
عدة وعدد ، ولهم كتائب وجيوش ، تحربهم الكتائب وتنمى
إليهم أخبار الأعداء ، لا يصيبهم خوف ولا فزع ، وهم أعزة .
أصابهم العدو ، وياله من يوم ، وياله من إصابة .

ماذا هنالك من أسوان مكتب ، وساهف ثمل فى صعدة
حطم ، وخضد ثم وشرجب نحره دام وصفحته ، يصيح مثل
صياح النسر منتحم ، وحرة من وراء الكور واركعة ، يذرين

(١) ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٠٧

ودمعا علي الأشجار ، يرففن بعد ثياب الخال في الردم ^(١) تلك هي النهاية ، وهذا هو فعل الأيام ، وأثر حدثان الدهر .

رؤية فنيّة :

الأشخاص :

لقد رسم الشاعر صورة للأشخاص (لا وخش ولا قزم) ^(٢) .
فما هم بلنام ولا بأنذل . لهم كتائب وجيوش ، وتصلهم أخبار العدو ،
ويسميهم الناس بالحمس لعزهم ، وكذلك لا يغزون لعزهم وسمعتهم .
وهم أيضاً أوقفوا الخيل مقربات ، استعدادا للغزو ، وهذا يعكس البعد
الجسمي والنفسي للشخصيات في القصة ، وهو وإن كان بعدا غائما
، وغير محدد ، إلا أنه يخدم القصة ، فهؤلاء رغم عزهم وقوتهم لم
يمهلهم الدهر أيضاً .

معالم ضائعة :

لقد ذكر الشاعر في القصة أن هؤلاء القوم كانوا
يعيشون " بمعيط " وتقول كتب اللغة أن " معيط " موضع ^(٣)
وموضع ببلاد هذيل ^(٤) . هذا هو ما تخبرنا به المراجع .

^(١) أسوان : حزين . الساهف : العطشان . الخضارم . الواسع الخلق ،
الخاضرم : الأشراف . الشرجب : الطويل . الانتحام : تشبيه بالنفس من
الصدر . وارقة : أردفت فهي متوركة . ثياب الخال : بردد حمر فيها
خطوط خضر

^(٢) الوخش : الأتذل . القزم : اللنام

^(٣) لسان العرب : مادة عيط . ومعجم البلدان . المجلد الرابع جـ

ص ٢٩٠

^(٤) الديوان جـ ١ ص ٢٠٠

والذى لا شك فيه أن هذا المكان كان له من السمات الجغرافية ما يميزه عن غيره من الأماكن ^(١) من ناحية ، ويضيف إلى القصة جديدا من ناحية أخرى . فالشاعر لا يحدد الأماكن عبثا . وقد ضاعت هذه المعالم بالنسبة لنا ، وأصبحنا غير قادرين على تفسيرها .

الأحداث :

تبدأ القصة بوصف لهؤلاء الناس الذين يعيشون فى دعة ونعمة ، فى موضع من أرض هذيل ، لهم كتائب وجيوش كثيرة يخشى عليهم غيرهم ، ويحرسهم . يقربون الخيل ليكونوا على أهبة الاستعداد للحرب .

وبعد هذا الوصف لهم يأتى الحدث الأول فى القصة : فأشرعوا يزنيات محربة مثل الكواكب يساقون بالسهم لقد بدأوا فى القتال وسددوا أسلحتهم الغاضبة ، وكانوا يتساقون كنوس المنية ، وراح السيف يعمل هنا وهناك .

هذا الحدث عمل على تحريك الشخص لنتوالى الأحداث بعدها " يجدلون ملوكا فى طوائفهم ماذا هناك من أسوان مكتئب " شرجب نحره دام وصفحته يصيح " وهكذا تتوالى الأحداث المترتبة على الحدث الأول .

(١) فنحن الآن مثلا عندما نعرف أن شخصا يسكن فى أسوان ، أو فى الإسكندرية نتصور المناخ الذى كان يعيش فيه وانعكاس هذا المناخ عليه .

ونرى المرأة المرة وقد أخرجت من خدرها ، وهى متوركة مركب الكرة ، أو تمشى على جشم ، وتنظر دمعاً على الأسفار منحدرًا ، وهن فى الردم بعد أن كن يلبس البرد وغيره .

وهنا يأتى حدث آخر " فاستدبروهم " ويترتب على هذا الحدث " هاضوهم " كسروهم ودقوهم ، فسقطوا فى جرف هار ، ومروا بأسارى فى الحبال .

بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب :

لقد كان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية ، والذي لا شك فيه أنه تأثر بأستاذه بصورة ما . نلمح هذا التأثير فى قصيدته " العينية " تلك التى بكى فيها أولاده الذين تخرموا ^(١) . وهى تحمل ثلاث قصص ، أو نماذج أو أمثلة للدهر وحدثانه ، وما يصنع بهذه النماذج .

وساعدة بن جؤية كما رأينا يقدم فى قصيدته ثلاثة نماذج ، يقدم النموذج الأول فى صورة وعمل ، والثانى فى صورة بقروحشى ، والثالث فى صورة فارس . ومعنى هذا أن ساعدة قد قام بعرض نموذجين للحيوان ، ونموذج ثالث للإنسان .

(١) أشرت إلى هذه القصيدة بالتفصيل فى بحثى " الحين القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهنلى " .

وكذلك فعل أبو ذؤيب عندما قدم نموذجين للحيوان هما
: الحمار الوحشى والثور ، وقدم نموذجا للإنسان فى صورة
الفارسين .

ولا يقتصر الأمر على هذا التشابه الظاهر . ولكن
صفات الثور عند أبى ذؤيب " شبيب أفزته الكلاب - شعف
الكلاب الضاريات فواده ، فإذا يرى الصبح المصدق يفزع -
ويعوذ بالأرطى إذا ما شفه قطر ، يرمى بعينه الغيوب -
طرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع ، وهذه الصفات بعينها هى
صفات " الوعل " عند ساعدة بن جؤية . فهو " موكل بشدوف
الصوم ينظرها . وهو - مخطوف الحشازرم - وكذلك النموذج
الثالث ، نموذج الفارس عند أبى ذؤيب ، وقد التحم بالفارس
الآخر وصارا نموذجا واحدا . " فتناديا " ، وتواقفت خيلاهما "
- كلاهما بطل اللقاء - ، " متحاميين المجد " - عليهما
مسرودتان " كلاهما فى كفه يزينة " كلاهما متوشح ذا
رونق " فتخالسا نفسيهما بنوافذ " كلاهما قد عاش عيشة
ماجد " . وقد هلكا معا . الفارس والفارس الآخر وكذلك نرى
النموذج الإنسانى عند ساعدة بن جؤية ، وقد توازت وتساوت
القوتان . فالقوة الولى " لا وخش ولا قزم " كأنهم أفناد كبكب
" والقوة الثانية " بمقربات بأيديهم أعتها " يوشونهن إذا ما
نابهم فزع . وتختلط القوة الأولى بالقوة الثانية ، ويأتى
الضمير " فأشرعوا يزنيات محربة مثل الكواكب " ولا ندرى
من هم الذين أشرعوا ؟ ثم ، وبعد أن جدلوا ملوكا فى

طوائفهم ، وخضرم زاهر ، وشرجب ، وحرّة إلى آخره . بعد ذلك نجد قول الشاعر " فاستديروهم " . ولا ندرى أى فريق هو الذى استدير الآخر . من هنا نجد اختلاط القوتين ، وتساقى الموت عند الفريقين ، عند ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى .

وبمقارنة القصديتين نجد أبى ذؤيب وقد استفاد من ساعدة بن جؤية من ناحية ، وصهرته تجربة موت أولاده من ناحية أخرى ، فجاءت قصيدته أكثر نضجا . صورّ فيها حال أولاده فى النموذج الأول ، وصورّ حاله فى النموذج الثانى ، وصور من حوله من الناس فى النموذج الثالث .

يبقى أن نقول إننا اضطررنا لفصل هذه النماذج لدراستها ، ولكنها غير منفصلة عن بعضها ، بل تلفها كلها فكرة واحدة تتعاضد مع بعضها لتشكل الموضوع الذى قال من أجله الشاعر قصيدته . هذه الفكرة هى أن الدهر لا يبقى على أحد ، ضعيفا كان أو قويا ، وحيدا أو تحميه الكتابب المدججة بالسلاح .

القصة الثالثة

وهي تحت عنوان " غضوب "

وقد وردت هذه القصة في قصيدة تتحدث عن هجر تلك
المحبوبة " غضوب " له . وحالت الحوائل دون الاقتراب منها
، والتف حولها قوم حراس عليها ، حراس علي قتله ،
يكنون له البغض ، وهي تلج في الابتعاد . ومع ذلك ، ومع
تطاول الأمد ، ومع وقوع كثير من الآلام ، فما زال القلب يهيم
بها ، وينبض بحبها ، وينشغل بذكرها . ومع ذلك فهي لا تقبل
العتاب ، ولا ترجع عما هي فيه من بعد وهجر .

يقول ساعدة في مطلع هذه القصيدة :

هجرت غضوب وحب من يتحب

وعدت عواد دون وليك تشعب

ومن العوادي أن تفنك ببغضة

وتقاذف منها وأنت ترقب

شباب الغراب ولا فؤادك تارك

ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

هذه هي مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصة ، وواضح
أنه لا أمل عند الشاعر من عودة " غضوب " إليه ، فهي تلج في
البعد وتوغل في الخصام والهجر .

وقد ساق الشاعر قصته بعد هذه المقدمة الطويلة ،
والتي انتهت بقوله :

فالיום إما تمس فات مزارها منا وتصبح ليس فيها مارب

وإذن فقد وصل إلى حالة اليأس من مزارها ،
وأصبحت وليس فيها من مأرب . وقد ساق قصته فقال :
فألدهر لا يبقى علي حدثانه
أنس لفيف ذو طوائف حوشب
فى مجلس بيض الوجوه يكنهم
غاب كأشطان القليب منصب
متقارب أنسابهم وأعزة
توقى بمثلهم الظلام وترهب
فإذا تحومى جانب يرعونه
وإذا بجيئ نذيره لم يهربوا
بذخاء كلهم إذا ما نو كروا
يتقى كما يتقى الطلى الأجرب
ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى
مصع يكاد إذا يساور يكلب
بيناهم يوما كذلك راعهم
ضبر لباسهم الحديد مؤلب
تحميمهم شهباء ذات قوائس
رمّاة تأبى لهم أن يحربوا
من كل فج تستقيم طمرة
شوهاء أو عبل الجزارة منهب
خاظمى البضيع له زوافر عبلة
عوج ومتن كالجديلة سلهب
وحوافر تقع البراح كأنما

ألف الزماع بها سلام صلب

يهتز في طرف العنان كأنه

جذع إذا فرع النخيل مشدّب

فحبت كتيبتهم وصدق روعهم

من كل فج غارة لا تكذب

لا يكتبون ولا يكت عديدهم

حفلت بجيشهم كئائب أوعبوا

وإذا يجيئ مصمت من غارة

فيقول قد أنست هيجا فاركبوا

طاروا بكل طمرة ملبونة

جرداء يقدمها كميث شرجب

فرموا بنقع يستقل عصائب

في الجو منه ساطع ومكتب

فتعاوروا ضربا وأشرع بينهم

أسلات ما صاغ القيون وركبوا

من كل أظمى عاتر لا شأنه

قصر ولا رايش الكعوب مغلب

خرق من الخطى أغمض حدّه

مثل الشهاب رقعة يتلهب

مما يترص في الثقاف يزينه

أخذى كخافية العقاب محرب

لذ بهز الكف يعسل متنه

فيه كما عسل الطريق الثعلب

فأبَار جمعهم السيوف وأبرزوا
عن كل راقنة تجرّ وتسلب
واستدبروهم يكفنون عروجهم

مور الجهام إذا زفته الأريب ^(١)

عرض القصة :

تحكى تلك القصة عن جماعة كثيرة معتزة بنفسها ،
ملتفة متشابكة متماسكة ، متعاضة (أنس لفيف ذو طوائف
حوشب) ^(٢) تحميهم وتحرسهم كتائب مدججة بالسلاح ، كأنهم
أجمة الغاب من كثرتها إیکنهم غاب كأشطان القليب منصب ^(٣)
أنسابهم متقاربة ، فكلهم يضرب فى شرف تليد وعز رفيع
يخاف ويتقى جانبهم فلا يظلموا .

إذا تحاشى الناس جانباً وخافوه لخطورته ، رعوه
وأقاموا فيه ، لا يخافون إنذاراً ولا تهديداً (فإن تحومى جانب
يرعونه ، وإذا يجيئ نذيره لم يهربوا) يرهب جانبهم . فهم
ذو سورة وحدة ونظر سديد . وهو يحى من لجأ إليه . شديد
الماشية بالسيف ، إذا احتد أحد عليه استأسد واستكلب (ذو

^(١) الديوان حـ ١ ص ١٦٨

^(٢) الأنس : بالتحريك ، الحى المقيمون (لسان العرب مادة أنس)
والحوشب : المنقش .

^(٣) يكتهم : يسترهم . غاب : أجم . الأشطان . الحبال . القليب : البئر .
منصب : مركز وثابت .

سورة يحمى المضاف ويحتمى ، مصع يكاد إذا يساور
بكلب^(١) .

هذه هي صورة هؤلاء الناس ، فهل يتركهم الدهر هكذا
فى عزّة ومنعة ؟ لا يذ من تقلب الحال

لقد صبحهم عدو لا يقل عنهم شأنًا ولا قوة وعزّة
ومنعة . فعدوهم أيضاً جماعة ، يد واحدة ، يلبسون الدروع ،
تحميهم كتيبة مدججة بالسلاح ، شهباء من كثرة بياض
الأسلحة فى هذه الكتيبة . (راعهم ضير لباسهم الحديد
مؤلب تحميهم شهباء ذات قوائس رمّازة تأبى لهم أن
يحرّبوا)^(٢) . لها فروع تموج من كثرتها ، قائمة علي
حراستهم تأبى لهم أن يسلبوا .

ترى الطرق وقد طلعت منها كل دابة مشرفة غليظة
القوائم تنهب الأرض بأقدامها ، وأفراس ممثلة اللحم ، طويلة
المتن ، تقرر حوافره الأرض ، وقد ألفت الحافر تلك الحجارة
الشديدة ، يهتز من حدته فى لجامه ، كما يهتز جذع النخلة إذا
اعتلاها المشقّب .

(١) ذو سورة : ذو وثبة . المساورة : الوثوب والثورة (لسان العرب مادة
: وثب) والمضاف الماصق بالقوم . مصع : شديد الماشقة بالسيف .
يكلب . يغضب .

(٢) الضير : الجماعة الذى يغزون على أرجلهم . شهباء : بياض من
كثرة السيوف ذات قوائس : ذات فروع . رمّازة : كثيرة تموج من
كثرتها يحربوا : تؤخذ حريبتهم . وحرية الرجل ، ماله الذى يسلبه

من كل فج تستقيم طمرة
شوهااء أو عبل الجزيرة منصب
خاضى البضيع له زوافر عبلة
عوج ومتن كالجديلة سلهب
وحوافر تقع البراح كأنما
ألف الزماع بها سلام صلب
يهتز فى طرف العنان كأنه
جذع إذا فرع النخيل مشذب (١)

وبعد أن فرغ الشاعر من وصف قوة الفريقين ، أدار
المعركة بينهما . لقد تهيأت الكتيبة للقتال ، وأحسست بقرب
وقوعه ، وصدق حدسهم فى ذلك . توالى الغارات من كل
جانب ، غارات عديدة لا تحصى ، قد استجمعوا كل عدة .
يدعوهم الداعى إلى الغارات فيطربون إليها بكل طويلة مثبنة
جرداء . (طاروا بكل طمرة مليونة جرداء يقدمها كميث
شرجب (٢) .

(١) الطمر : الفرس الجواد . شوهااء : حديدة البصر ، (لسان العرب مادة : شوه) العبل : الضخم . الجزيرة : القوائم . خاضى البضيع . ممثلى اللجم . زوافر عبلة : وسطه ضخيم . متن ملهب : أى طويل مجدول . الزماع : ظلف الشاة والسلام : الحجارة . فرع النخيل : : علاها .
(٢) الطمرة : الطويلة . مليونة : فرس ملبون وليين ، قد ربى بالبن . جرداء : قصيرة الشعر . شرجب : طويل الجسم . كميث : لون ليس بأشقر ولا أدهم .

لقد رموا بغبار كثيف من أثر الخيل ، فإذا بهذا الغبار
من كثرتة يشكل سحابة فى السماء لا تبرح ، لقد تبادلوا
الطعنات ، وأشرعت الرماح ، رماح سمر تهتز دون عيب ولا
خور ، ولكنها مشدودة صلبة ، رماح لطيفة الحد تتلهب من
شدتها . فأبارت السيوف جمعهم ، وانكشفت الغارات عن
أسلاب من الظعائن ، وفر الجمع هاربا مدبرا ، عانوا فى
الأرض وانتشروا فيها ، كما هزت ريح الجنوب السحاب
فانتشرت فى الأرض .

رؤية فنية :

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :

لقد ساق الشاعر هذه القصيدة فى محبوبته " غضوب "
. أحبها وتعلق بها . ولم يلق منها سوى الصد والهجران
والبغضاء ، والرصد والحراس ، والنأى والرحيل . ومع تعلق
قلبه بها فقد وصل إلى طريق مسدود :

هجرت غضوب وحب من يتحبيب

وعدت عواد دون وليك تشعب

ومن العوادى أن تقتك ببغضة

وتقاذف منها وأنت ترقب

شباب الغراب ولا فؤادك تارك .

ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

ثم يروح يكشف عن أيامه الحلوة معها ، ويصفها
بالغزال الصغير ، غضيض الطرف . ويقيض به ما يعانيه من
وجد بعد وصفها ، وتذكر أيامها ، فيحلف بالأيامان العديدة أنه

يهواها . ويزجر قلبه عن التعلق بها لبعدها منالها . لقد يأس
من هذا النوال ، بعد مفارقتها وأهلها للديار :-
فاليوم إما تمس فات مزارها
منا وتصيح ليس فيها مأرب

وبعد هذا ، وبعد هذا اليأس من مزارها ، أو مأرب
فيها ، ساق قصته . ولذلك جات نهاية القصة بهذه الصورة ،
نهاية مقبجة مدمرة ، لكل الأتس الذي كان يعيشه هؤلاء
الناس . هذا من ناحية النهاية وموافقتها لموضوع القصيدة .

وشئ آخر ينبغي أن نلاحظه ، وهو وصفه لهذه
المجموعة من الناس وكيف كانت تعيش فى البداية :

فالدهر لا يبقى على حد ثانه
أنس لقيف ذو طوائف حوشب

فهم جماعة من الناس كثر " فى مجلس بيض الوجوه "
ولا أرى تبريرا لوصف الشاعر لهذه الجماعة بأنهم بيض
الوجوه ، لا أرى تبريرا لذلك إلا أنه وصف هذا الجمع وفى
ذهنه " غضوب " وكأنه يصف مجلسه هو . ونلاحظ أنه أعقب
هذا الوصف " بيض الوجوه " بقوله " يكنهم غاب كأشطان
القلب منصب " كأن هذا المجلس يحتاج إلى حراسة . وقد
ألمح قبل ذلك إلى الرقباء والحراس عند وصفها فى البيت
الثانى فى القصيدة بقوله :

ومن العوادي أن تقتك ببيغضة
وتقاذف منها وأنك ترقب

أى ترصد وتحرس . ومع أنه بدأ قصته بوصف هذه
الجماعة الكثيرة ، وتحدث من بداية قصته بصيغة الجمع "
بيض الوجوه " " يكتهم غاب " ، " متقارب أنسابهم " " أعزة "
، " فإذا تحومى جانب يرعونه " ، " بذخاء كلهم " ومع أن
القصة كلها تحكى عن جماعة من الناس وبصيغة الجمع ، فقد
جاء التعبير بصيغة المفرد مرة واحدة دون تقديم ولا تمهيد : "
ذو سورة : " ، " يحمى المضاف " ، " مصع يكاد إذا يساور
يكلب " . وليس هناك من تفسير لذلك سوى أن الشاعر وهو
يصف هذا الجمع ، ما كان يصف سوى جماعته وقد عرج
بالحديث عن نفسه دون تمهيد مسبق ، فوصف نفسه بأنه ذو
سورة إذا قاتل ، وبأنه يحمى من يلجأ إليه ، فهو شجاع كريم
، وإذا استغضب غضب .

والنهاية : فرقت السيوف جمعهم ، ثم ماذا : " أبرزوا
عن كل راقنة تجر وتسلب " كشفوا لهؤلاء المغيرين عن كل
راقنة - والراقنة : المرأة المتضمنخة بالزعران - أرأيت ماذا
فقد هؤلاء ؟ وبعد هذه الحرب الضروس فقدوا كل راقنة تجر
وتسلب . ما فقدوه هو ما فقد الشاعر ، وهو ما ساق
القصيدة من أجله . وهذا يوضح ارتباط القصة بموضوع
القصيدة .

الشخصيات :

الشخصية الأولى فى القصة ، هى شخصية الشاعر نفسه ، لأنها قصته ، قصة حبه الضائع ، قصة حبيبته التى ضاعت منه . فهو يصف نفسه . أولا . ولكنه يصف نفسه بقومه ، فهو جزء من كل ، هو من قبيلة كبيرة ، " أنس لفيف " ووسط قوم مدججين بالسلاح وأعزة ، ولا يخافون ، عظماء الشأن . ومع أن قبيلته بهذه الصورة ، ومع أنه قوى بقبيلته ، إلا أنه قوى بنفسه أيضا ، فهو ذو سورة ، ويحمى من لجأ إليه . فوصف القبيلة وتحديدها وصف للشاعر وتحديد له .

الشخصية الثانية :

هى الطرف المقابل . لنقل إنهم أهل "غضوب " محبوبته الذين انتزعوها منه ، واللذين حالوا بينه وبينها . وهم أيضا قد حدد صفاتهم . فهم جماعة كثيرة ، لباسهم الحديد والدروع . وهى جماعة مساوية تماما لجماعة الشاعر ، فكما أن جماعة الشاعر " يكنهم غاب كأشطان القليب " ،

فهذه الجماعة أيضا " تحميمهم شهباء ذات قوائس رمازة " ^(١) وهنا نلمح التوازي فى رسم شخصية أهل الشاعر ، مع شخصية أهل المحبوبة ونلاحظ هنا فى رسم الشخصيات ، أنها لا تقيم معلما واضحا لكل شخصية على حدة ، وإنما هذا

(١) ذات قوائس : لها فروع كثيرة . رمازة : تـوـج من كثرتها .

جمع كثير قوى ، قد التقى بجمع كثير قوى ، فمعالم الشخصيات هنا باهتة وغير واضحة .

الأحداث :

لا يوجد سوى حدث واحد فى هذه القصة ، شغل الشاعر نفسه به ، وهو ضياع المحبوبة من بين يديه . حالوا بينه وبينها . وتبدأ الأحداث فى التحرك بقول الشاعر :

بيناهم يوما كذلك راعهم

ضير لباسهم الحديد مؤلب

فقد راعهم وفجأهم جماعة أخرى . تتلو هذه البداية ركود وتوقف فى الأحداث لوصف هذه القوة التى راعتهم . ثم فتعاوروا ضربا واشرع بينهم

أسلات ما صاغ القيون وركبوا

وهنا دارت المعركة ، وليس فيها أحداث ولا كرو ولا فر ، ولا إقبال ولا إدبار ، وإنما ، وحتى فى أحداث المعركة ، نرى الشاعر قد شغل بوصف السيوف والرماح . ثم " فأبار جمعهم السيوف . وترتب على ذلك " أبرزوا عن كل راقنة تجر وتسلب " و " استدبروهم يكفنون عروجهم " (١) .

فالأحداث فى هذه القصة قليلة من ناحية ، وليس فيها تسلسل ولا نمو من ناحية أخرى .

الصياغة والأسلوب :

(١) العروج : الإبل الكثيرة .

اعتمد الشاعر هنا فى صياغة الأحداث على طريقة السرد الإخبارى للقصة من بدايتها إلى نهايتها . وقد اعتمد على الوصف والتصوير فى بعض المواقف ، وأكثر من التشبيه " غاب كأشطان القليب " ، " يتقى كما يتقى الطلى الجرب " ، " يهتز فى طرف العنان كأنه جذع إذا فرع النخيل مشذب " أخذى كخافية العقاب " واستدبروهم يكفنون عروجهم مور الجهام .

بين البداية والنهاية :

بدأ الشاعر قصيدته بقوله :

فالدهر لا يبقى على حدثانه

أنس لفيف ذو طوائف حوشب

وجاءت نهاية القصة بالإبادة والموت . وقد ذكرنا فى القصة السابقة أن هذا المطلع قد أصبح لازمة للهذليين ، غير مرتبط بنهاية القصة ، ولا مخبر عنها . وأن نهاية القصة مرتبط بموضوع القصيدة ، ويختلف باختلاف موضوعها .

ولما كان الشاعر قد ينس من وصل "غضوب" له ، فقد اختار هذه النهاية لهذا الأفس اللفيف .

خاتمة البحث

من خلال دراسة وتلمس الحس القصصى فى شعر ساعدة بن جؤية ، نستطيع أن نجمل النتائج التالية :

أولا : قصص ساعدة بن جؤية ، ليست فى الرثاء فقط ، ولكنها فى الرثاء ، والهجر والشيب والهم ، وفى موضوعات أخرى . فالقصة عند الشاعر ليست مرتبطة بالرثاء ولا قاصرة عليه .

ثانيا : القصة ليست صورة مكررة ومعادة ، حيوان يصاد ويقتل فى نهاية القصة . أبدا . ولكنها تأتى موضوعا لقصيدة ما ، وتعكس طبيعة هذا الموضوع ، وتأتى مرتبطة به . وقد تجاوز فيها الشاعر الحدث من حيث الملاحظة والشعور به إلى تشخيصه وتعميقه وتحليله ، بحيث نتخيله وقد أدرك البعد المأساوى للأحداث .

ثالثا : البيئة فى القصة ليست وصفا لجبال مر بها الشاعر فوصفها ، ولكنها مقصودة ، رسم الشاعر بها بيئة قصته ، تلك البيئة التى تخدم غرض القصة ، وتوظف من أجل خدمة الموضوع ، وتختلف بيئة القصة من موضوع إلى آخر .

رابعا : فهم الجو العام للقصة يساعدنا فى تحديد الأنفاظ المشتركة فى اللغة بما يتناسب مع الجو العام .

خامسا : عرف ساعدة القصة الاجتماعية التى تعالج موضوعا معيناً ، وقد أبرزه من خلال القصة وذلك كما فى قصة المرأة التى لم تنجب .

سادساً : تأثر الرواة بالشعراء ، وقد أثبتنا فى خلال هذا البحث
تأثر أبى ذؤيب بساعدة بن جؤية .

سابعاً : بداية الشاعر القصة بقوله : والدهر لا يبقى علي
حدثائه " ، هذه البداية قد تحولت إلى " لازمة " للقصة
عند الهذليين ، ولا تعطى نهاية للقصة ، ولا دلالة
خيرية .

ثامناً : استطاع الشاعر تحريك الصراع النفسى ، كما فى قصة
الأم وولدها الذى بلغها نبأ قتله ، ثم تحدث المفجأة
المذهلة لتكون حلا سعيدا لهذه المأساة الدامية .

تاسعاً : تجاوز الشاعر حدود الوصف والمشاهدة فى القصة ،
إلى ما وراء ذلك إلى الوصول إلى هدف عام من
قصته ، فوصف الشاعر ، للوعل أو البقر ، أو غير
ذلك ، لم يكن مقصودا لذاته ، بل خلص الشاعر إلى
تصوير فكرة عامة أرادها لقصته .

عاشرأ : من خلال هذا البحث يتضح لنا نمو الحس القصصى
عند الشاعر ومعالجته لكثير من القضايا ، واشتمال
القصة الشعرية على كثير من العناصر القصصية فى
هذا الوقت المبكر .

والله المستعان وهو حسبى ونعم الوكيل ،،،

دكتور

عبد الناصر محمد السعيد

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

بكلية اللغة العربية

بالمنصورة

المراجع

- ١ - آراء حول قديم الشعر وجديده كتاب العربى الكتاب الثالث عشر أكتوبر سنة ١٩٨٦
- ٢ - بطولة الشاعر الجاهلى د. مى يوسف خليل دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
- ٣ - البيان والتبيين الجاحظ بيروت
- ٤ - الحس القصص فى شعر أبى ذؤيب الهذلى د. عبد الناصر محمد السعيد دار الأشقاء للطباعة والنشر والتوزيع
- ٥ - ديوان الهذليين الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥م
- ٦ - الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى الشعر الجاهلى كمال أبو ديب الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م
- ٧ - الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى د. يوسف خليف دار المعارف بمصر الطبعة الثانية
- ٨ - شعر الصعاليك منهجه وخصائصه د. عبد الحليم حفنى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م
- ٩ - الشعر والشعراء ابن قتيبة
- ١٠ - العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى د. مى يوسف خليف دار الثقافة للنشر والتوزيع
- ١١ - القصة الشعرية فى العصر الحديث د. عزيزة مريدن دار الفكر طبعة أولى سنة ١٩٨٤م
- ١٢ - القصة العربية فى العصر الجاهلى د. علي عبد الحليم محمود دار المعارف ط٢ سنة ١٩٧٩

١٣- القصة من خلال تجاربي الذاتية عبد الحميد جودة السحار دار

مصر للطباعة

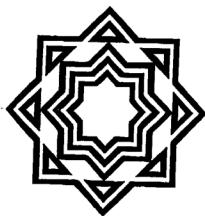
١٤- القصة والرواية د. عزيزة مريدن دار الفكر سنة ١٩٨٠

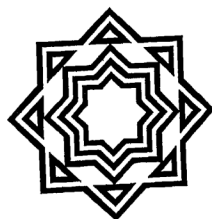
١٥- لسان العرب ابن منظور

١٦- مجلة العربي العدد ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠م

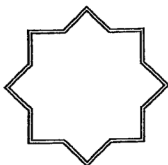
١٧- معجم البلدان . ياقوت الحموي . طبعة أولى ٩٧ . دار إحياء

التراث العربي.





بسم الله الرحمن الرحيم



العامل

والمعنى النحوى

أ. د/ محمد إبراهيم عبد الرحمن البنا
الأستاذ المتفرغ بقسم اللغويات

العامل والمعنى النحويّ

يُعَدّ مصطلح العامل الركيزة الأساسية في النحو العربي ، فهو يمثل منبع العلاقات داخل الجملة ، ومنه تتقوّم المعانى النحويّة وتتنّضح ، فهو الذى يعطى الأجزاء فى الجملة الفعلية تلك المعانى من الفاعلية والمفعولية ، ومعنى الابتداء والخبر فى الجملة الاسمية ، ومعنى الإضافة والتركيب الإضافى ، والتبعية فى المتبوعات ، ولا شك فى أن للسياق والمقام ودلالة تلك الأجزاء دخلاً فى تصوّر هذه المعانى ، ولكن يبقى مع ذلك أن العامل هو المحور الأساسى ، وبدونه لا يمكن تصوّرها.

وإن المتأمل للأجزاء فى التركيب يجد أنها فى الحقيقة بيّانلت لإبهام ذلك العامل ، أو مكملات يتحقق بها مضمون الجملة . انظر مثلاً إلى الفعل : "حضر" تجده يدل على الحدث والزمان والفاعل دلالة مبهمّة ، لكنك إذا صرّحت بالفاعل فقلت : حضر محمد ، فقد أزال ذكر "محمد" إبهام الفاعل . وإذا قلت : حضر محمد حضوراً مبكراً ، فقد أزال المفعول المطلق إبهام الحدث . وكذلك إذا قلت : حضر محمد صباحاً فقد أزال الظرف إبهام الزمان . هذا إذا كان الفعل لازماً ، فأما إذا كان مُتَعَدِّياً نحو "كتب" أو "أخذ" ، فإن كتب يدل إلى ما تقدم عليّ مكتوب مبهم ، وأخذ يدل على مأخوذ مبهم ، فإذا صرّحت بالمفعول فقلت : كتب محمد الدرس ، وأخذ الكتاب ، فقد أزال ذكر المفعول وهو الدرس والكتاب ، ذلك الإبهام . فطلب الفعل لهذه الأجزاء بعده إنما هو لتحقيق البيان ، وإعرابنا لهذه الأجزاء فاعلاً أو مفعولاً أو

ظرفاً فيه شيء من التسامح ، فهي فى الحقيقة بيان للفاعل والمفعول والظرف . وقد عرّف النحاة المفعول المطلق — وأعنى به فى عرف الأوائل — تعريفاً يخلو من التجوز والتسامح حين قالوا : "إنه اسم يبيّن نوع عامله أو عدده " فنصوا فى تعريفه على أنه مُبيّن ، ولو فعلوا ذلك فى تعريف الأجزاء الأخرى لكان فى ذلك تحقيق لوظائفها . ولكن كم فى النحو من مصطلحات تسامح فيها الأوائل ، ولها عندهم دلالتها العرفية ، فقد قالوا : نعت وتوكيد وعطف وبدل ، وحقائق هذه الأجزاء أنها : ناعت ، ومؤكّد ، ومعطوف ، ومبدل . وكذلك مصطلح العامل مما تسامحوا فيه ، وهم قد تعارفوه بينهم ، وعنوا به تلك الكلمة المبهمة التى تتشبه بما بعدها ، وفاءً لحق البيان فى الجملة . أمّا من لم يعرف مقالته ومصطلحهم فإنه لا يتصوّر منه إلا أنه الكلمة التى ترفع وتنصب وتجر وتجزم ، وهو تصوّر المبتدئين فى هذا العلم .

وما قلناه فى الجملة الفعلية يقال كذلك فى الجملة الاسمية ، فالمبتدأ فيها يطلب الخبر لأنه به تتحقّق دلالة الجملة ، ويكتمل ركنها ، وفرق بين الفعل والمبتدأ ، فالفعل — كما رأينا — يعطى دلالة مبهمة تستتبع بحسب المقام من الأجزاء ما يزيل ذلك الإبهام ، فأما الاسم إذا ذكر أول الأمر فهو معروف للمخاطب ، ولكن الذى يجعله ذلك المخاطب هو ذلك الحكم الذى يجب أن يُسند إليه ، ومن هنا كان طلب الاسم المبتدأ لذلك الخبر ، ومن هنا قال النحاة : إن الخبر معمول للمبتدأ ، وأن المبتدأ هو المقوم لمعنى الخبرية ، أى هو الذى جعل تلك الكلمة المذكورة بعده خبراً ، كما كان الإبتداء —

وهو ذكر الكلمة أول الجملة غير مطلوب لشيء قبله ولا بعده — هو المقوم لمعنى الابتدائية فيه .

ومن هنا يكون طلب الاسم المبتدأ به ، وطلب الفعل لما بعده ، ليتحقق الفهم ويزول النقص في الدلالة الناشئ عن الإبهام في الفعل ، وقصور الاسم وحده عن إعطاء حكم خبري . وتأمل ذلك عندما تفاجئ مخاطبك بأن تقول له : "حضر" وتسكت . أو "محمد" ولا تزيد شيئاً ، فسوف تجد المخاطب يقول لك : من الذي حضر ؟ وماذا كان من محمد ؟

وإذا رأينا الاسم يطلب وهو مبتدأ ، فإنه يطلب كذلك في غير الابتداء كما في نحو : حضر محمد الكاتب ، واشتريت قنطاراً قطناً ، ففي هاتين الجملتين نجد محمداً طالباً للكاتب لإزالة الاشتراك ، وقنطاراً يطلب قطناً لإزالة الإبهام . ومن هنا قال النحاة : إن العامل في الكاتب هو محمد ، لأنه الذي يطلبه ، وإن العامل في قطناً هو قنطار ، لأنه هو الطالب .

وانظر كذلك إلى هذه الجملة : محمد في البيت . تجد الجار والمجرور مطلوبين لكون مقدر ، فما الذي دعا النحاة إلى ذلك ؟ من المعروف أن "في" من حروف الإضافة ، والمتكلم بهذه الجملة لا يريد أن يضيف محمداً إلى البيت ، وإنما يريد أن يخبره بوجوده في البيت ، وعلى ذلك يكون المضاف ليس هو محمداً ، وإنما هو ذلك الكون العام المقدر ، ومن هنا قدروه ، ولا فرق من حيث الإضافة بين الكون العام والكون الخاص في نحو : محمد قائم في البيت ، غير أن هذا الكون الخاص يظهر ، وذلك الكون العام يقدر ، وهو كون

التزمت إظهاره معظم اللغات الأخرى ، لكنه أضمر أو قُذِرَ في اللغة العربية ، والتزمت تقديره ، ولها في سياق الكلام ومقامه ما يغنى عن ذكره . وإذا حُكِلنا هذه الجملة نجد "محمد" طالباً للكون العام ، وذلك الكون طالباً للظرف لإزالة إبهامه ، وبعبارة أخرى لا طلب بين "محمد وبين "في البيت" .

هذا هو فهم الأوائل لمصطلح العامل ، ومن ينظر في كتاب سيبويه يجده يعبر عن هذا الطلب بالعمل والعامل ، كما يعبر بمصطلح التعدى والبناء والشغل ، يقول في الكتاب^(١) : "هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول " ويمثل له بـ "ذهب زيد" . ويقول أيضاً : "هذا باب الفاعل الذى يتعده فعله إلى مفعول" . ويمثل له بـ " ضرب عبد الله زيدا " و " ضرب زيداً عبدُ الله " . وقال كذلك : " واعلم أن الفعل الذى لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذى أخذ منه " . ويمثل له بـ " ذهب عبد الله الذهاب الشديد " . ويقول : " ويتعدى إلى الزمان " . ويمثل له بـ " ذهبت أمس ، وسأذهب غداً " . ويذكر أيضاً : " ويتعدى إلى ما كان وقت فى الأمكنة " ويمثل له بـ " ذهبت شهرين " .

ويذكر سيبويه أن الفعل قد يتعدى إلى مفعولين نحو : " أعطى عبد الله زيدا درهماً " . كما كان يذكر تعدّيه إلى ثلاثة ، ويمثل لتعدّيه إلى الحال ، وغير ذلك .

(١) انظر هذه النصوص فى الكتاب ١/٣٣-٣٤، ٤٧، ٨٠، ٨١.

وقد يعبر سيبويه بالبناء ، فيذكر أن الاسم قد يبنى علي الفعل، وأن الفعل قد يبنى علي الاسم ، ومثل للأول بقوله : ضربت زيدا ، قال : " وهو الحد ، لأنك تريد أن تعمله وتحمل عليه الاسم ، كما كان الحد ضرب زيد عمرا حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل ". ثم يقول : وإن قدمت الاسم فهو عربى جيد ، كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربت . والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء . " ثم يمثل للآخر وهو بناء الفعل علي الاسم بـ " زيد ضربته " . يقول سيبويه^(١) : " وإنما تريد بقولك مبنى عليه أنه فى موضع منطلق إذا قلت عبد الله منطلق ، فهو موضع هذا الذى بنى علي الأول وارتفع به ، فإنما قلت : عبد الله ، فنسبته له ، ثم بنيت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء " .

فأما مصطلح الشغل فيعبر به سيبويه عما سبق إلى الكلمة الطالبة فاكتفت به عن غيره ، كما فى باب الاشتغال ، سواء أنصب الاسم المشغول عنه أم رفع ، ويذكره فى باب كان فيقول^(٢) : " واعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة فالذى تشغل به كان المعرفة، لأنه حد الكلام ، لأنهما شىء واحد " .

وفى باب التنازع كما فى قولهم : " ضربنى وضربتهم قومك " فقد شغل ضربتهم بما استوفاه من حق الضمير عن طلب " قومك " ومن هنا كان مطلوبا للأول .

(١) الكتاب ٨١/١ .

(٢) الكتاب ٤٧/١ .

وإذا قارنت هذه المصطلحات بمصطلح العمل تجدها تتردد كثيراً ، ولكنه قد يذكر مصطلح العمل ، وقد ذكره فى أول كتابه^(١) وهو يذكر مجارى الكلم ، وهى النصب والجبر والرفع والجزم فى المعربات ، والفتح والضم والكسر والوقف فى المبنيات ، ويقول : " وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرباً من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل ، وليس شئ منها إلا وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شئ أحدث ذلك فيه من العوامل " .

ويقول فى باب التنازع وقد مثل بقولهم : ضربت وضربنى زيداً ، وضربنى وضربتُ زيداً ، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين ، وأما فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يُعمل فى اسم واحد نصب ورفع " .

وهكذا ترى سببويه يذكر مصطلحات البناء والتعدى والشغل وهو يبين العلاقات بين الطالب والمطلوب فى الجملة ، ويذكر العمل حين يبين أثر الكلمة المبني عليها أو المتعدية أو المشغولة من علاقات الإعراب .

فمن أين جاء مصطلح العمل هذا ؟ لا نجد تفسيراً لهذا إلا أنهم وجدوه مصطلحاً يحقق الاختصار والاقتصاد ، فبدل أن يقولوا رفعه المتكلم ، أو هو مرفوع فى لغة كذا ، أحالوه على الكلمة الطالبية . وأياً ما كان فقد رسخ هذا المصطلح ، والنحاة يدركون

(١) انظر الكتاب ١/ ١٣ .

المراد منه ، ويعلمون تمام العلم تسامح النحاة فيه . فهذا السهيلي^(١) يصرح كثيراً بأن هناك ارتباطاً بين العامل والمعمول ، وهو أن العامل لا تكتمل دلالاته إلا بذكر المعمول فالفعل لما كان دالاً علي معنى فسي الفاعل ، وهو كونه مخبراً عنه ، عمل فيه ، والحروف لما دلت علي معنى في غيرها عملت فيها ، وينبه إلى أن الألفاظ تابعة للمعاني ، وإذا كان تشيبت في اللفظ فمعنى هذا أن هناك ارتباطاً معنوياً ، وقد عني في كتابه هذا ببيان العلاقات والمعاني بين العامل والمعمول .

وهذا ابن الحاجب يعرف العامل فيقول^(٢) : والعامل ما به يتقوم المعنى المقتضى للإعراب " . وفسره الرضى بأنه ما يحصل بواسطته في ذلك الاسم المعنى المقتضى للإعراب ، وذلك المعنى كون الاسم عمدة أو فضلة أو مضاف إليه " . فالمعنى النحوى يتقوم — أى يتبين وتستبين قيمته — بذلك العامل . فنظرية العامل إذا تحدثت عن منشأ المعنى النحوى . فأما اقتضاء هذا المعنى للإعراب فهو اقتضاء عرقي ، فمنه ما تعارفت عليه البيانات اللغوية كلها ، ومنه ما تعارفت عليه بيئة دون أخرى ، وهذا ما نجده في لغات القبائل ، وليس اقتضاء عقلياً ، بدليل اتحاد العوامل أحياناً واختلاف المقتضيات ، وقد نص النحاة علي ذلك في غير باب من أبواب النحو

كتاب الرد علي النحاة :

" ثم كان ابن مضاء في القرن السادس الهجري ، وكان كتابه الرد علي النحاة ، وفيه يدعو إلى حذف ما يستغنى النحو عنه من

^(١) انظر نتائج الفكر ٦٨ ، ٧٥

^(٢) اشرح الكافية للرضي ٢٥/١

العامل والعلّة والتمارين ، وكان ابن مضاء قد سبق إلى القول بحذف
العلّة والتمارين ، وكان بما صنع فى كتابه أول من دعا إلى إلغاء
العامل . وقد ذكرنا فى نشرتنا لهذا الكتاب أن نظرية العامل قصد بها
أساساً بيان العلاقات بين أجزاء التركيب ، وقد طبقها النحاة على
مختلف التراكيب ، ووضعوا أصولها التى قد يقع الخلاف بين النحاة
حول بعضها ، وابن مضاء بدعوته إلى إسقاط العامل لم يقدم بديلاً له
، بل تراه فى باب يستبدل بـ "أعملت" علّقت ، وفى باب آخر نراه
يحيل على السماع عن العرب - وقد ذكرنا من قبل أن مصطلح
إعمال يمثل نظرية فى بيان العلاقات ومدارها الذى تدور حوله - وقد
وعدنا ابن مضاء فى كتابه أن يقدم تطبيقه الخالى من نظرية العامل
فى كتاب يحيط بأبواب النحو جميعها ، وإذا كان كتابه الموعود به
صورة لما قدمه فى الأبواب التى تناولها فهو كتاب عار عن المنهج .

وحتى يسقط ابن مضاء العامل من النحو لم يلتزم
الأمانة^(١) فى عرض النصوص التى اعتمدها ، فقد وجدناه يقيم خلافاً
غير قائم بين ابن جنى وسيبويه فى مسألة العامل ، وقد عرضنا
نصوص هذين الشيخين كاملة ، وتبين منها أن أبا الفتح لا يعدو أن
يكون شارحاً لمقالة أبى بشر ، كما تبين أنه لم يقع خلاف بين النحاة
على تعدد اتجاهاتهم حول تحكيم نظرية العامل فى تحليل الجملة
العربية ومعرفة العلاقات بين أجزائها .

ولم يُعن النحاة فى عصر ابن مضاء ويعد عصره بدعوة ابن
مضاء تلك ، فقد وجدوا أنه إذا حذف العامل من النحو فلن يبقى منه

^(١) انظر مقدمة تحقيقنا لكتاب الرد على النحاة : ١٢ ، فما بعدها .

شيء ، كما أدركوا أن مقالة ابن مضاع لا تستند إلى أساس علمي ، إلى أن نشر الكتاب لأول مرة في عام (١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م) بتحقيق الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، ووجد إقبالاً من المهتمين بأمر العربية ، وقامت حول الكتاب دراسات ، وقد وجد بعض الدارسين أنه لم يُقدّم جديداً أو بديلاً لنظرية العامل يمكن من خلاله تبيين العلاقات بين أجزاء التراكيب العربية ، لكن بعضهم تأثر بظاهر هذه الدعوى ، وكان من أعجب ما قيل حولها ما ذكره الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ^(١) : " وإنه لحرى بنا الآن أن نستجيب إلى هذا النداء ، حتى نخلص الناس من صعوبات النحو التي ترهقهم من أمرهم عسرا ، ولن يكلفنا ذلك جهدا ، فقد مهد ابن مضاع الطريق أمامنا ، بما وضع فيها من صوئ وأعلام ، أليس يدعو إلى إلغاء نظرية العامل وقد طبقها في أبواب النحو ؟ وإذن فلنعمم هذا التطبيق ، فننصرف انصرافاً تاماً عنها وعن كل ما يتصل بها . وما من ريب في أن إلغائها يتيح لنا أن نُصنّف النحو بشكل آخر ، تستمر فيه موادّ النحو القديمة ، ولكن يُغيّر نسيجها وكيف علي أصل آخر هو العناية بأحوال الكلمات لا بالعوامل الداخلة عليها " .

فترى الدكتور شوقي ضيف يقول : أنه طبق دعوته في أبواب من النحو ؟ ولم نر ابن مضاع يقول (إلا بمقالة النحاة حين قال علقمت بدل أعلمت ، ولا يدعو مرادهم بالإعمال إلا تعليق الكلم بعضها ببعض ، علي نحو ما قرأنا للسهلي ولابن الحاجب ، وما ذكرناه من نصوص سيبويه قبلها ، علي أنه كان يعجز أحيانا أن يُعلّق الكلم

(١) انظر مقدمة نشرته للرد علي النحاة ٤٩-٥٠ .

فيقول : هكذا سمع عن العرب ، فكيف يمكن القول بأنه طبق دعوته في أبواب من النحو . ثم انظر إلى ما دعا إليه الدكتور ضيف من أن إلغاء العامل يتيح لنا أن نصنف نحواً نعني فيه بأحوال الكلمات لا بالعوامل الداخلة عليها ؟ فهل يمكن تصور أحوال الكلمات من غير تصور منشأ العلاقات في الجملة ، ومنشأ تلك العلاقات هو ما يسميه فقهاء النحو العوامل ؟

ولقد تأثر الأستاذ الدكتور شوقي ضيف بدعوة ابن مضاء فالف كتاب " تجديد النحو " وأراد أن يضع نحواً خالياً من العوامل والمعمول ، ومن الواضح من خطة كتابه أنه تقياً منهجاً في النحو يناسب المبتدئين ، فرأى من التيسير عليهم أن تدمج بعض أبواب النحو في بعض ، ومما دمج من هذه الأبواب : باب كان ، وباب الحروف المشبهات بليس ، وباب كاد ، وباب ظن ، وباب أعلم . وأن يلغى الإعراب التقديرى ، وألا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها في صحة النطق ، ومن ذلك أدوات الشرط الاسمية ، إلى غير ذلك من أبواب رأى أن النحو مستغن عنها . وبعض ما دعا إليه قد يكون هيناً إذا راعينا غايته من الكتاب وهو تقديم نحو يناسب المبتدئين ، لكن بعض ما دعا إلى حذفه أو دمجها في أبواب أخرى مما يستحق المناقشة . ونضرب المثل الآن بدعوته إلى حذف باب كان وأخواتها ، وهو أول ما دعا إلى حذفه ، ورد هذا الباب إلى باب الأفعال اللازمة فكان فعل لازم ، والمرفوع بعدها فاعل ، والمنصوب بعده حال . ومال في هذا إلى مذهب الكوفيين ما عدا القراء ، فأما البصريون فأعرابهم معروف يقوم على أن كان فعل ناقص ، والمرفوع ليس فاعلاً ، وقد دعا سيبويه المرفوع بعدها بأنه اسم الفاعل ،

والمنصوب بأنه اسم المفعول ، ولم يجعلهما فاعلاً ومفعولاً ، ولا فاعلاً وحالاً كما ذهب إليه من ذهب من الكوفيين ، لأن الفعل " كان " لا يطلب واحداً من الاسمين بعده كما يتعلق الفعل المتعدى فى نحو ضرب زيد عمراً ، لأن الضرب واقع من زيد علي عمرو ، وإنما مطلوب الفعل الناقص هو مضمون الجملة ، فإذا قلت : كان محمد مجتهداً فالمعنى كان قيام محمد ، والأفعال الناقصة فى حقيقتها أدوات لنقل الزمن لا تعلق لها بالأجزاء بعدها ، ومثلها فى ذلك مثل حروف النفي ، فإذا كانت هذه تنفى المضمون ، فكان وأخواتها كذلك تنقل مضمون الجملة إلى الماضى إذا كانت أفعالاً ماضية ، وإلى المستقبل إن كانت دالة على الزمن المستقبل . وانظر إلى مقالة السهيلي وهو يشرح قول الزجاجى فى تعريف الاسم^(١):

" ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً " ، فقد ذهب إلى أن كان فى هذا التعريف تامة وليست ناقصة ، وقال : إن المعنى وسياقة الكلام يمنعان أن تكون " كان " ناقصة ، " فإن الكلام ورد فى معرض التبيين لماهية الاسم وحقيقته ، فوجب أن يكون تأويله : ما جاز أن يوجد فاعلاً أو مفعولاً ، لأن كان التى هى عبارة عن الزمان إنما هى داخلة على المبتدأ والخبر ، فلا تدخل إلا على ما ثبت وعرف وجوده ، والأمر هنا بخلاف ذلك " . فهذا فرق بين كان التامة والناقصة ، وحيث إن سياق كان الناقصة ومقامها إنما يكون عن شىء قد ثبت ، فأنتم تقول : كان محمد مجتهداً ، لمخاطب يذكر اجتهد محمد الآن ، فاجتهاده ثابت ، وأنتم إنما تردّ ثبوته الآن ، وتنقله إلى الزمن

(١) نتائج الفكر ٦٥

الماضى . فاما كان التامة فانت معها مخبر ابتداءً بأمر قد كان إذا كانت ماضية ، أو بأمر يكون إذا كانت مضارعة . ومن المعلوم أن مثل هذه الفروق والمعاني لا يناسب المبتدئين ، ومكانه فى مرحلة تناسب دارسين قد قطعوا شوطا فى مجال النحو .

هذا وفى كتاب " تجديد النحو " أمور تستحق وقفات ينبغى أن ينبه عليها حتى نتعرف حجج الأوائل ومقالاتهم . على أن ما عرضه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف من نحو فى كتابه نراه لا يخالف مقالة النحويين فى قضية العامل ، فإذا أعرب الاسمين بعد كان فاعلاً وحلاً فهو يقيم علاقة بينهما وبين كان ، وهى علاقة الفاعلية والحالية ، والقول بالعامل لا يعدو ذلك ، أعنى إقامة علاقة بينه وبين الأجزاء معه فى التركيب ، وإن كنا نخالفه فى تسمية هذه العلاقة ونوعها . ومما ينبغى التنبيه عليه أن ما عرضه الدكتور شوقى ضيف فى كتابه " تجديد النحو " من نماذج وأمثلة للأبواب لا يعدو أن تكون نماذج أولية من نحو : ظل زيد مسافراً ، وجاء محمد مبتسماً ، فعرض النحو من خلال هذه الأمثلة ونحوها ، وإن القارئ لكتابه لا يستطيع أن يعتمد عليه فى تخريج كثير من الآيات ، أو إعراب قصيدة من القصائد ، على نحو ما نرى من مشكلات نبه عليها القراء فى معانى القرآن ، وابن هشام فى معنى اللبيب ، وأعنى بها مشكلات التطبيق تلك التى تحتاج إلى فقه الأوائل للنص وفهم مراد علماء العربية فيما وضعوا من أصول وفروق بين مختلف التراكيب .

هذا ما كان من كتاب الرد على النحاة وبعض آثاره الحديثة فى الفكر النحوى ، ولا يزال من الدارسين من تعلق بظاهر قوله ، فلم يتصور من العامل إلا أنه يرفع وينصب ويجر ويجزم ، فسارعوا

إلى مناهج غريبة تعنى بشكل التراكيب ، ورأوا أن العامل خرافة ، والخرافة الحقيقية هي ما هم عليه من فهم خاطئ لفكر أعلام كانوا مؤيدين بالتوفيق فيما شرعوا من منهج لدراسة نحو العربية ، ولو أن هؤلاء المتحاملين علي منهجهم صبروا أنفسهم علي دراسته لعرفوا أن منهج العامل ، أو نظرية العامل ، تقوم علي بيان العلاقات في التركيب ، وما بين أجزاء الجملة من تجاذب ، وأن السطح الظاهر للجملة من حيث الصيغ والشكل الإعرابي هو أثر من آثار تلك العلاقات ، وأن النحوى وهو يعرب إنما ينظر إلى تلك العلاقات ، علي أى وضع كان شكل الجملة وعلي أية صيغة كانت أجزاؤه ، وعلي أى إعراب كان .

اللغة العربية معناها ومبناها :

أصدر الأستاذ تمام حسان كتابه " اللغة العربية معناها ومبناها " في سنة ١٩٧٣ م ، وهو من الكتب التى عنى بها كثير من الدارسين ، وتأثروا فى بحوثهم منهجه . وقد ذكر فى تقديمه أن مجال هذا الكتاب هو اللغة العربية الفصحى بفروعها المختلفة ، وأن المعنى هو الموضوع الأهم الذى أولاه كل عناية ، لأن الارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة ومن أجل هذا درس النظام الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، والمعجم والدلالة . ويهمنى من هذه الأنظمة الآن النظام النحوى . وقد أخذ علي النحاة أن دراستهم للنحو كانت تحليلية لا تركيبية ^(١) ، فلم يعطوا المعانى التركيبية ما ينبغى لها من العناية ، فلا تجد لهم حديثاً عن الإسناد وأقسامه ووظائفه ، والمبلى

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٦-١٧

المعبرة عنه ، وأنهم أهملوا أثر السياق في المباني ، ويضرب المثل لذلك بأن النحاة درسوا زمن الأفعال علي المستوى الصرفي ، وهى فى عزلتها عن التراكيب . وفى حديثه عن النظام النحوى أنه يقوم علي مجموعة من الأسس^(١) ، أولها طائفة من المعانى النحوية العامة، ويعنى بها معانى الجمل أو الأساليب ، وثانيها مجموعة من المعانى النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية ، ومجموعة من العلاقات التى تربط بين المعانى الخاصة ، كعلاقة الإسناد والنسبة والتبعية ، ثم ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من القرائن ، وأخيراً تلك القيم الخلفية أو المقابلات بين العناصر السابقة

ثم ذكر أن الكشف عن العلاقات السياقية ، أو التعليق كما يسميه عبد القاهر هو الغاية من الإعراب ، وأتينا حين نعرب " ضرب زيد عمراً " ، فأتينا نعرب " زيدا " فاعلاً اعتماداً علي قرينة الصيغة — ويعنى أن صيغته صيغة اسمية — وعلى قرينة الرفع ، وهى العلاقات الإعرابية ، وعلى قرينة الإسناد أو التعليق ، فقد أسند ضرب إلى زيد ، وقرينة الرتبة ، فموقع الفاعل بعد الفعل ، وقرينة صيغة الفعل فهو مبنى للمعلوم . ثم ينتقل إلى إعراب " عمرو " فيذكر كذلك هذه القرائن ، فهو مفعول اعتماداً علي الصيغة الاسمية ، وأنه منصوب ، وأن الفعل تعدى إليه ، وأن رتبته بعد الفاعل .

ويعقب علي ذلك بأن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها قرينة التعليق فهى أم القرائن جميعها .

ويذكر بعد ذلك أنه إذا اتضح المعنى الوظيفي أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام ، ومثل لذلك بيت صنعه من صور بنائية خالية من الدلالة المعجمية وهو :

قاص الشجين شحاله بتريسه الد فاخى فلم يستف بطاسية البردن

ثم أعرب البيت اعتماداً على أن المبانى الصرفية فى البيت قُلد فيها المبانى العربية ، واعتماداً كذلك على القرائن التى سبق أن ذكرها ، وقال : إنه أمكن إعراب هذا البيت الهراثى اعتماداً على المعنى الوظيفي .

هذا ما رآه الدكتور تمام حسان كافياً فى تحليل الجملة العربية ، وانتقل من ذلك إلى القول بأن النحاة اعتمدوا على العامل فى تفسير العلاقات النحوية ، وأن ابن مضاء قد تناول نظرتهم هذه بالنقد والتفنيد والتجريح ، " ولكنه يعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعانى النحوية ، ولم يقم مقام العامل فهماً آخر لهذه العلاقات غير قوله : إن العامل هو المتكلم ، فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ، ونفى عنها الطابع العرفى الاجتماعى " (١) .

ويرى الدكتور تمام حسان أن أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى إلى الآن هى ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجانى ، صاحب مصطلح التعليق ، وذكر أن عبد القاهر الجرجانى ذكر فى دلائله أربعة مصطلحات هى : النظم ، والبناء ، والترتيب ، والتعليق . وفسر الدكتور تمام النظم بأنه تصور العلاقات النحوية ، كتصور العلاقة بين المسند إليه والسند ، وجعل مصطلح البناء للمبانى بحسب المعانى النحوية ، كأن تبنى لمعنى الفاعلية

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٥

مبنى هو الاسم المرفوع ، وأما الترتيب فإنه وضع العلاقات المنطوقة أو المكتوبة فى سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة ، تظهر بها فوائد التقديم والتأخير ، ويذكر أخيراً أن أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر هو التعليق ، ويزعم أنه قصد به العلاقات بين المعانى النحوية.

ويعود الدكتور تمام مرة ثانية فيقول : " وفى رأبى - كما فى رأى عبد القاهر على أقوى احتمال - أن التعليق هو الفكرة المركزية فى النحو العربى ، وأن فهم التعليق على وجهة كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوى والعوامل النحوية ، لأن التعليق يحدد بواسطة القرانن معانى الأبواب فى السياق ، ويفسر العلاقات بينها على صوت أوفى وأفضل " .

هذا موجز كلامه عن النظام النحوى ، وتحليل الجملة أو إعرابها ، وقرائن هذا التحليل ، وقد رأى ذلك تطبيقاً للمنهج الوصفى فى دراسة اللغة ، وكان قد وصف محاولته هذه بأنها " أجراً محاولة شاملة إعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجرى بعد سيبويه وعبد القاهر ... ولو أن جمهور الدارسين أعطى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهتمام ، فإنه ينبغى لهذا الكتاب أن يبدأ عهداً جديداً فى فهم العربية الفصحى مبناها ومعناها ... " .

هذا ومع تقديرى لما بذله الأستاذ الدكتور تمام حسان من جهد فى كتابه فإن لى معه وقفات حول ما أثاره من قصور النظام

النحوى عند النحاة العرب ، ونظرية النظم عند عبد القاهر ، وما وصف به نظرية العامل من أنها خرافة لا يمكن الاعتماد عليها . وكذلك حول نظرية القرائن التى رآها كفيّلة بحل مشكلة تحليل الجملة أو إعرابها .

١- قصور النظام النحوى :

ذكر الدكتور تمام قصور النظام النحوى حين لم يعن النحاة بالمعانى التركيبية وأنهم أفرغوا جهدهم لتحليل الجملة ، فخلا الدرس النحوى من دلالات التراكيب ومعانيها السياقية وهذا نقد يمس طبيعة منهج النحو . ويعلم الدارسون أن نحاة العربية قد عنوا منذ الزمن الأول بالمعانى التركيبية ، وأنهم وحدهم هم الذين قدّموا لنا معانى القرآن الكريم ومعانى الشعر ، وحققوا القول فى الإنشاء والخبر ومنهم من نازع فى الفرق بين الأسلوب الخبرى والإنشائى . على أنى أضيف أن صناعة النحو عنيت فى الجانب الأول بشكل الجملة المعربة - صيغا ، وترتيباً ، وأداء ، وإعراباً - وكان وصف الإعراب - وأعنى به حركة أواخر الكلم سواء أكانت معربة أم مبنية - هو شغل النحاة الأول ، لأمر ذكرناها فى كتابنا " الإعراب سمة العربية الفصحى " . فاما تلك المعانى التركيبية فلها فرع من العلم ، نبه إليه النحاة وفصل القول فيه البلاغيون ، فإذا كان لنحو اللغات الأخرى منهج فى دراسة اللغة فإن للعربية منهجها الذى فرضته طبيعتها وقد تكامل علم المعانى مع علم النحو فى بيان تلك المعانى التركيبية ، وبحسب الدارس أن يرجع إلى دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، وتفسير الكشاف للإمام الزمخشري ، وهما نحيان فى

المقام الأول ، ليرى ما قدمه هذان العالمان فى بيان المعانى التركيبية، على أن هذه الدلالات التركيبية مما يحكمه الذوق غالباً ، ويختلف الحكم عليها ، وإن المتذوق الواحد قد يرى فى تركيب ما دلالات متعددة ، وما كان هذا شأنه فليس مجاله علم النحو ، وإنما فن البلاغة ، ولذلك ينبغى أن لا تعد المعانى التركيبية من النظام النحوى .

ولقد أثار الدكتور تمام قضية الزمن النحوى ، وأن النحاة درسوه على مستوى الصيغة فى عزلة عن التراكيب ، ويعلم الدارسون للنحو أن النحاة نبهوا على أثر السياق فى دلالة الفعل على الزمن . ولقد وجدنا من متأخري النحاة من رجع دلالة الفعل على الزمن إلى السياق ، حتى إن الأصوليين فيما بعد استثمروا إشاراتهم ، وأنكروا دلالة الفعل على الزمن .

٣-القرائن النحوية :

ذكر الدكتور تمام أن أصعب القرائن النحوية هى قرينة التعليق ، وأتينا حين نعرب نستعين بقرائن ، وذكر منها الصيغة ، والرتبة ، والإعراب فى مثاله المتقدم : ضرب زيد عمرا . وقد ذكر أنه اجتمع فى زيد قرينة الصيغة الاسمية ، وقرينة الإعراب ، وقرينة الرتبة . ومن هذه القرائن الثلاث أعربنا زيدا فاعلا ، وهذا بمعونة صيغة الفعل فهو مبنى للمعلوم .

فهل الصيغة قرينة على الفاعلية ؟ أليست هذه الصيغة صالحة لأن تكون مفعولا به . وهذا إذا كان الفاعل اسم ذات ، فأما إن كان اسم معنى نحو ناسب فهم زيد فهمنا ، فإن هذه الصيغة فى

سياق صالحة أن تكون مفعولا به ومفعولا مطلقا فالصيغة وحدها بعيدة عن القرائن الأخرى لا يمكن الاحتكام إليها فى أداء المعنى النحوى .

ثم هل نحن نعرب من الرتبة ، فهل الفاعلية تنبع من تقدم الفاعل ، لقد نبه النحاة على أن رتبة الفاعل التقدم على المفعول ، ولكنهم لم يقولوا لنا : أن معنى الفاعلية ينبع من تقدم الفاعل ، كيف وأنهم يقولون : إن الفاعل قد يتأخر عن المفعول .

ولقد ذكر الدكتور تمام أن من قرائن الفاعلية فى المثال ، المتقدم بناء الفعل للمعلوم ، وهذه قرينة معتمدة حقا ، ذلك أن بنية الفعل الطالب لها أثرها فى بيان المعنى النحوى فى الأجزاء بعدها . أما ما ذكره من قرينة الإعراب فى زيد وعمرو ، وأن رفع الأول ونصب الثانى مما ساعد مع القرائن الأخرى فى تبين المعنى النحوى فيهما ، فشئ لا يقف أمام الدراسة الأسلوبية .

فقد انتهيت بعد مداولة النصوص فى القرآن الكريم وأشعار العرب إلى أننا لا نجد فى العربية مثل هذا المثال : ضرب زيد عمرا ، من كل جملة كان فيها الفاعل اسما ظاهرا والمفعول اسما ظاهرا ، إلا وفى التركيب من الدلالة أو حوله فى السياق ما يعين فاعلية زيد ومفعولية عمرو . ولقد غر مثل هذا المثال النحاة متقدمين ومتأخرين فظنوا أن الفيصل فى تعيين الفاعل والمفعول هو الإعراب وحده ، يقول ابن جنى^(١) : " باب القول على الإعراب ، هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه ، وشكر

سعيدا أبوه ، علمت يرفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من
المفعول ، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من
صاحبه " ، وكان لابن قتيبة وابن فارس مثل هذا الفهم^(١) ، ومضى
الزمن علي ذلك . علي أنك إذا رجعت إلى كتاب سيبويه فإنك لا تجد
فيه نصا يبني فيه المعنى النحوي علي الإعراب ، بل تجد الإعراب
من مقتضيات المعنى النحوي ، عكس ما تعارف عليه النحاة فيما
بعد ، ولقد كان قطرب أعرف الناس بكتاب سيبويه حين قال : إنه لم
يدخل الإعراب الكلام للدلالة علي المعاني والفرق بين بعضها
وبعض " .

لقد أحصيت مثل هذا التركيب في القرآن الكريم - أعنى :
ضرب زيد عمرا - فلم يتجاوز إحصائي له حتى الآن ٣٩٦ تركيب ،
وهو يمثل نسبة ضئيلة بالقياس إلى التراكم التي حلت فيها الضمائر
محل الاسماء الظاهرة ، فهذه تمثل الظاهرة الغالبة فلا تجد في سورة
البقرة من نحو " ضرب زيد عمرا " إلا نيفا وثلاثين آية ، وهناك
سور خلت منه نحو سورة : فصلت ، الأحقاف ، الذاريات ، الرحمن ،
الممتحنة وغير ذلك من قصار السور .

وقد قسمت هذه المجموعة المحدودة من نحو ضرب زيد
عمرا في القرآن إلى أربعة مجموعات :

المجموعة الأولى : وهي الغالبة ، الفاعل فيها متميز من
المفعول ، لاستحالة إسناد الفعل إلى المفعول ، نحو قوله تعالى :

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى) ، ونحو : (وإذا حضر القسمة أولوا القربى) .

المجموعة الثانية : وهى آيات قد يتوهم فيها جواز إسناد الفعل إلى كل واحد من الاسمين ، ويصرف السياق ذلك الوهم نحو : (وجاء السحرة فرعون) ، فالمجىء واقع من السحرة بذليل قوله تعالى : (قالوا : أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر علم ، وجاء السحرة ...) .

المجموعة الثالثة : وفيها لا يكون أحد الاسمين أولى بالإسناد إليه من الآخر ، لأنه ليس بمميز منه نحو : (ولا يسأل حميم حميما) ، (ويلعن بعضهم بعضا) ، وفى هذه المجموعة لوحظ تقدم الفاعل وتأخر المفعول .

المجموعة الرابعة : وهى بضع آيات أسند الفعل فيها فى قراءة إلى أحد الاسمين ، وفى أخرى إلى الاسم الآخر ، فما كان فى أولها فاعلا ، تراه فى الأخرى مفعولا به ، وقراءة الجمهور توافق استعمال الفعل فى غير هذه الآية وتجعل الإعراب الآخر فى القراءة الأحادية أو الشاذة يمثل مشكلة بدل أن يكون معينا على المعنى ، فأخذ النحاة يؤلون الفعل حتى يقتضى ما كان فاعلا مفعولا ، وما كان مفعولا فاعلا ومن هذه الآيات وهى تسع : (فتلقى آدم من ربه كلمات) ، قرأ الجمهور برفع آدم ونصب كلمات ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات . هذه الآيات التسعة كان ينبغى أن تكون من المجموعة الأولى ، ولكن ورود القراءة الأخرى ميزها ، ووضح أن الفاعل الحقيقى فى هذه الآيات هو الذى جاء فى قراءة الجمهور ،

وأن إسناد الفعل إلى الاسم الآخر فى القراءة الشاذة إسناد يقوم على التوسع والتجاوز . ولما رأى ابن الطراوة هذه الآيات ونظائرها فى الشعر أجاز الرفع والنصب ، أى أجاز أن يرفع المفعول ، وينصب الفاعل ، وذلك إذا كان معنى الكلام يميز بين الفاعل والمفعول .

من كل ما تقدم يتبين أن تحليل الجملة الفعلية التى أسند فيها الفعل إلى اسم ظاهر ووقع على اسم ظاهر لا يتوقف على الإعراب ، وأن ما تصوره بعض النحاة من أن الإعراب أساس فى بيان المعنى النحوى فى نحو ضرب زيد عمرا ، هو تصور يفتقر إلى مذاكرة أساليب العربية .

وإذا لم يكن الإعراب قرينة على المعنى النحوى فما وظيفته ؟ تلك قضية أخرى يمكن الرجوع إليها فى كتابنا " الإعراب سمة العربية القصوى " .

على أن الأستاذ الدكتور تمام حسان يعود فلا يرى الإعراب قرينة بمفرده ، ولقد كفانا بمقالته التالية أن نقول : إن الصيغة والرتبة مثل قرينة الإعراب لا يمكن أن ينبع منها المعنى النحوى إذا انفردت ، قال (١) : " ولا أكاد أمل ترديد القول : إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى ، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم " تضايف القرائن " ، وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية " ! ونزيد على

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٧ .

مقالته أنه لا يمكن أن تنفرد كل واحدة بالدلالة علي المعنى النحوى ،
لأننا لا نجد تركيبا نحويا إلا وقرينة التعليق قائمة فيه .

وإنه إذا كنا لا نرى للصيغة ولا للرتبة ولا للإعراب أثرا فى
تصور المعنى النحوى ، فمن أين ينبع المعنى النحوى إذا ؟ نكرر
القول بأن المعنى النحوى ينبع من الكلمة الطالبة ، وهو ما ذكرنا
أول مقالتنا هذه ، وهو ما عبر عنه سيبويه بالعامل ، أو بالكلمة التى
تبنى عليها ، ويحكم الوظيفة النحوية دلالة الفعل اللغوية - أو
المعجمية - ودلالة الأجزاء ، ثم السياق . ولقد ذكرنا أن المعنى
اللغوى بين الكلمة الطالبة والمطلوبة ، أو بين العامل والمعمول
أساس فى تصور المعنى النحوى إلى جانب المعنى الصرفى فى دلالة
الفعل . فالفعل يدل علي الحدث والزمان ، وهذا معنى حرفى ، لكنه
قد يكون فعلا لازما ، وقد يكون متعديا ، وهذه معان معجمية لها
أثرها فى الطلب ، فالفعل المتعدى يكسب الجزء معنى المفعولية ،
والفعل اللازم لا يطلبه . وقد يكون الفعل ناقصا ، ونقصانه معنى
حرفى لا يطلب به الأجزاء بعده كما بينا فى دلالة كان الناقصة ،
ولذلك كان غريبا أن يقول الدكتور تمام حسان ^(١) : " إنه إذا اتضح
المعنى الوظيفى أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو
المقام " ، وأسأله : كيف يتضح المعنى الوظيفى من غير دلالة
المعجم فى الفعل الطالب ؟ بل كيف يتضح المعنى الوظيفى فى الكلمة
المطلوبة دون معرفة دلالتها اللغوية . ولقد دلل على ذلك بالبيت الذى
صنعه خاليا من الدلالة المعجمية ، وهو :

^(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٢ .

قاص الشجين شحاله بتريسه الـ فاخى فلم يستف بطاسية البردن

وأعرب "شحاله" مفعولا به . وأقول : ألا يمكن أن يكون " قاص " فعلا لازما ، وأن "شحاله" تمييز علي حد قولهم : سغه زيد نفسه ، وألم رأسه ، وبطرت معيشتها . ولقد أعرب " الفاخى " نعتا لـ " تريس " وما الذى يمنع أن يكون نعتا لـ " شحاله " . وإسكان الاسم المنقوص كثير فى لغة العرب ، أو أن يكون نعتا للفاعل وهو " الشجين " ؟!

فالمعنى النحوى ينبع من الكلمة الطالبة ، ولدلالاتها اللغوية أو المعجمية أثر فى توجيه المعنى الصرفى للفعل ، وللسياق أثره فى تشكيل المعنى النحوى انظر إلى قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، فلو احتكمنا إلى ظاهر لفظ (وزر) لأعربناه مفعولا مطلقا مبينا للنوع ، فالوزر قد يكون مصدرا ، يقال : وزر وزرا ، و وزرا : أثم ، وقد يراد بالوزر أثر المصدر ، أو ما يسمى باسم المصدر ، أو الشيء المفعول – والفرق بين المصدر واسمه هو الفرق بين حركة الفاعل وناتج هذه الحركة – وسواء أكان مصدرا أم اسم مصدر فكلهما يقع مفعولا مطلقا ، فكان الظاهر أن نعرب (وزر أخرى) فى الآية مفعولا مطلقا ، ولكن السياق لا يقتضيه على هذا المعنى ، فليس المراد معنى المثلية الذى يعطيه المفعول المطلق فى قوله تعالى : (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) ، أى : يدعو دعاء فى الشر ممثلا لدعائه فى الخير ، وإنما المراد فى الآية الكريمة أنه لا

تحمل آثمة وزر نفس أخرى ، وعلى هذا فوزر أخرى مطلوب للفعل
مفعولا به لا مفعولا مطلقا ، والذي وجه إلى هذا السياق (١).

٣- نظرية النظم عند عبد القاهر :

لقد نقلنا من قبل حديث الدكتور تمام عن نظرية النظم ،
ووصفه لها بأنها أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية ، وقوله إن
عبد القاهر قد أورد أربعة مصطلحات هي : النظم ، البناء ، التركيب
، والتعليق .

وقد فسر الدكتور تمام النظم بأنه تصور العلاقات النحوية .
والذى كان يردده عبد القاهر دائما^(١) هو أن النظم ليس إلا أن تضع
كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله
، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، أو يقول : توخى
معانى النحو فيما بين الكلم . ووضح من هذه النصوص وأمثالها هو
أن على الناظم أن يتحرى معانى النحو ، وألا يخرج عن الرسوم التى
وضعها النحاة عند تعليق الكلم بعضها ببعض ، وليس تصور هذه
المعانى . ثم إنى لا أرى النظم إلا الترتيب . وهذا ما يتبين فيما بعد .
ولقد جعل الدكتور تمام البناء والتعليق شيئين مختلفين ، فقال :
" وأما البناء فأنا أفهم من عرض عبد القاهر للموضوع أنه جعله
للمبانى بحسب المعانى الوظيفية ، كأن تبنى لمعنى الفاعلية مبنى هو
الاسم المرفوع ... " . وقال إنه قصد بالتعليق إنشاء العلاقات بين
المعانى النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية

(١) انظر فى هذا الأملى الشجرية ٥٧/١-٥٨ .

(٢) انظر الدلائل ٨١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ .

والحالية " . كذا تصور الدكتور تمام . والحقيقة أن عبد القاهر لا يفرق بين هذين المصطلحين ، وأنه فيما قال نحوى لا يخرج عما تعارف عليه النحاة ، فهو يقول مثلاً^(١) : واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك ، أن لا نظم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك " . فتراه عطف الترتيب على النظم ، وعطف أيضاً البناء على التعليق . ولقد ذكرنا من قبل أن مصطلحات البناء والتعدي والشغل أوردها سيبويه للتعبير عن تعليق الكلم بعضها ببعض ، وكذلك أورد عبد القاهر هذه المصطلحات في دلائله كما وردت في الكتاب ، وكثيراً ما أورد نصوص سيبويه . بل إنه يصرح بمصطلح العمل ، انظر إلى قوله — وهو من كلماته الجامعة —^(٢) : " واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة ، وذلك أنك إذا قلت : ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له " ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم واحد ، هو معنى واحد لا عدة معان ، كما يتوهمه الناس وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتقيده أنفس معانيها وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب ، وبين ما عمل فيه ، والأحكام التي هي محصول التعلق " .

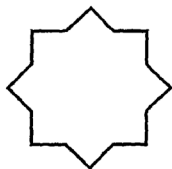
وأزديك لعبد القاهر نصاً آخر يذكر فيه العمل ، وهو يمثل

ببيت بشار :

كان مثار النقع فوق رعو سنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه .
علي أن النظم يكون فى معانى الكلم دون ألفاظها ، يقول ^(١) :
" وذلك أنه إذا ثبت الاتحاد ، وثبت أنه فى المعانى ، فينبغى أن تنظر
إلى الذى به اتحدت المعانى فى بيت بشار ، وإذا نظرنا لم نجدها
اتحدت إلا بأن تجعل " مثار النقع " اسم كان ، وجعل الظرف الذى هو
" فوق رعو سنا " معمولاً لثمار ومعلقاً به ... " إلى آخر كلامه .

إن نظرية النظم عند عبد القاهر تقوم علي فهم جيد لنظرية
العامل ، وإن حديث عبد القاهر عن التعليق والبناء والشغل والتعدى
لا يرى فيه النحوى جديداً ، لكن الجديد فى الدلائل هو ما أراك من
فروق بين وجوه التعلق التى تتيحها نظرية العامل ، والتى تؤدى فيها
صور الأبنية ، والكيفيات التى يكون عليها التركيب من التقديم
والتأخير والذكر والحذف ، ووصل الكلم وفصله — إمكانات للأديب ،
يتحرك فيها ليعبر عن مشاعره ، أو يتواءم بها مع مقتضيات الأحوال
وبعد فقد تصور نفر من المحدثين مصطلح العمل علي غير
وجهه ، وظنوا أنه يرفع وينصب ، وأن النحاة المتقدمين لا يعرفون
منه غير هذا ! وهو فهم خاطيء سرى إليهم من ابن مضاء ، وأشاع
ذلك نفر فهمهم بين الدارسين . وقد بينا أنه يعبر عن تعليق الكلم
بعضه ببعض ، وأن العامل لا يرفع ولا ينصب ، وأن إدراكنا للمعنى
النحوى الذى ينبع من العامل ، وموقعه ، والدلالة اللغوية ، ودلالات
الأجزاء المطلوبة ، وسباق الكلام . فهل بعد هذا يقال إن العامل
خرافة ، أو إن القرائن النحوية إذا تضافرت عينت المعنى النحوى ،
وأنا نعرب — أى نحلل — من الحركات الإعرابية ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم



الأديب الكاتب

محمد صادق عنبر

د/ عبد الحميد حامد شعبان

تمهيد

حظى جيل من الكتاب المعاصرين بالدراسة الواسعة فغدا أمام الباحث للدراسات الأدبية قدر لا بأس به من المؤلفات النافعة.

ويقابل هذه الوفرة فى رصيد المكتبة الأدبية تجاهل صارخ لعدد من الكتاب المعاصرين. إذا قدر لأحدهم أن يشار إليه من الدارسين فهى الإشارة الموجزة واللمحة الخاطفة ، مما لا يتناسب وما قدموه من عطاء.

أسوق هذه الخاطرة لأتبه إلى واحد من هؤلاء الكتاب صاحب — زمانا ومكانا — رموزا من الكتاب أمثال: مصطفى صادق الرافعى ، وعبد العزيز البشري ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وغيرهم.

ولم أجد من وقف مع هذا الكاتب منقبا عن آثاره ، دارسا لها غير علمين من أعلام الكتاب فى عصرنا الحاضر.

أولهما : الكاتب المغفور له محب الدين الخطيب ، إذ انتقى من فكر محمد صادق عنبر دررا من بيانه أتحف به قراء كتابه " الحديقة " .

ثانيهما : الكاتب الناقد الدكتور محمد رجب البيومى ، الذى قدم بحثا شافيا عن الكاتب ضمن سلسلة بحوثه فى الدراسات الأدبية.

وقد جاء بحثه عن (محمد صادق عنبر) شاملا لكل جوانب إبداع الكاتب ، ولعله قصد ذلك ليفتح نوافذ يطل منها دارسو أدب الرجل.

وإن الأمانة العلمية تقتضى منا ألا نغفل الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى كلمته الموجزة عن الأديب محمد صادق عنبر ، حيث أجاب عن سؤال وجه إليه من أحد الدارسين بشأن التعريف بالكاتب .

وشغلت زمتنا بقراءة المنتقى من بيان الكاتب على صفحات كتاب الحديقة ، فرأيت تجويدا للأداء البيانى دل على عناية الكاتب لما يعرضه على القراء ، ومن ثم حرصت على إضافة لبنة إلى لبنات فى إطار الدراسة للأعلام المغمورين .

ويتلخص ما أقدمه — فى دراستى عن الكاتب محمد صادق عنبر — فى التعريف الوجيز له ، ثم العرض التحليلى لنماذج من كتاباته ، صنفتها إلى موضوعات ثلاث :

أولها : مقالاته الإجتماعية .

ثانيها : مقالاته عن اللغة العربية .

ثالثها : المقالات النقدية .

ولا أدعى أنى أتيت بالجديد ، وإن لم يخل كلامى من المفيد ، كما لا أدعى أنى أوفيت الرجل حقه من الدراسة ، وإنما هى خطوة تضاف إلى جهود سابقة تعقبها دراسات لاحقة .

"محمد صادق عنبر" في سطور

هو الأديب المصرى من أهل القاهرة ، عمل فى الصحافة
زمنًا من حياته ، توفى عام ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٨ م^(١).

— آثاره : رسالة الحب والجمال على لسان قيس وليلى قصد
منها تقديم عمل يقارب ما قدمه الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعى
فى كتابه " أوراق الورد "

وللدكتور محمد رجب البيومى — فى الموازنة بين الكاتبين —
خلاصة نقدية يقول فيها " ^(٢) هى نفحة من نفحات أوراق الورد قد
كتبها الأستاذ صادق عنبر بعد أن تمكن من رافعيته بحيث تدانت
الشقة قريبًا قريبًا من الأدبيين الكبيرين " .

ومن آثاره : ذكرى أمين الرافعى . جمع فيه ما قاله الشعراء
والكتاب فى أمين الرافعى بعد رحيله .

وللكاتب كلمة نشرت فى الأهرام قبل أن يضمها هذا السفر
أفصحت عن صدق العاطفة ، وبراعة فى السبك يقول منها :

" أيها النائي وما أقرب مزاره ، النائم على يقظات الأسى ،
الساكن النفس ، ومن سكونه فى نفس كل مصرى قلق لا فرار منه
... الساكن القلب وله فى كل قلب سكن الساكن القلم ولا يزال فى
الأفق من صريرة لحن يستفاد ، ورجع ليت العمر مثله إذ ينطوى

^(١) الأعلام خير الدين الزركلى .

^(٢) دراسات أدبية ص ١٠٨ مطبعة السعادة ١٩٨٢ .

يستفاد. أمين يا مالىء شعاب الوادى بالأمس نورا من عقيدته ،
ومالئها اليوم نارا من فجيعة " (١).

من آثاره أيضا : نقيب الأدباء ، وكلمات فى كلمة ، وهذا
العمل الأخير قد نشره فى بعض المجلات ، وكان ينوى جمعه فى
كتاب (٢).

العرض التحليلى لنماذج من مقالاته

تتوزع مقالات عنبر بين ألوان كثيرة منها : الاجتماعى ،
واللغوى ، والنقدى .

يضاف إلى ذلك حديثه عن نخبة من رجال الشعر والنثر .

ويقف فى مقالاته الاجتماعية عند جملة من القضايا
الاجتماعية التى أفرزها المجتمع المصرى فى ذلك الحين ، فيشخص
الكثير من الأمراض الاجتماعية واضعا النصح بين أيدي أبناء الأمة
المسلمة حتى لا ينتشر بينهم الظلم والقطيعة ، فيصير حال المجتمع
إلى فوضى لا ضابط لها .

وأول مقال نعرضه له هنا مقاله عن (الرجل الصغير) .

(١) الأهرام ٥ من يناير سنة ١٩٢٨ نقلا عن نكرى فقيد الوطن المغفور له أمين
الرافعى ط الأولى ١٩٢٨.

(٢) الأعلام للزركلى.

والمقال فى جملة وصف لذلك الطفل المولود الذى يترأى
على محياه جمال خلق الله سبحانه فكل من ينظر إليه من أبويه أو
أقاربه يمتلئ قلبه بالسرور .

والمقال مشحون بالأفكار القوية ، بيد أن تكلف الكاتب فى
بعض عباراته أضاع كثيرا من حلاوة هذه المعانى ، ولو أنه أرسل
الكلام إرسالا فأتى به على سجيته لظهر فى مظهر أحسن .

أنظر مثلا إلى قوله : " وهو قلب الأب ، وعنوان كتابه ،
ورجاء شبابه ، وضنه من بين أحبابه ، يقطته لمستقبل عمل ، ونوم
فى رجولته أمل " (١) .

ولو تجاوزنا عن هذا لرأينا المقال فى جملة حلقة فى
الصياغة النثرية متشحة بالإيجاز ، مع تطعيم الأسلوب ببعض الصور
البلاغية التى يحاول بها الكاتب أن يعيد إلينا شيئا من بلاغة الأقدمين
وفصاحتهم .

وانظر إليه فى بداية مقاله لترى جمال التقسيم وروعة
الإستفهام الذى يثير يقظة فى المتلقى ، ولا عجب فهذه براعة
استهلال من الكاتب يشد بها انتباه السامع والقارئ فيقول :-

" أهو طفل وليد ساعته ، أم ملك . أم كوكب جديد طلع فى
هالته من فلك . فهذه غرته على رسم هلال ، وهذه طرته تبارك الله
ذو الجلال " (٢) . والكاتب يتنقل فى مقالاته الإجتماعية بين كثير من

(١) الحديقة جـ ١٤ ص ١٥٨ .

(٢) السابق ص ١٥٧ جـ ١٤ .

معطيات الحياة الإجتماعية فنراه فى مقاله السابق (الرجل الصغير) يشخص طابع الأمل حيال البرعم الصغير إلى مقاله اللاحق عن (عتاب صديق) فيوقفك على صورة من الواقع الذى يتقلب فيه الناس بين مودة إلى علاقة يعكس صفوها سوء الظن فتحدث القطيعة ثم يكون الخصام .

ولو تريث كل إنسان ينزع إلى ما تمليه عليه شهوة نفسه لأدرك أنه واهم .

ونقدم جزءا من مقاله (عتاب صديق) يبدأه الكاتب بخطاب صديقه الذى حالت الوشاية دون الود والوصال فيقول :

" صديقى الحميم : أما السلام فعلى ود أضعته ، وعهد نقضته ، بل على أيام شربنا فيها الصفو على غرة من الليالى ، وليال تساقينا فيها الحب على غفلات الأيام ^(١) .

ويستمر الكاتب فى مقاله على هذا النحو من الأسلوب السهل الممتع ليصل إلى نهاية مقاله فى تسلسل للمعانى ، فنذكر أن المقال وحدة متناسقة متناغمة يتسق فيها جمال اللفظ مع صدق المعنى وقوته .

والمقال صورة من العتاب الرقيق من صديق لصديقه تنفتح له القلوب ، وتستجيب له العقول ، لأن دافع الحرص على إبقاء الصداقة هو الذى أجرى هذه الكلمات على لسان من يخشى القطيعة بعد طول الونام .

والمقال فى إفتتاحه ينبىك عن معان طويت فى نفس المتكلم ،
يدركها القارئ ، وإن لم يصرح بها الكاتب .

وهذا لون من الإيجاز يقترب النشر به من طابع التركيز فى
الشعر .

ومرة أخرى يطالعنا فى اجتماعياته بلون من ألوان حديثه
يمتزج فيها الرضا بالإعجاب .

وإن عواطفه هنا تختلف عن ذى قبل ، فحديثه عن صديق
له يعاتبه تترأى لنا فيه نغمة الحزن والحسرة ولكنه العتاب اللين
الرقيق الذى يحرص فيه الصديق على استبقاء المودة لأن لها رصيда
سابقا .

أما مقاله عن (الصديق الكامل) فكله حب وعرفان لهذه
الصدقة التى تأكدت عبر سنوات ذاق فيها الصديقان لذة المودة ،
ونزاهة المعاملة وصدق المشاعر ولمسة الوفاء .

ولقد عدد فى مقال (الصديق الكامل) جملة خصال ترتفع إلى
صورة النقاء والطهر .

وماذا يعد هذه الأوصاف التى نوقف القارئ على جملة
منها :

" كان بصيرا بورد الأمور وصدرها كان أكرم ما يكون
للسر إذا باحت الألسنة من الأسرار بمصونها .. كان صلب العود

على النوب ، إذا رماه الدهر يبلوه بلى منه الخطب بالنفس المرة ..
والصدر الذى تضل فى ساحة صبره كل نائبة .. كان يقنع بالقليل ،
فما أكل فبلغ الشعب ، ولا شرب إلا دون الرى .. كان أملك ما يكون
لنفسه إذا رضى ، ولحلمه إذا غضب، ولجده إذا لعب ، ولوقاره إذا
طرب^(١).

ولولا خشية الإطالة لأوقفنا القارئ على كل هذه الصفات.

أما مقاله (مأساة مصرية) فهو لون آخر من التعبير عن
بعض وقائع الحياة الإجتماعية فى أسلوب قصصى .

ويكاد يصل هذا المقال إلى أن يكون قصة. ففيه الحوار
والعقدة والحل والشخصيات والمكان.

ويمكننا القول أن هذا العمل هو ما يسمى اليوم بالأقصوصة.

وقد استخدم الكاتب الكلمات استخداما فائقا ، حيث أدت
الألفاظ التى انتقاها والعبارات التى اختارها إلى استحضار لصورة هذا
الحدث ، وامتك من القارئ كل أحاسيسه ، ليصل إلى غاية التأثير
على القلوب فتعشش فيها الرحمة بدلا من الغلظة.

والحق أنه يشق علينا أن نتجزئ بعض المقال لإطلاع
القارئ على جمال السبك وحسن الأداء ، لأن لهذا المقال طبيعة
القص الذى يحتم على القارئ النظر فيه من أوله إلى منتهاه .

ولذا فإن من واجبنا هنا كتابة المقال بعد هذا التعليق.

وعود على بدء نقول : أن الكاتب فى مقالاته الثلاث
الاجتماعية (الرجل الصغير) و (كتاب صديق) و (مأساة مصرية) قد
جمع بين أسلوب السرد فى الأول ، وأسلوب الحوار فى الثانى ،
والأسلوب القصصى فى الثالث .

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الرجل يمتلك
وسائل وطرقا فى التعبير يمكنه من أن يلون الأداء ، فلا يقف عند
طريقة واحدة يجها ذوق القارئ ، بل يصوغ أفكاره عن طرائق
تطبع أدبه بطابع التجدد والقوة .

وإلى القارئ مقال (مأساة مصرية) :

" عرفت فلانة عليلة لم تكد تدع منها العلة بعد أن أبدلت
لونها ، وأحالت كونها وقد خرجت إلى الناس فى ثوب كأنه - لكثرة
ما تمزق منه - عرض ظنين ، لا بل كأنه كفن ألح عليه البلى ، وقد
لف منها على شبه دين .

وكان الجوع قد شد عليها حتى دارت فى رأسها عيناها
فبسطت يدها فانقبضت عنها الأيدي ، خلا يدا تحسن أن تنهب لا أن
تهب ، وهى يد الموت .

فمشت تتحامل لا تدري أين تذهب ، وكاد الجوع ينسخ ما
بقى منها فتسقاطت من الضعف والإعياء ، ثم جعلت تنهض نهوض
الحجة على لسان الألكن ، وقد نفضتها العلة كما ينفض الثوب .

وقد نظرت فإذا شاب آتق غرة من الدينار - وعليه مما
يلبس لونا الجنة والنار . فرنت إليه بعينين يموج فيهما الدمع شعرا ،
ويستحيل فيه الشعر دمعا ، لعله يرفدها . فذوى وجهه عنها ، وذهب
بنفسه ما يملك عطفه من الكبر والخيلاء ، فمشت من ورائه صامتة
وقد عقد الضعف لسانها وحل عقد صبرها . فجعل ذلك الضعيف بقوته
يحتث رجليه وضعفت تلك القوة بضعفها . تلاحقه حتى ملأت عليه
الطريق ، وكانت وجهه كيفما نظر فضاقت بها فدفعها فارتمت ، ونبتعت
من عينيها قطرتان هما كل ما يملكه الضعيف ، وحذر الذهول برقعها
عنها فإذا تحته وجه كالدينار الزائف فى صفرتة ، على قوام لو حط
عليه طائر لهدمه بجملته .

ولم تكد المسكينة تنهض من عثرتها حتى دعا الفتى شرطيا
فلباه مفتول الساعدين حاسرا عن الزندين ، وأقبل يشق الزحام إلى
الفتاة وحمل عليها كما يحمل الدهر على الحر ومشى يسوقها ، ويده
عليها أثقل من المن على الكريم وذهب الفتى ثملا بنشوة الظفر ،
وذهبت الفتاة إلى الشرطة ، كأنما كان يذهب بها إلى قبرها . على أنها
لم تجزع إذ كانت حياتها مرانا على الموت . ثم دار الفلك دورته
فرأيت تلك التى كانت معذبة بحياتها وقد صفقتها النعمة وبدا عليها
عز الغنى من ذلة الفقر وكانت تراول التمريض فى المستشفى .

فبينما هي فيه يوما إذ دخل خليل يشكو البطنة ، وقد ضربت فيه العلة فأنقلت ، وتمكنت منه فأعضلت. فتبينته فإذا هو صاحبها منذ عام وكان هذا الفتى نهما لا يرفع يديه عن الخوان أو يرفع الخوان أو من بين يديه.

أما الفتاة فنسيت موقفه حيالها وقامت بواجبها حياله ، وفيما هو يلفظ أنفاسه نظر فإذا صاحبتة تتوجع له في صمت ، وتتفجع عليه في سكون ولعله أراد أن يستغفرها ولكن الموت أعجله ، فكانت بطنته هذه عقوبة مسغبتها تلك^(١)

ومن حديثه عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية إلى حديثه عن اللغة العربية ، فيعلو زفيره وتتأجج مشاعره حرصا على لغة الضاد.

ويقدم الكاتب في هذا الاطار مقالين عنوان لهما باسم " اللغة والأمة " و " لغة الضاد ".

وفي مقالة الأول يدفع بالبراهين القوية والحجج الثابتة في وجه أعداء القصص ، والمفرطين في حق هذه اللغة.

ويبدأ مقاله ببيان قدر هذه اللغة للأمة فيقول : " اللغة من الأمة كالقلب من الجسم ، كلاهما لطف شيء وأدقه ، وكلاهما لا تكون بدونه الحياة ، وما من أمة خلعت دهرها لبسته فخرجت بذلك من

ماضيها ، وطلقت تعمل لحاضرها وتمهد لمستقبلها الا كانت لغتها معقدا لهذه الأطراف الثلاثة من التاريخ^(١)

والكلام هنا واضح جلي لا يحوج إلى التعليق ، وتكفى فيه الإشارة الموجزة إلى أنه يعنى أن حياة الأمة مرهونة ببقاء لغتها ، كما أن الجسم لا يبقى بدون قلب . والحكم على ذلك شامل للماضى والحاضر والمستقبل.

ثم يستطرد الكاتب إلى ذكر جملة من الحقائق التى لا يجادل فيها احد ، ولا يغفل عن مراميها الا أصحاب الأهواء الفاسدة والألباب المنحرفة.

يقول الكاتب : " ذلك أن اللغة من مشخصات الأمة الناطقة بها، فما فرطت أمة فى جانب لغتها الا كان ذلك ايذانا بفدح مصابها أو ايذانا بوشك ذهابها"^(٢)

ثم يعود لتأكيد مكان اللغة من الأمة فى أدوار حياتها إلى اللغة فيقول : الا أن اللغة تركة الماضى ، وغنى الحاضر وميراث المستقبل ، وهذه الثلاثة الأزمنة هى كل أعمار الأمم فى التاريخ.^(٣)

ويختم مقاله ببيان الجهود المبذولة من أولئك الكتاب الغيورين على لغة الأمة فيقول " ولقد أراق الكاتب كثيرا من المدا

(١) السابق ج ٥ ص ١٠٨ .

(٢) الحقيقة ج ٥ ص ١٠٨ .

(٣) السابق ص ١١٠ ج ٥ .

فى بيان أن اللغة هى الأساس الذى يقام عليه بنىان الوحدة فى كل جنس ، وأنها هى الصلة الحسية بين المتكلمين بها " (١)

وفى مقاله الثانى ينتقل إلى التخصيص بعد التعميم فيجعل من حديثه اللاحق تأكيدا لدور لغة الضاد فى بناء كيان الأمة العربية.

ولم يتوقف الكاتب عند بيان حاجتنا إلى هذه اللغة فى الحاضر ، إذ أن التاريخ يكشف عن التحول الذى أحدثته هذه اللغة فى ماضى الأمة العريق فيقول : " نزلت على السنة العرب فجرت على أسلاتها سحرا ، كل سحر غيره باطل ، ولا بدع فكل بلد هى حل به بابل.

أجل لقد انقطعت السنة من منابتها واجتثت لغات من أصولها فلم يبق منها الا اثار تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد ، وتلك اللغة تدور مع الفلك ، لا تخلق ديباجتها ولا يلم بها قدم. (٢)

ولبيان قوة هذه اللغة فإن تأثيرها فى أهل البلاء التى فتحها المسلمون لهُو اشد وأقوى من السيف.

"آية ذلك أنك ترى كيف عجز السيف على سعة الزمن أن يحول أمة عن لغتها ، وقد استطاعت ولم تجرد سيفا أن تشق لها طريقا إلى السنة أعياء على غيرها علاجها ، وتفتحهم العقبات إلى

(١) الحقيقة جـ ٥ ص ١١١.

(٢) السابق ص ١٥٠ جـ ٧.

قلوب كان محكما عليها رتاجها ، فكانها كانت دينا لفطرة الألسنة
ليكون بعد ذلك لسانا لدين الفطرة^(١).

وإذا كانت هذه اللغة قد احتضنتها شبه جزيرة العرب فى أول
أمرها وأخذت تمدّها هذه البيئة بكثير مما يعيش فى دروبها فوسعت
هذه اللغة كل معالم حياة أهل البادية فإنها أيضا تجاوبت مع كل جديد
فى كل ميدان مشّت إليه ، ولم تضق يوما بأى مصطلح من روافد
الحياة العلمية فكانت على حد تعبير الشاعر حافظ إبراهيم.

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أى به وعظمت

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدقات

يقول صادق عنبر : " لقد وسعت اللغة العربية ما تضيق
ببيانها هذه الأوراق فكانت وما فتئت تسائر كل آخذ بحجزاتها إلى كل
غرض يمشى إليه ، فلم تضق ذرعا باصطلاح ، ولا برمت بالكشف

عن معنى ولا نشرت على قلم غذته بلبانها ولا وقع بها العى دون
حاجة فلم تنهض ببيانها ^(١).

ويستطرد الكاتب إلى جملة حقائق عن اللغة فيسمو ببيانها إلى
مستوى يليق بالمقام حين يتحدث عن لغة البيان فيقول :-

. " أما أين بلغت فكل مبلغ : فقد تسربت بين العصا ولحائنها ،
وتغلغت بين الذرة وأجزائها ، ومادت العلم حبها ، وقد ظل ما بينه
وبينها مبلولا فلم يبيس الا حقبا معدودات وماذا عسى أن
يقول القائل فى لغة رقت حتى كأنها نفس الزهر ، ولطفت حتى كأن
ألفاظها بسمات ألحسان يعدن الوصل بعد الهجر ^(٢).

" محمد صادق عنبر وأدباء عصره "

وقسم آخر من أقسام مقالاته يخص الحديث فيها عن نخبة
من شعراء ، وكتاب عصره مثل : إسماعيل صبرى ، وأحمد شوقي ،
وحافظ إبراهيم ، ومحمود عماد. وجاء الحديث عن الآخرين متصلا
ببعض أعمالهما الأدبية.

فإذا كان حديثه عن إسماعيل صبرى ، وأحمد شوقي عاما
فانه قد خص مقاله عن حافظ إبراهيم بكتاب البؤساء فجعل عنوان
مقاله (سياحة فى كتاب البؤساء) وكذلك حديثه عن الشاعر محمود

^(١) الحقيقة جـ ٧ ص ١٥٣

^(٢) السابق جـ ٧ ص ١٥٣

عماد ، فإنه توجه فيه لتفريظ قصة "كليوباترا" وهى القصة الشعرية التى ضمها ديوان (عود على بدء)

ويضمن مقالاته عن الأدباء بعض الشذرات النقدية المجلدة مما نشير إليه فى حينه.

ولقد استهل حديثه عن إسماعيل صبرى ببيان مكانته بين شعراء عصره قائلا : " ثانى ملوك دولة الشعر فى هذا العصر ، وأجملهم فى هذا الملك سيرة ، وأفخمهم فيه أثرا" ^(١).

ويفصح عن أحقيته لتلك المنزلة قائلا : " قال الشعر للشعر لا للناس" ^(٢).

وفى هذه العبارة الموجزة تأكيد لما قرره النقد الحديث من قضايا الصدق ، أى صدق الشاعر لما يعتقد ، وما يتوافق مع أحاسيسه ومشاعره.

وأخذ يفصل القول فى موضوعات شعره ودوافعه ، فقال :
وكان أبدع ما يكون شعره وأشجى إذا أخذته هزة لذكرى صباه ، أو
حن إلى معهد كان فيه هواه . ولقد بكى الربوع حتى خيل لك أن
شعره دمع تفرق على ظلل بال ، وكاد يسمعك وجيب قلبه لذكرى
حبيب أو تذكر دار . وضحك للطبيعة . فأراك ابتسام تغرها وتضاحك
زهرها وشجاه هواه فأطلقك من قلبه على موضع ناره ،
وأسمعك رنين أوتاره ، وشكا تغير الصديق له فكان يزهدك فى

(١) الحقيقة جـ ٧ ص ٢٥٠.

(٢) السابق جـ ٧ ص ٢٥٠.

الصدقة والأصدقاء وإن كان علمك على ذلك كيف يكون الصفح والغفران^(١).

وتفصيل ما أجمله محمد صادق عنبر فى حديثه عن الموضوعات الشعرية للشاعر إسماعيل صبرى ، التى استجاب فيها لما تمليه عليه العواطف الصادقة تفصيل ذلك فيما يأتى :

أولا :- أن شعر إسماعيل صبرى أقرب ما يكون للطبع منه إلى شعر التصنع أو التصنيع.

ثانيا :- أن شعره قد خلا من التكلف المفتعل ، كما هو الشأن فى بعض القصائد التى عدها النقاد من شعر المناسبات ، ولذا فإنه " كان أشبه بالبلبل يرسل أغاريده الساحرة إذا ما جاشت فى صدره عاطفته ، أو تأثرت نفسه بحادثة ، أو خطرت له ذكرى "^(٢)

ويؤكد ذلك ويقرره الدكتور طه حسين حين قال فى أوجز عبارة: " ولم يكن صبرى يتخذ الشعر صناعة ، وإنما كان يتخذ لونا من ألوان الترف وفنا من فنون الامتياز الأدبى والعقلى الرفيع "^(٣)

ثالثا : التوافق التام أو الانسجام مع طبيعة الموضوع وهذا الانسجام يؤدى إلى صدق التجربة ، أو التجربة الصادقة.

(١) الحديقة ج ٧ ص ٢٥٠.

(٢) من كلام الأستاذ حسن رفعت فى افتتاحية ديوان إسماعيل صبرى - لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٣٨.

(٣) السابق ص ٧.

رابعاً : أن اسماعيل صبرى صاحب عاطفة إنسانية رفيعة
تستجيب لدوافع التأثير علي تعدد صورته وأشكاله فهو صاحب عاطفة
جياشة.

خامساً : تميزه بين شعراء عصره في طرقه لموضوعات
أوحى بها واقع الحياة التي عاشها ، فجاء شعره يحكى نمط حياته ،
وألوان تصرفاته. وإذا كان الكاتب محمد صادق عنبر قد ترك القارئ
أمام الديوان يقرأه ويتأمله ، ليطابق بين ما ذهب إليه وواقع شعر
إسماعيل صبرى فإنا نقدم بعض أمثلة للشاعر توضح ما قرره
الكاتب.

يقول الشاعر^(١):

يا سرحة بجوار الماء ناضرة

سقاك دمعى إذا لم يوف ساقيك

عار عليك — وهذا الظل منتشر

فئك الهجير بمثل فى نواحيك

فمن معيرى جناحى طائر غرد

كى أقطع العمر شدوا فى أعاليك

فلا أنفر عن أرض غرست بها

ولا يرن بصوتى غير واديك

(١) ديوان إسماعيل صبرى ص ١٢٨، ١٢٩.

ويقول : (١)

إذا خاتنى خل قديم وعقنى

وفوقت يوما فى مقالته سهمى

تعرض طيف الود بينى وبينه

فكر سهمى فأنثيت ، ولم أرمى

ويقول : (٢)

إذا ما دعا داع إلى الشر مرة

وهزت رياح الحادثات فئاتى

ركبت إليه الحلم خير مطية

وسرت إليه من طريق أناتى

وإعجابه بشعر إسماعيل صبرى لم يمنعه أن يبوح عما فى
شعره من هنات تعود إلى الدلالة اللغوية للكلمات واتساقها مع سياق
المعنى .

ويختم مقاله برسم صورة جامعة لشخصية الشاعر فيقول : "
أما خلق إسماعيل فخلق كرام الناس ، فقد كان سمح النفس كبيرها ،
طلق المحيا بسامه ، وفيها أمينا على شيوخ الغدر فى الناس ، جم

(١) السابق ص ١٤٤ .

(٢) ديوان إسماعيل صبرى ص ١٣٧ .

التواضع على رفعة وقد بلغ من تواضعه ان ينكر على نفسه شاعريتها ، ويصغر من شعره ما يكبره الشعراء . وكان رواية واسعة الحفظ حاضر خاطر ، سرى الملكة ، وأن بديهته لتفضل رواية كثير من الشعراء^(١).

وجاء مقاله عن شوقي أكثر إيجازا من سابقه ، إذ تكلم فيه عن العبقرية كمقدمة للحديث عما تحلى به شوقي من صفات بز فيها أقرانه ، ولم يجد ما يشبهه في عالم الشاعرية غير المتنبي ، فهما رمزان قد تفردا في عالم الشعر.

وتم يتوسع الكاتب في تبين مظاهر عبقرية شوقي في شاعريته ، وإنما أوجز الحديث عن زاوية من جملة ما كان ينفرد به شوقي بين معاصريه فأطلعنا على براعته ودقته في وصفه فقال: " وقد وصف شوقي ما دق كما وصف ما جل ، وصور ما خفى كما صور ما بدا ، ومثل ما بعد كما مثل ما دنا ، وما لم ير كما قدر أن يرى .. أما وصفه لما دق وخفى فإنك لتصيب من ذلك وصفه لهمس السر في ساحة السريرة . وأما تصويره لما جل وما بدا فإنك واجد من ذلك في تصويره الأفخم بين طبيعتين كلتاها خيال للأخرى وكلتاها إذا شئت حقيقة منها^(٢) "

وأكتفى هنا بالكلام النظري تاركا للقارئ حرية الوقوف أعم شعر شوقي يتخير منه ما يشاء.

(١) السابق جـ ٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٢) الحديقة جـ ٩ ص ١٥٠ .

ثم راح الكاتب يتكلم عن موقف النقاد حيال شعر المتنبى وشوقي فأرى إجحافا من بعض النقاد فى تقدير مكانة كل منهما .

وكان السبب فى ميل النقاد عن الجادة فى أحكامهم أنهم " تنقصهم الحاسة الفنية ... وهى القوة التى تتميز دقائق هذا الفن ، وتبين أسرار هذه الدقائق ، وتتعرف مكامن هذه الأسرار "(١).

والذين ينكرون على شوقى مكانته يقرون فى حقيقة الأمر لما تعارف عليه أصحاب الفكر المستقيم يقول الكاتب: فليس الإنكار على لسان المنكر إلا ضربا من الإعتراف ، ولكنه اعتراف مقلوب. وإن الحقيقة لتتبرج فى منطق المكابر ، ولكن فى معرض التمحل والمكابرة "(٢).

وينتقل من حديثه عن إسماعيل صبرى وأحمد شوقى إلى حديثه عن حافظ إبراهيم ومحمود عماد.

وحديثه عن الأخيرين يأخذ منحى يتباين فى عرضه عن السابقين ، كما أشرنا من قبل.

فلقد ربط حديثه عن حافظ بنظرته فى كتاب البؤساء فأطلعنا على علو شأن حافظ فى صياغة القصة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية.

(١) الحديقة ج ٩ ص ١٥٢.

(٢) السابق ج ٩ ص ١٥٣.

وبدت براعة حافظ فى نقله القصة من لغة إلى لغة أنه استطاع أن يتمثلها فى نفسه أولا ، ثم خرجت على لسانه كشاع سطع على أفق الأدب العربى سطوع الفجر فى الأفق ، فكان فى ترجمته فكر الوحي كما كان فى أصله وحي الفكر.

ولكى يتقرر لك ما رآه الكاتب بشأن دور حافظ فى هذا العمل فإنه يتحدث عن شأن بعض المترجمين من الفرنسية إلى العربية فيقول: " ولقد نقل المترجمون من تلك اللغة إلى هذه ما نقلوا وإن منهم من أحالوا العربية إلى فرنسية ... على أن من المترجمين من يمزق من اللغة التى ينقل منها ليرفع اللغة التى ينقل إليها فيترك إحداها عارية تتوارى ، ويترك الأخرى - وهى كاسية - أشد تواريا. وقد نجد من هؤلاء من ينقل صحيحا ويؤدى فصيحاً ، بيد أن فوق هذه المنزلة منزلة أخرى فى الصياغة العالية تشرف على نفسك بالمعنى المنقول من موقع الطرب ، حتى لتحس من فرط الروعة والإعجاب أنه وحي يوحى " (١) .

وإن شأنه فى حديثه عن قصة " كليوباترا " لمحمود عماد كشأنه فى تعليقه على كتاب "البؤساء" لحافظ إبراهيم .

فموقفه فى تقديمه للأثرين موقف المقرظ الذى يهمله أن ينقل إعجابه للقارئ معللاً أحيانا لهذا الإعجاب ، وطاويى علّة إعجابه حيناً آخر.

وموقفه هنا يختلف عنه فى مواقفه النقدية. ففى نقده السابق لشعر إسماعيل صبرى لم يتوقف عند جملة المزايا بل شفع ذلك ببيان بعض خطئه.

ولعل المجال هناك (أى فى حديثه عن شعر إسماعيل صبرى) أوسع من المجال هنا ، فهو يبدى استحسانه فى عبارات موجزة ، تاركا النظرة المتأنية لموقف ومجال آخر .

ونحن لا نعترض على الكاتب فيما ادعاه ، ولكننا نفرق بين موقفين: موقف الناقد ، وموقف المقرظ .

ولننقل جملة من كلامه عن قصة " كليوباترا " يقول الكاتب:
لقد عرفتك أمس مبتكرا فى الشعر ، ترسله كأنه من قلب الغيب
خطرات ، بل كأنه من أعين الوحي نظرات. واليوم أعرفك مبتكرا فى
التأليف ، فأنى تناولت من كتابك مرآة أبصرت فيها مصر الغابرة كلها
... ولقد عكفت على كتابك آخذ منه قدر ما ياخذ منى ، وأنا أجد كل
قطعة ... كأنها فن يرف عليه زهره ويتألف عليه ثمره. ولقد أحسنت
إلى التاريخ بما ذدت عن وضوح حقيقته من الأوهام ، كما أحسنت إلى
الأدب العربى بتلك الكلم التى لطفت فكانها أنفاس الزهر^(١).

(١) عود على بدء . شعر محمود عماد ص ١٥٨، ١٥٩ المؤسسة المصرية

العامية للتأليف والنشر سنة ١٩٦٧.

محمد صادق عنبر وآرائه النقدية

إذا كان قد أطل علينا كاتبنا في مقالاته السابقة عن فريق من الأدباء ببعض نظراته النقدية فهو في مقالاته اللاحقة يؤسسها على أحكام نقدية شغلت حيزاً من تفكيره ، وكانت مجال تحاور لدى النقاد.

ومن مقالاته في هذا الصدد نعرض لمقاله (ما بين النظم والشعر) ومقال (أدب في المذهب ، لا مذهب في الأدب) وفي مقالته الأول يوضح الفرق بين النظم والشعر كما عرفه الخليل بن أحمد " إنه الكلام الموزون المقفى . " أما الشعر ففيه من الديباجة والمعنى ما يرتفع به عن مجرد نظم كلام على وزن وقافية . وهو لا يخطئ الخليل ابن أحمد ، لأنه نظر إلى الشعر من جهة بنيته وقوافيه ، فعرف القالب الذي يفرغ فيه .

يقول الكاتب في مطلع مقاله:

" ما عرف الخليل الشعر إذا قال : " أنه الكلام الموزون المقفى . ولكنه نظر إليه من جهة بنيته وقوافيه ، فعرف القالب الذي يفرغ فيه وذلك هو النظم . نعم إنه عرف النظم وحده وبقي الشعر على حده ، ولو كان الشعر كما قال لكانت الشاعرية بين القافية والوزن لا في الديباجة والمعنى ، ولكن كل من وضع قافية وأقام وزناً شاعر .. (١) .

ثم شرع فى بيان عمل النظامين الذين وقفوا عند حد الظاهر من كلام الخليل فظنوا أن معرفة بحور الشعر كالخفيف والبسيط والكامل والوافر تؤهلهم لمرتبة الشاعرية. يقول عنهم: " ولعل تعريف الخليل هو الذى حدا جماعة النظامين على النظم ، فما يكاد أحدهم يقف بهذا الباب ويلم بالخفيف والثقيل من الأسباب حتى يغلمر فى النظم يحسبه شعرا " (١).

ثم وجه كلامه إلى نقد أمثله من شعر أولئك النظامين فنظر إليه من جهة لفظه وديباجته وخياله.

والكلام الذى يسوقه الكاتب هنا إستنتاج لقراءته ومعايشته لنتاج هؤلاء الذين ادعوا الشاعرية.

وموضع الزلل فيما ينظمه هؤلاء أن أحدهم يخرج " بأسطار فى شكاية الهوى فإذا نفضها على مسمعك مر به منها فى ألفاظ متنافرة شد إلى أوتار من الوزن وثاقها ورأيت ديباجة كأنها الطلل البالى ، وبصرت بالخيال يظل يساير صاحبه فأونة تحت قدميه وأخرى إلى أحد جانبيه " (٢).

وأخر يجيبك بكلام موزون مقفى فى الحماسة فإذا جلس إليك طلق برميك منه بما يغرى بك الكرى ، ثم نقلك على جناح من خياله إلى أحد القطبين فافترقتما وكلاهما فى مكانه قائم ... ويلقاك ثالث ... بثالثة الأثافي فى وصف الحرب وهولها ، فإذا أعرته أذنك سمعت

(١) السابق جـ ٣ ص ٢١٤.

(٢) الحقيقة جـ ٣ ص ٢١٥.

براعة مطلع . عتاب حبيب أو شكوى رقيب ، فإذا جاوز المطلع
وانحدر إلى ما يليق لم يزد على أن يريك صديقين يتعانقان ، لا
جيشان يقتتلان ^(١)

ويعقب على هذا الكلام السابق بوضع المقاييس والقواعد
النقدية التي تأخذ بأيدي هؤلاء ، إلى المنزلة الصحيحة بين الشعراء
فيقول لمن يقرض الشعر في الغزل : ... لو كان شاعرا كما زعم
لأطلعك من قلبه على موضع ناره ، وأسمعك منه رنين أوتاره ^(٢) .
وهذا ما يسميه النقاد " بالصدق الفني " .

ويقول عمن يقرض في الحماسة " ولو كان شاعرا كما يقول
لهز من قلبك وترا جامدا ، وابتعث من عزمك ما كان خامدا ،
واقترادك بحاد من شاعريته إلى السبيل التي يريد ^(٣) .

وعن الثالث الذي يصف الحرب " ولو كان شاعرا لدرج
بنفسك بين مسل السيوف ومسيل الحتوف ، وخاض بها من شعره
بحرا من الدم ، ثم مشى بها على جسر من الأضلاع ^(٤) .

والكاتب كما تلاحظ معي هنا يركز على جملة من القضايا
النقدية المقررة من مثل صدق العاطفة وقوتها ، وعدم التكلف

(١) السابق ج ٣ ص ٢١٦ .

(٢) الحقيقة ج ٣ ص ٢١٦ .

(٣) السابق ج ٣ ص ٢١٦ .

(٤) الحقيقة ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

والإدعاء ، أى أن يعايش الشاعر موضوعه فى تجربة صادقة ، لا
مبالغة فيها ولا فتور .

ويطبق على ثلاث من موضوعات الشعر كالغزل والحماسة
ووصف الحرب .

وهذه الموضوعات من أقوى وأغزر الموضوعات فى تحريك
الشاعرية وإمداد الشاعر بالمعانى المتدفقة .

ويواصل الكاتب القول فى التمييز بين النظم والشعر فيوقفنا
على خاصية يلحظها القارئ حال السماع للشعر فيقول: " ومن أراد
أن يميز ما يمر بسمعه من القول ليعرف أشعر هو أم نظم ؟ فإذا شعر
أن فى كل بيت من معانيه محيا جميلا يشرق من نافذته وحسنا
يتفرق على قافيته فلم يتمالك أن يهش له ويضطرب ، وينقاد إلى
الشاعر بزمام ، فذلك هو الشعر ، وإن مر به القول فلم يحدث فى
نفسه من الأثر إلا مثل ما يحدثه مر الطائرة فى الهواء ، ولم يجد فيه
من روعة الشاعرية ما يشغف به القلب حنانا أو يصيب من النفس
مكانا ، فذلك هو النظم " (١).

وهكذا نرى أسلوب المقابلة بين الناظم والشاعر حيث يشق
الكاتب القول تشقيقا يستجلى القارئ من ورائه أهم الصفات الكاشفة
لحال الفريقين.

أما مقاله (أدب فى المذهب ، لا مذهب فى الأدب) فهو فى اختصار - رد على سؤال توجه به الكاتب الألمعى (عبد العزيز البشرى) .

وكان البشرى قد استفتى بعض فحول الكتاب فى هذا الذى يدعى أدبا جديدا. ومن بين هؤلاء المسئولين كاتبنا (محمد صادق عنبر) .

وجاءت إجابته بعد براءة إستهلال لتحدد فحوى هذه الدعوى من أرباب من وصفوا أنفسهم بأنهم من أنصار الجديد .

وبداية إجابته تفصح عن موازنة دقيقة بين مفهومين للتجديد فى الأدب :-

أولهما : دعوة الصفوة من الأدباء إلى الأصالة والعمق والقوة .

وثانيهما : دعوة الإحراف بالأكذب ولغة الأدب عن الذى تعارفت عليه الأجيال ، واستقر عليه رأى لدى عمالقة الأدب .

وعن المفهوم الصحيح للتجديد يسوق الكاتب عبارات تكشف عن العمد التى يؤسس عليها العمل الأدبى فيقول : ... لا أعرف فى الأدب مذهبا جديدا وإنما أعرف من صفوة من أدبائنا من دعوا إلى نسق يوزن فيه المعنى بمعياره ، أو يعتبر فيه اللفظ بمقداره ويتره

به الكلام عن الفضول أيا كان مأتاه . ويرد ذلك إلى الإبداع لا غير ... «(١).

أما المفهوم الآخر فهو لدى آخرين أولوا هذه الدعوى على نحو ما ولا عذر لهم ، لأنهم يجهلون الأدب العربى . يقول عن هؤلاء:

" ولكن آخرين جهلناهم قراء ، فأرادوا أن نعرفهم كتابا أولوا هذه الدعوة على نحو ما ، فجعلوها عذرا عن جهلهم بالأدب العربى جملة وتفصيلا ، ثم قوى عندهم هذا العذر حتى عاد رأيا . وسرعان ما فتنهم ما رأوا ، فبصرنا بهم وبين أنامل كل من يخط منهم مثل قرن الوعل ، يحاول أن يضرب به فى الجبل ، ثم ما لبثنا أن سمعنا أن هناك مذهباً جديداً «(٢).

وأنت ترى فى مضمون كلامه سخريته من أرباب الدعوة الذين يحدون بالأدب إلى القوضى.

ثم يسترسل فى مقاله إلى أن أنصار المذهب الجديد هم دعاة العامية المعربة.

وراح يكشف عن نواياهم والغايات التى يخططون لها فقال عنهم: " هم يريدون العربية بلا قواعد ثابتة ، لينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة ويبغونها عوجا ... وقصارى أمرهم أنهم يريدون أن

(١) الحديقة ج٤ ص٧١

(٢) الحديقة ج٤ ص٧١

يفصلوا هذه اللغة على قياس آخر من خطرات أقلامهم ، وهجسات أحلامهم ويزعمون على هذا ... أنهم يحررونها من رقها القديم^(١).

والمقال كما يرى المطلع عليه أن الكاتب استفتحه بالحديث العام عن الأدب الهادف وأنصار الدعوة إلى الإحطاط ثم يتحول من العام إلى الخاص فيتحدث عن لغة الأدب وبيان المحاولات لإضعاف الأدب من أهم ركن فيه وهو اللغة ... ولا يستقيم الأدب إذا تصدع أسس بنيانه.

وبعد هذا العرض لجملة مقالات الأديب محمد صادق عنبر يمكننا إيجاز القول في أهم ما يتميز به أدبه موضوعيا وفنيا.

فمن الناحية الموضوعية رأينا الكاتب تنقل في حديثه بين الموضوعات الاجتماعية والنقدية.

أما اجتماعياته فقد دعا من خلالها إلى التمسك بالقيم الصحيحة والمبادئ الرفيعة من مثل الرحمة والعطف والصدق والإخلاص ، كما نهر من جملة رذائل وآفات تصيب أبناء المجتمع فتحول دون إقامة مجتمع نظيف.

وأما مقالاته النقدية فقد تفرع فيها الحديث إلى قضايا اللغة العربية والشعر.

وإذا كان قد ركز في حديثه عن اللغة على أهمية الحفاظ على الفصحى أمام دعوات الإحراف بها إلى العامية وغير ذلك ، فإنه قد

فصل القول فى قضية الشعر والشعراء فأفصح حديثه عن مفاهيم نقدية ساقها فى نظريات يدعو إلى تطبيقها أحيانا مستخلصا إياها من واقع تطبيقي أحيانا أخرى.

وموافقة النقدية النظرى منها والتطبيقي لتكشف عن سعة ثقافته ومدى دقته وفهمه.

ولم يتحيز الكاتب فى آرائه النقدية لفريق دون آخر بل كان رائده دائما الاحتكام إلى المنطق الصحيح والواقع المقرر.

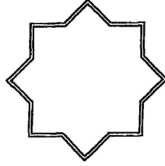
ومن الناحية الفنية فقد تميز أسلوبه بطابع الإيجاز غير المخل فلا استطراد ولا حشو ، وقل أن نجد عبارة يستغنى عنها السياق ، أو جاءت زائدة عن المعنى المقصود.

ومما ظهر لنا من أسلوب الكاتب ذلك الأسلوب التصويرى الذى يبتعد فيه عن التقريرية المموجة ، ليشد انتباه السامع ، ويشد ذهن القارئ ، فيحدث التجاوب التام بينه وبين المتلقى.

ومن الظواهر البارزة لأسلوبه تلك المقابلات التى بنى عليها كثيرا من تراكيب كلامه. مثل قوله — فبسطت يدها فانقبضت منها الأيدى وقوله : وبدا عليها عز الغنى من ذلة الفقر ، وقوله : فجعل ذلك الضعيف بقوته يحتث رجله وضعفت تلك القوية بضعفها تلاحقه.

ومن الطابع العام لأسلوبه تراوحه بين الترسل والسجع ومزاوجته أيضا فى كلامه بين طول الفقرات وقصرها. فلا يقف عند طريقة واحدة فى عرض أفكاره ، وإنما يتشكل فى أسلوبه وفق ما يقتضيه السياق.

بسم الله الرحمن الرحيم



أمثلة المبالغة بين القياس والسماع

دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى

إعداد

الدكتور / عادل محمد على الطنطاوى.

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية

بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين وبعد

فقد تميزت اللغة العربية بين سائر اللغات برحابة صدرها ، وغزارة موادها ، وقدرتها على الغوص وراء المعانى الدقيقة ، ودقتها فى التعبير عن خلجات الصدور ونبضات القلوب ولذلك ظلت الروضة الغناء التى يستروح الأديب شذا أساليبها ، ويسحر البلاغى جمال رونقها وترتيبها ، ويبهر النحوى دقة تنسيقها وتركيبها وصيغها وأمثلتها ومن بين هذه الصيغ والأمثلة التى استوفقتنى وأبهرتنى "أمثلة المبالغة بين القياس والسماع دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى" وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها : أن المشهور فى هذه الصيغ أنها خمس صيغ ولكنى وجدت أن العلماء لم يتفقوا على ذلك بل جعلها بعضهم ضعف هذا العدد بل أكثر منه . ومنها : أن العلماء قد اختلفوا حول القياسى والسماعى من هذه الأمثلة فمنهم من جعلها كلها مقيسة ، ومنهم من جعل ثلاثة فقط مقيسة والباقى سماعى فأحببت أن أعايش ذلك دراسة ومناقشة من خلال الأسلوب العربى . ومنها : كثرة ورود هذه الأمثلة فى القرآن الكريم وأكثرها وروداً صيغة "فَعَّالٌ" ومنها : ما ورد من صفات الله تعالى على صيغة المبالغة والمعلوم أن صفات الله تعالى متناهية فى

الكمال لا تقبل الزيادة ولا النقصان فأردت أن أقف على تخريج ما ورد من صفات الله تعالى على هذه الصيغ وخاصة مثل قوله تعالى : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ ^(١) . ومنها : كثرة ورودها في الأساليب العربية حيث يقولون في مقام المدح : فلان علامة وفهامة وفَعَال للخير . ومنها : أن هناك اشتراكاً بين بعض صيغ المبالغة وغيرها من الصيغ الأخرى كاشتراك صيغة "فَعَال بين المبالغة والنسب فكيف نفرق بينهما ؟ واشتراك صيغة مِفعال " بين المبالغة والنسب والآله فكيف نفرق بين هذه الصيغ في الأساليب . واشتراك صيغة " فَعِل " بين المبالغة والنسب كذلك ، واشتراك صيغة "فَعِيل" بين المبالغة والصفة المشبهة . كل ذلك دفعنى الى اختيار هذا الموضوع فأحببت أن أعيش معه متتبّعاً في ذلك آراء العلماء وأقوالهم واختلافهم بداية من سيبويه (ت ١٨٠ هـ) (رحمه الله) ومنتهاً بالمجمع اللغوى القاهرى ، مؤيداً رأى الراجح بالدليل والحجة ومستشهداً على ذلك بآيات القرآن الكريم ، وبما ورد عن العرب شعراً ونثراً .

وقد جاء هذا البحث فى ستة مباحث تسبقها مقدمة ذكرت فيها سبب اختيارى لهذا الموضوع ، والمنهج الذى سرت عليه وتتلوها خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى أنتهى اليها بعد هذا الجهد ، ثم فهرس المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فيه .

المبحث الأول : تعريف صيغ المبالغة والمشهور من أوزانها
خمسة قياسية .

المبحث الثانى : آراء العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة .

المبحث الثالث : الخلاف بين العلماء فى أعمال "فعل" و "فعل" .

المبحث الخامس : صيغ المبالغة فى القرآن الكريم .

المبحث السادس : اشتراك بعض الصيغ بين المبالغة وغيرها .

وقد بذلت فى هذا البحث كل ما استطعت من جهد ، ولم أدر وسعاً
فى إعداده ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وهو
حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

د/ عادل محمد على الطنطاوى

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية

بالمنصورة

تمهيد

قبل أن أبدأ فى الحديث عن المباحث التى تتحدث عن أمثلة المبالغة من حيث عددها والاتفاق والاختلاف فى العامل منها ، والقياسى والسماعى من هذه الصيغ ينبغى أن أقدم تعريفاً موجزاً عن المراد بالسماع والقياس فعنوان البحث "أمثلة المبالغة بين القياس والسماع دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى " وذلك حتى يتضح مفهوم القياس والسماع لدى القارئ .

أما السماع فقد عرفه الإمام السيوطى (ت ٩١١ هـ) (رحمه الله) فقال : "وأعنى به : ما ثبت فى كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل كلام الله تعالى ، وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيه " صلى الله عليه وسلم " وكلام العرب قبل بعثته وفى زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين ، نظماً ونثراً ، من مسلم أو كافر ، فهذه ثلاثة أنواع لا بد فى كل منها من الثبوت " (١) .

أما القياس : فقد عرفه فقال : "قال الأتبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى جدله : "هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه " قال : وهو معظم أدلة النحو ، والمعول فى غالب مسائله عليه ، كما قيل : "إنما النحو قياس " يُتَّبَع " ولهذا قيل فى حده : إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب . وقال صاحب

(١) انظر (الاقتراح فى أصول النحو للسيوطى ص ٤٨ .

المستوفى: كل علم ، بضعه مأخوذ بالسمع والنصوص
، وبعضه بالاستنباط والقياس ، وبعضه بالانتزاع من علم آخر " (١).
وعرف بعضهم القياس فقال : " بأنه استنباط القوانين التسي
يجرى عليها العرب الخلف في كلامهم ليؤمن باحثانة اللحن والخطأ
اللغوى عامة . وقد كانوا يعنون بالقياس جملة ما يستظهرونه من
التأمل في واقع الكلام من أحكام وأوضاع كما يطلقونه أيضاً على
أسلوب النظر في الكلام لاستخراج هذه الأحكام والأوضاع ونظمها في
قوانين خاصة تضبطها " (٢) وقال بعضهم : القياس "قانون مستنبط
من تتبع لغة العرب ، أعنى مفردات ألفاظها الموضوعية وما في
حكمها كقولنا : كل واو متحرك ما قبلها تقلب ألفاً ، ويسمى قياساً
صرفياً كما في المطول في بحث الفصاحة ، ولا يخفى أنه من قبيل
الاستقراء العقلي ، فعلى هذا : القانون المستنبط من تراكيب العرب
إعراباً وبناء يسمى قياساً نحوياً " (٣)

وعرف الجرجاني (ت ٧٤٠ - ٨١٦ هـ) القياس فقال : "ما يمكن أن
يذكر فيه ضابطة عند وجود تلك الضابطة يوجد هو(٤) وعرف
السمع فقال : هو ما لم تذكر فيه قاعدة كلية مشتملة على جزئياته.
وعرف ابن منظور (ت ٧١١ هـ) السماع فقال : ما سمعت به فشايع

(١) انظر المرجع السابق ص ٩٤ والقياس في النحو ص ٢٠ / من إليس .

(٢) انظر القياس في النحو ص ٢٠

(٣) انظر المرجع السابق ص ٧٩ .

(٤) انظر التحقيقات للجرجاني ص ١٦٠، ص ٢٢٣ .

وَتُكَلِّمُ بِهِ ^(١) وَبَعْدَ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ لِلسَّمَاعِ وَالْقِيَاسِ تَكُونُ قَدْ
اتَّضَحَتِ الرُّوْيَةُ لِلْقَارِئِ عَنِ الْمَرَادِ بِهِمَا عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ
عَنِ الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ وَهُوَ تَعْرِيفُ صَيَغِ الْمِبَالِغَةِ وَالْمَشْهُورِ مِنْ أَوْزَانِهَا
خَمْسَةُ قِيَاسِيَّةٍ .



^(١) انظر اللسان سمع .

المبحث الأول

تعريف صيغ المبالغة والمشهور من أوزانها خمسة قياسية
الأسماء التي تعمل عمل الفعل عشرة : المصدر واسم الفاعل وأمثلة
المبالغة واسم المفعول والصفة المشبهة واسم الفعل والظرف
والمجرور المعتمدان واسم المصدر واسم التفصيل والمقصود
بالحديث من هذه الأسماء في هذا البحث أمثلة المبالغة لأمر سبق
ذكرها في المقدمة .

أما المبالغة فقد عرفها الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) فقال :
"أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي
قصده وهي ضربان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة
ومنه قوله تعالى "يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ" ولو لم تَمَسَّ نَارَ" (١) وقوله
تعالى "وَلَا يَنْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ" (٢)
ومبالغة بالصيغة : وصيغ المبالغة : فعلان كالرحمن وفعليل كالرحيم
وفعّال كالتواب والفقار وفُعول كغفور وشكور وفِعِل كجذر وأشبر
وفعال بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار وفَعَلَ كلبد وكَبِرَ وفُعِلَى
كالعليا والصنى وشورى والسوعى" (٣)

وعرفها الإمام الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) فقال : المبالغة هي
أن تثبت للنشئ أكثر مما له" (٤)

(١) التور / ٣٥ .

(٢) الاعراف / ٤٠ .

(٣) أنظر (الافتان في علوم القرآن ٢/ ٢٥٣) .

(٤) أنظر البرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٠٧ .

وبالتأمل فى كلام الإمام السيوطى نجد أنه عرف
المبالغة وأنها تكون بالوصف حتى تخرج إلى حد الاستحالة وأنها
تكون بالصيغة وقد جعل صيغ المبالغة تسع صيغ فقد زاد على
المشهور أربع صيغ فالمشهور أنها خمسة أوزان قياسية .

وعرف صاحب التبيان فى تصريف الأسماء أمثلة المبالغة
فقال : "هى صيغ تأتى بدلاً من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة فى
معنى الفعل وذلك أن صيغة فاعل تحتمل فى دلالتها على الحدث القلة
والكثرة ، فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث ، كما أو كيفاً حولت
فاعل إلى إحدى هذه الصيغ وهى : فعَّال كغفار وعَلَمَ وتَوَّاب ، فعُول
كغفور وشكَّور ويستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال امرأة صبور
ورجل صبور ، ومِفعال نحو : مَنحاز ومِهْذار وهو أيضاً مما يستوى
فيه المذكر والمؤنث وفعل كعليم وبصير ، وفعل كحذر . وتسمى هذه
الصيغ أمثلة المبالغة ، لأنها تدل نصاً على المبالغة فى الحدث وهى
لا تسعمل إلا حيث يمكن التكثير ، فلا يقال : مَوَات لزيد ، ولا قَتَّال
لعلى ، بخلاف مَوَات وقَتَّال للأعداء " (١) .

وفائدة أمثلة المبالغة كما يقول الإمام الزركشى : "تجئ اللفظة
الدالة على التكثير والمبالغة بصيغة من صيغ المبالغة كفعَّال وفُعِيل
وفعلان ، فإنه أبغ من فاعل ويجوز أن بعد هذا من أنواع الاختصار ،
فإن أصله وضع لذلك فإن "ضروباً" ناب عن قولك : ضارب وضارب
وضارب" (٢)

(١) انظر التبيان فى تصريف الأسماء أ د / أحمد كحيل ص ٦٣ .

(٢) انظر البرهان للزركشى ٥٠٢/٢ .

فمن يتأمل حديث الإمام الزركشى يجد أنه بين فائدة
أمثلة المبالغة وأنها نوع من أنواع الاختصار فاللفظة الواحدة تدل
على الكثير والمبالغة ولا شك أن قولك "ضروب" فيه إيجاز
واختصار من قولك : ضارب وضارب .

وإذا كان المشهور في أبنية المبالغة بأنها خمسة أبنية فقد
جعل الإمام السيوطي في المزهرة أبنية المبالغة اثني عشر بناء فقال :

"قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) في شرح الفصيح : العرب
ثبني أسماء المبالغة على اثني عشر بناء : فَعَال كَقَسَاق . وفَعَلَ
كَغَدَرَ . وفَعَال كَغَدَار . وفَعُول كَغَدُور ومِفْعِيل كَمِغْطِير . ومِفْعَال
كَمِغْطَار . وفَعْلَة كَهَمْزَه وَلَمْزَة . وفَعُولَة كَمَلُولَة . وفَعَالَة كَعَلَامَة
وفاعلة كراوية وخائنة . وفَعَالَة كَبَقَاقَة ، للكثير الكلام . ومِفْعَالَة
كمجزاة (١) .

فمن يتأمل هذه الأبنية يجد أنه جعلها اثني عشر بناء ووجدت
صيغة فَعَالَة كبقائه مضبوطة بتشديد العين - وعلى ذلك يخیل
للقارئ أن هناك تكرار في كلام ابن خالويه لأنه ذكر فَعَالَة بتشديد
العين قبل ذلك نحو : علامة ، ولكن بالرجوع إلى اللسان والقاموس
- بقی - وجدت أن - بَقَاقَة - مخففة العين رجل بَقَاقه - أى كثير
الكلام والهاء للمبالغة ، وعلى ذلك فلا تكرار في كلام ابن خالويه
وإنما حدث اللبس إما من السيوطي في نقله في المزهرة وإما من
ضابط المزهرة .

(١) انظر المزهرة ٩٢/٢٤٣ .

وقد جعل أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) أمثلة المبالغة سبعة

فقال تحت باب المثال :

"والمثال : هو ما حول من اسم الفاعل للمبالغة الى فِعُول ، وفِعَال ، ومفعال وفِعِيل وفعل وفَعِيل ، وفَعَال ^(١) . فمن يتأمل كلامه يجد أنه زاد صيغتين على المشهور بين العلماء أنها خمس صيغ قياسية .

ويدل على أنها خمس صيغ ما قاله سيوييه رحمه الله (ت ١٨٠ هـ) وهو يتحدث عن صيغ المبالغة وأوزانها وعملها :

"وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبا لغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل ، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى : فِعُول وفَعَال ، ومفعال ، وفعل وقد جاء فعيل كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز في فاعل من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار لو قلت : هذا ضروب رعوس الرجال وسوق الإبل ، على : وضروب سوق الإبل جاز كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا . تضرر وضارب عمرا ^(٢) .

^(١) انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ - ١٩٤ .

^(٢) انظر الكتاب ١١٠/١ هارون .

فمن يمعن النظر فى كلام سيوبه يجد أنه جعل صيغ المبالغة
خمس صيغ وهو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى وأنه يجوز فى
ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار .

وكذلك ذكر المبرد (ت ٢٨٥ هـ) أمثلة المبالغة التى ذكرها
سيوبه على خلاف فى "فعل" و"فعل" وسوف يأتى الحديث عنه إن
شاء الله فى مبحث خاص وهو "الخلاف بين العلماء فى (عمال "فعل
و"فعل" حيث بقول المبرد :

"هذا باب معرفة أسماء الفاعلين فى هذه الأفعال وما يلحقها من
الزيادة للمبالغة (١)



"أعلم أن الاسم من فعل على فاعل نحو قولك : ضرب فهو ضارب وستم فهو شاتم وكذلك فعل نحو : علم فهو عالم وشرب فهو شارب .

فإذا أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنيّة : فمن ذلك : قَتَلَ نقول : رجل قَتَلَ ، إذا كان يكثر القتل فأما قَاتَلَ فيكون للقليل والكثير لأنه الأصل ، وعلى هذا نقول : رجل ضَرَبَ وستم .

ومن هذه الأبنيّة : " فَعُول " نحو : ضَرُوبٌ وقَتُولٌ وركوب تقول : هو ضروب زيدا إذا كان يضربه مرة بعد مرة .

ومن هذه الأبنيّة : مَقَّال " نحو : رجل مضراب ، ورجل مَقَّال . فأما ما كان على "فَعِيل" نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيبويه النصب فيه ولا أراه جائزا ، وكذلك ما ذكر في "فَعْل" أكثر النحويين على رده ، وفَعِيل " في قول النحويين بمنزلة " وكما سبق أن أشرت سوف يأتي الحديث عن هذا الخلاف في مبحث خاص إن شاء الله تعالى .

وكذلك ذكر ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) في شرح التسهيل ^(١) صيغ المبالغة وأنها خمس صيغ حيث قال " يساوى اسم الفاعل العامل بالشروط المذكورة في أفراد وغيره ما قصد به المبالغة من موازن : فعال وفَعُول ومفعال كقول من سمعه سيبويه : أمام العسل فأنا شَرَّاب ثم يقول " وألحق سيبويه بالثلاثة : فَعِيلًا وفَعْلًا مقصودا بهما المبالغة ثم قال " وفعل أقل من فَعِيل بكثير " ^(٢) .

^(١) انظر شرح التسهيل ٧٩/٣ - ٨٢ بصرف .

^(٢) انظر الكتاب ٥٨/١ .

وكذلك ابن يعيش (٦٤٣ هـ) فى شرح المفصل وهو يتحدث عن أمثلة المبالغة ذكر أنها خمسة : حيث قال : " وتلك الأسماء : فَعُولٌ وفَعَّالٌ ومِفْعَالٌ وفَعِلٌ وفَعِيلٌ فجميع هذه الأسماء تعمل عمل فاعل وحكمها فى العمل حكم فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار فتقول : هذا ضروبٌ زيداً كما تقول : هذا ضارب زيداً وضرباً عمراً ومنحار إبله وحذر عدوه ورحيم أباه والتقديم فى ذلك كله والإضمار جائز كما كان فى فاعل وتقول : هو ضروب زيد وعمراً وإن شئت وعمرو كما فعلت فى ضارب وتقول : أزيداً أنت ضروبه كما تقول : أزيداً أنت ضاربه ^(١)

فابن يعيش ذكر أن أمثلة المبالغة خمسة وأنها فى العمل تأخذ حكم فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار وقد أيد سيبويه فيما ذهب إليه من إعمال "فَعِلٌ وفَعِلٌ" وسيأتى الحديث إن شاء الله عن هذا التأييد فى مبحث خاص وهو " خلاص العلماء فى إعمال فَعِيلٌ وفَعِلٌ "

ويقول ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) وهو يتحدث عن أمثلة المبالغة : " وما وضع منه للمبالغة كضرباً وضروباً ومضرباً وعليهم وحذر مثله والمثنى والمجموع مثله " ^(٢) فابن الحاجب جعل أمثلة المبالغة خمسة وهى فَعَّالٌ وفَعُولٌ ومِفْعَالٌ وفَعِيلٌ وفَعِلٌ وأن المثنى والمجموع من أمثلة المبالغة يعمل عمل المفرد كاسم الفاعل. والإمام السيوطى فى الهمع ذكر كذلك أنها خمسة حيث يقول :

^(١) انظر شرح المفصل ٧٠/٦ .

^(٢) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

"يعمل بشرطه وفاقاً وخلافاً ما حوّل منه للمبالغة إلى : فَعَال

وَفُعُول ومَفْعَال وفَعِيل وفَعِل ^(١)

ثم أخذ يذكر أمثلة لهذه الصيغ .

وفى شرح الألفية للمكودي (ت ٨٠٧ هـ) وهو يشرح قول ابن مالك

فَعَال أو مَفْعَال أو فُعُول فى كثرة عن فاعل بديل

فيسحق ماله من عمل وفى فَعِيل قل ذا وفعل

يقول : " يعنى : أن هذه الأمثلة الخمسة التى هى : فَعَال ومَفْعَال

وَفُعُول وفَعِيل وفَعِل متساوية فى أنها تعمل عمل اسم الفاعل بالشرط

المتقدمة فيه " ^(٢)

وابن هشام (٧٦١ هـ) فى شذور الذهب ذكر كذلك أنها خمسة فيقول

" والثالث من الأسماء العاملة عمل الفعل : أمثلة المبالغة : وهى

عبارة عن الأوزان الخمسة المذكورة ، مُحَوَّلَةٌ عن صيغة فاعل لقصد

إفادة المبالغة والتكثير وحكمها حكم اسم الفاعل : فتتقسم إلى ما يقع

صله لأول فتعمل مطلقاً ، وإلى مجرد عنها فتعمل بالشرطين

المذكورين " ^(٣)

وكذلك ذكر ابن هشام فى قطر الندى وبل الصدى فقال :

"النوع الرابع من الأسماء التى تعمل عمل الفعل : أمثلة المبالغة وهى

خمسة :

^(١) انظر مع ٩٦/٢ .

^(٢) انظر شرح الألفية للمكودي ص ١١٣ .

^(٣) انظر شذور الذهب ص ٣٩٢ .

فَعَالٌ وفَعُولٌ ومِثْقَالٌ وفَعِيلٌ وفَعِلٌ ^(١) " ثم أخذ يذكر أمثلة لهذه الصيغ وتحدث الشيخ خالد (ت ٩٠٥ هـ) في شرح التصريح وذكر أنها خمسة فقال :

"تحول صيغة فاعل للمبالغة في الفعل والتكثير إلى خمسة أوزان ^(٢) وابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) وهو يشرح قول ابن مالك :

فَعَالٌ أو مِثْقَالٌ أو فَعُولٌ في كثرة عن فاعل بديل
فَيَسْحَقُ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وَ في فَعِيلٌ قَلَّ ذَا وفَعِلٌ .

يقول : " يصاغ للكثرة فَعَالٌ ومِثْقَالٌ وفَعُولٌ وفَعِيلٌ وفَعِلٌ فيعمل فيعمل عمل الفعل على حد اسم الفاعل ، ، وإعمال الثلاثة الأولى أكثر من إعمال فَعِيلٌ وفَعِلٌ ، وإعمال فَعِيلٌ أكثر من إعمال فَعِلٌ " ^(٣) فابن عقيل ذكر أنها خمسة وذكر أن أعمال الثلاثة الأولى أى : فَعَالٌ ومِثْقَالٌ وفَعُولٌ أكثر من إعمال فَعِيلٌ وفَعِلٌ .

وكذلك المرادى (ت ٧٤٩ هـ) في شرح الألفية وهو بشرح البيهقيين السابقين بقول :

"إذا اقصدوا التكثير والمبالغة باسم الفاعل الثلاثي حول إلى فَعَالٌ كعَقَّارٍ أو مِثْقَالٍ كمنحارٍ أو فَعُولٍ كضروبٍ أو فَعِيلٍ كعليمٍ أو فَعِلٍ محذر " ^(٤) والإمام الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في البرهان عدها ثمانية :
منها : فَعَلانٌ نحو : الرحمن ، وفَعِيلانٌ نحو : رحيمٌ وسميعٌ وقديرٌ وحكيمٌ وعليمٌ .

^(١) انظر قطر الندى ص ٢٩٨ .

^(٢) انظر شرح التصريح ٦٧/٢ .

^(٣) انظر شرح ابن عقيل ١١١/٣ .

^(٤) انظر شرح الألفية للمرادى ١٨/٣ .

وَفَعَّالٌ نَحْوُ : غَفَّارٌ وَمَنَّانٌ وَتَوَّابٌ وَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى " لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " (١) .

وَفَعَّالٌ : بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى " إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ " (٢) وَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا " (٣) . وَفَعُولٌ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " (٤) وَنَحْوُ : غَفُورٌ وَشَكُورٌ وَوَدُودٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي نُوْحٍ " إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا " (٥) .

وَفَعْلٌ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى " وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ " (٦) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : " كَذَّابٌ أَشِرٌ " (٧)

وَفُعْلٌ فَيَكُونُ صِفَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا " (٨) اللَّبِيدُ الْكَثِيرُ وَيَكُونُ مُصَدَّرًا كَهْدًى وَثَقًى .

وَفُعْلَى وَيَكُونُ اسْمًا كَالشُّورَى وَالرَّجْعَى نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى " إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى " (٩)

وَيَكُونُ صِفَةً كَالْحَسَنَى فِي تَأْنِيثِ الْأَحْسَنِ وَالسَّوْءَى فِي تَأْنِيثِ الْأَسْوَأِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السَّوْءُ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (١٠) .

(١) إبراهيم / ٥ .

(٢) ص / ٥ .

(٣) نوح / ٢٢ .

(٤) إبراهيم / ٣٤ .

(٥) الإسراء / ٣ .

(٦) الشعراء / ٥٦ .

(٧) القمر / ٢٥ .

(٨) البلد / ٦ .

(٩) العلق / ٨ .

(١٠) الروم / ١٠ وانظر البرهان ٥٠٢/٢ - ٥١٥ بصرف .

وسوف يأتي الحديث إن شاء الله مفصلاً في مبحث خاص عما ورد من صفات الله عز وجل على صيغة من صيغ المبالغة كغفار ورحيم وغفور فقال بعضهم : كلها مجاز إذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفات الله متناهية في الكمال ، ولا يمكن المبالغة فيها ، والمبالغة أيضاً تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك.^(١)

ومن النحاة الذين قالوا بأن أمثلة المبالغة خمسة : أبو محمد عبد الله بن اسحاق الصنمري قال : وأعلم أن الصفات المعدولة عن اسم الفاعل للمبالغة تعمل عمل اسم الفاعل وتجرى مجراه كقولك : فَعَّالٌ وفَعُولٌ ، ومِفعَالٌ ، وفِعْلٌ ، وفَعِيلٌ نحو : قَتَلَ وضَرُوبٌ ، ومِطْعَامٌ ورحيمٌ وحذرٌ تقول : زيدٌ قَتَلَ أعداءَهُ ، وضروبٌ غِلْمَانَهُ ، ومِطْعَامٌ ضيفَانُهُ ، ورحيمٌ المساكينَ ، وحذرٌ أَمَرَكَ كما تقول : هو يقتل أعداءَهُ ، ويضرب غِلْمَانَهُ ، ويطعم ضيفَانَهُ ، ويرحم المساكينَ ، ويحذر أَمَرَكَ^(٢) ثم أخذ ينشد الشواهد الشعرية لذلك .

والخلاصة : أن المبالغة : أن تثبت للشيء أكثر مما له كما قال الزركشي في البرهان ، أو : أن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده ، وهي نوعان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة ومبالغة بالصيغة وهي المبالغة كما قال الإمام السيوطي في الإتيان أو هي : صيغ تأتي بدلاً من اسم الفاعل

(١) انظر البرهان ٥٠٧/٢ .

(٢) انظر المبصرة والتذكرة للصبري ٢٢٥/١ .

للدلالة على المبالغة فى معنى الفعل وذلك أن صيغة فاعل
تحتمل فى دلالتها على الحدث القلة والكثرة ، فإذا أريد الدلالة على
كثرة الحدث كماً أو كيفاً حولت فاعل إلى إحدى هذه الصيغ . وأن
المشهور بين العلماء أن هذه الصيغ خمس صيغ وهى : فَعَّال /
مِفْعَال ، فَعُول فَعِيل ، فَعَل كما قال بذلك سيبويه وابن مالك وابن
يعيش والرضى والمرادى والمكودى والصيمرى وغيرهم من العلماء
كالصبان والأشمونى ، والسجاعى ، والخضرى ، وابن هشام وأن من
العلماء من جعلها ثمانى صيغ كالزركشى فى البرهان ومنهم من
جعلها تسع صيغ كالسيوطى فى الاتقان .

ومنهم من جعلها اثنى عشر بناء كما نقل السيوطى فى
المزهر عن ابن خالويه فى شرح الفصيح وقد سبقت الإشارة إلى ما
حدث من لبس فى نص المزهر فلا أدري أهو من نقل السيوطى أو
من ضابط المزهر .

ومنهم من جعلها سبعة أمثلة كابى حيان فى ارتشاف الضرب

وأن فائدة أمثلة المبالغة : أنها نوع من أنواع الاختصار
فاللفظة الواحدة تدل على التكثير والمبالغة ولا شك أن قولك :
"ضروب " فيه إيجاز واختصار من قولك : "ضارب وضارب وضارب "

المبحث الثاني

آراء العلماء في قياسية أمثلة المبالغة

وقد اختلف في قياسية هذه الأبنية : فقليل : إن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثى المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق : إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب إلى أن الصيغ : فعال ، ومفعال ، وفعل قياسية لكثرتها ، وأما غيرها فسماعى ، ونسب إلى أبى حيان كما فى حاشية يس (١٠٦١ هـ) على التصريح وقد رأى المجمع اللغوى أنه قد ورد فى اللغة على فعال " ألفاظ كثيرة من المتعدى واللازم تصلح أساسا للقياس ، فقرر أن صيغة فعال تنأتى للمبالغة قياسا من الثلاثى المتعدى واللازم ^(١).

وقد جاءت من أقفل شذوذا : مفعال نحو معطاء ، ومعاون ، من أعطى وأعان . وفعال ، نحو : دراك من أدرك ، وفعل ، نحو : نذير ، وأليم ، وسميع ، من أنذر ، وآلم ، وأسمع . وهناك صيغ أخرى قليلة الاستعمال مثل : فعلان كرحمن ، وقع يل نحو : شريب ، وفعال نحو : وضاء ومنه قوله تعالى ﴿ ومكروا مكرا كبيرا ﴾ ^(٢) وفعال نحو قوله تعالى " إن هذا لشئء

^(١) انظر مجلة المجمع اللغوى ٤٥/٢ البيان فى تصريف الاسماء ص ٦٤/٢ النحو الواقى ٣/ ٢٦٠ .
^(٢) نوح / ٢٢ .

عَجَابٌ ^(٣) وَفَعْلَةٌ كَهَمْزَةٌ ، وَضَحَكَةٌ وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا : عَلَامَةٌ ، وَمُعْطِيرٌ ، وَرَاوِيَةٌ وَفَرْوَقَةٌ ^(٤) .

ويقول المرادى فى شرحه على الألفية وهو يشرح قول ابن

مالك :

فَعَالٌ أَوْ مَفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فى كَثْرَةٍ عَنْ فاعِلٍ بِدِيلٍ .
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وفى فَعِيلٍ قُلْ ذَا وَفَعَلٍ

فَإِنْ قُلْتَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ فى كَثْرَةٍ ؟ قُلْتَ : يَعْنى أَنَّ هَذِهِ الْمُثَلَّ إِنَّمَا يَعْدَلُ عَنْ فاعِلٍ إِلَيْهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكَثْرَةِ وَالْمُبَالَغَةِ . فَإِنْ قُلْتَ : مَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ مِنْ كَلَامِهِ اخْتِصَاصَ ذَلِكَ بِالثَّلَاثِيَّ ؟ قُلْتَ : مَنْ قَوْلُهُ " عَنْ فاعِلٍ " فَإِنْ اسْمُ الفاعِلِ غَيْرُ الثَّلَاثِيَّ لَا يَكُونُ عَلَى فاعِلٍ . وَقَدْ يَبْنَى : فَعَالٌ وَمَفْعَالٌ ، وَفَعُولٌ وَفَعِيلٌ مِنْ أَفْعَلَ كَقَوْلِهِمْ : دَرَاكَ وَمَهْوَانٌ وَزَهْوَقٌ ، وَنَذِيرٌ مِنْ أَدْرَكَ وَأَهَانَ وَأَزْهَقَ وَأَنْذَرَ وَذَلِكَ قَلِيلٌ . وَقَوْلُهُ " فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ " يَعْنى : هَذِهِ الْأَمْثَلَةُ تَسْتَحِقُّ مَالَ اسْمِ الفاعِلِ مِنْ الْعَمَلِ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ .

وقوله " وفى فَعِيلٍ قُلْ وَفَعَلٍ " الْإِشَارَةُ إِلَى عَمَلِ اسْمِ الفاعِلِ أَيْ : قُلْ فى فَعِيلٍ وَفَعَلٍ أَنَّ يَعْملُ اسْمُ الفاعِلِ .

ومذهب سيبويه جواز إعمال هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى (٢٤٩ هـ) والمبرد إعمال فَعِيلٍ وَفَعَلٍ . وفصل الجرعى (٢٢٥ هـ) فَأَجَازَ إِعْمَالَ فَعَلٍ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ الْفَعْلِ ،

^(٣) ص/٥٠ .

^(٤) أنظر التبيان فى تصريف الأسماء د / كحيل / ٦٥ .

ومنع إعمال فعيل ، ومنع الكوفيون إعمال الخمسة لأنها لما جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم لذلك ^(١) .
وقال الشيخ خالد الأزهرى : "وإعمال أمثلة المبالغة قول سيبويه وأصحابه وحبّتهم فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهو اسم الفاعل لأنها متحولة عنه لقصد المبالغة ، ولم يجز الكوفيون إعمال شئ منها لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه وحملوا المنصوب بعدها على تقدير فعل ومنعوا تقديمه عليها ويرد عليهم قول العيوب : أما العسلُ فأنا شرَّاب ، ولم يجز بعض البصريين إعمال فعيل وفعل وأجاز الجرمى إعمال فعل دون فعيل لأنه على وزن الفعل كعلم وفهم وقطن " ^(٢) .

وقال الشيخ يس فى حاشيته: قوله : والحمل على أصلها " قال بعضهم : " إنما أعملت لأنها واقعه موقع مفعّل الذى هو اسم فاعل المضعف وهو فعل بتشديد العين لأنه الموضوع لإفادة المبالغة والتكثير، هذا حاصل ما فيه " ^(٣)

ويقول ابن هشام فى شذور الذهب : "وإعمال هذه الثلاثة كثير - أى : فعال مفعول فعول - فلهذا اتفق عليه جميع البصريين ، وإعمال فعيل وفعل قليل فلهذا خالف سيبويه فيها قوم من البصريين ووافقه ، منهم آخرون ، ووافقه بعضهم فى فعل لأنه على وزن الفعل ، وخالفه فى فعيل لأنه على وزن الصفة المشبهة كظريف وذاتك لا ينصب المفعول .

^(١) انظر شرح الألفية للمرادى ١٩/١٨/٣ .

^(٢) انظر التصريح ٦٨/٢ .

^(٣) انظر يس ٦٨/٢ .

وأما الكوفيون : فلا يجيزون إعمال شيء من الخمسة ومتى وجدوا شيئاً منها وقع بعده منصوب أضمرؤا له فعلاً وهو تعسف^(١) من يتأمل كلام ابن هشام يجد أنه بين رأى سيبويه وأنه أجاز إعمال الأمثلة الخمسة وأن إعمال الثلاثة الأول كثير فلهذا اتفق عليه جميع البصريين وأن إعمال فعيل وقيل قليل فلهذا خالفه فيها قوم من البصريين ، ووافقه بعضهم فى فعل لأنه على وزن الفعل نحو : عِلِمَ وفهمَ وقطنَ ، وخالفه فى فعيل لوروده على وزن الصفة المشبهة كظريف . وأن الكوفين لا يجيزون إعمال شيء من الخمسة والمنصوب بعدها يضمرون له فعلاً وقد حكم ابن هشام على رأى الكوفيين بأنه تعسف فهذا ميل منه وترجيح لمذهب سيبويه ومن وافقه من البصريين وأن مذهبهم هو الصحيح وحجتهم فى ذلك السماع لوروده نظماً ونثراً ، وسوف يأتى إنشاء الله تعالى الشواهد على ذلك وللحمل على أصلها وهو اسم الفاعل لأنها متحولة عنه لقصد المبالغة .

وقال ابن هشام مثل ذلك فى قطر الندى : حيث يقول : "وأكثر الخمسة استعمالاً الثلاثة الأول - أى : فَعَالٌ مِفْعَالٌ فَعُولٌ - وأقلها استعمالاً الأخيران - أى : فعيل وفعل وكلها تقتضى تكرار الفعل ، فلا يقال : ضَرَّبَ لمن ضرب مرة واحدة وكذا الباقي وهى فى التفصيل والاشتراط كاسم الفاعل سواء .

وإعمالها قول سيبويه وأصحابه وحجتهم فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهو اسم الفاعل - لأنها محاولة عنه لقصد المبالغة ، ولم يجز الكوفيون إعمال شيء منها ، لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه وحملوا نصب الاسم الذى بعدها على تقدير فعل ، ومنعوا تقديمه عليها ، ويرد عليهم قول العرب : أما العسل فأننا شرَّاب . ولم يجز بعض البصريين إعمال فَعِيل وفَعِل ، وأجاز الجرمى إعمال فَعِل دون "فَعِيل" لأنه على وزن الفعل كَعَلِمَ وفهم^(١) .

من يتأمل كلام ابن هشام هنا يجد أنه بين ما استدل به الكوفيون على منع إعمال شيء من أمثلة المبالغة وأن السبب فى ذلك عندهم : مخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه ، وذلك لأن أمثلة المبالغة تعمل بالجمل على اسم الفاعل ، واسم الفاعل يعمل بالحمل على الفعل المضارع لجريانه عليه فى الحركات والسكنات فالحركات والسكنات فى ضارب مثل الحركات والسكنات فى يضرب "

والصحيح مذهب سيبويه ومن وافقه لورود السماع بذلك نظماً ونثراً فمثال فَعَال " قول من سمعه سيبويه : "أَمَّا الْعَسَلُ فَأَنَا شَرَّابٌ" (٢) .
وقول الشاعر :

وأتى لقوَالٍ لِذِي الْبَيْتِ مَرْحَباً وَأَهلاً إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرَصَدٍ (٣)
وقال الفلاح :

(١) انظر قطر الندى ص ٣١٠ .

(٢) انظر الكتاب ١١١/١ المقتضب ١١٢/٢ وورد فيه : فأنت شرَّاب .

(٣) من الطويل - لم أقف على قائله اللغة : البيت : الحزن ، المرصد : الميعاد .
والشاهد فى قوله "قوَالٍ" حيث ورد على وزن فَعَال فعمل عمل الفعل انظر النحو
الواقى ٢٥٨/٣ .

أخا الحرب لباساً إليها جلالها وليس بولاج الخوالف أعقلاً^(١)
وقال الشاعر :

إني لصَبَّارٌ على ما ينوبني وحسبك أن الله أثنى على الصبر^(٢)
ولست بنظَّارٍ إلى جانب الغنى ذا كـانـت العلياء في جانب الفقر
ومما ورد على صيغة فعَّال قول رؤية :

برأس دماغ رعوس العز^(٣).

ومما ورد على صيغة فعَّال "في كتاب الله عز وجل قوله تعالى " ولا
نُطع كُلَّ حَلَّافٍ مِثْيِين . هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِثَمِيم . مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم "^(٤)

^(١) من الطويل - اللغة : أخو الحرب : اللانز لها المستعد . والجلال : جمع جُل بالضم وأصله ما
يلبسه الفرس نجعله لما يلبسه المحارب من سلاح كالدرع ونحوها ، والبولاج : الكثير الدخول في
البيوت بتردد فيها الضعف همته وعجزه . والخوالف جمع خالفه وهي عمود في مؤخر البيت والأعقل
: الذي تصطك ركبته في المشى ضعفاً أو خلفة . والشاهد فيه : إعمال لباساً "لأنه تكسر لابس
فعمل عمله ونصب جلالها " لاعتماده على موصوف مذكور وهو " أخا الحرب " .

أنظر الكتاب ١١١/١ العين ٥٣٥/٣ المقتضب ١١٢/٢ خزائن الأدب ١٥٧/٨ شرح التصريح
٦٨/٢ شرح المفصل لابن يعيش ٧٩/٦ أوضح المسالك ٢٢٠/٣ الاثنون ٣٤٢/١ شرح شذور
الذهب ص ٥٠٤ شرح ابن عقيل ص ٤٢٣ مع ٩٦/٢ . المعجم المفصل ٦٥٦/٢

^(٢) من الطويل - لم أقف على قائله . والشاهد فيه : قوله : " بنظار " حيث وردت الكلمتان على وزن
فعل من صيغ المبالغة عمل فعله أنظر (النحو الوافي ٢٦١/٣).

^(٣) اللغة : الدماغ : مبالغة دماغ ، وهو الذي يبلغ بالشحه إلى الدماغ . رعوس العز
أى : رعوس أهل العز . وهى من أرجوز يمدح بها أيان بن الواليد البجلي .
والشاهد فيه : " نصب رعوس " بصيغة المبالغة دماغ .
انظر الخزائن ١٥٧/٨ الكتاب ١١٣/١ شرح أبيات مسيبويه ٦٧/١ ديوانه ص ٦٤
المعجم المفصل ١١٧٥/٣ .

^(٤) اللقلم ١٠-١٢ الحلاف : كثير الحلف ، والمهين / الحثير الدنىء ، وهماز :
كثير الهمز أى : كثير الطعن والضرب والإيذاء والنمام : كثير المئى بالتميمة وهى
المعى بين الناس بالإفساد - والمناع / كثير المنع للخير . وانظر الدر المصون
٣٥٢/٦ القرطبي ١٥١/١٨ ، ١٥٢ مفردات الراغب ص ١٣٦ .

وقولهم : فلان بَسَامِ الثَّغَرِ ، وَضَحَاكَ السِّنِّ ومثال مِفْعَال " قول
بعض العرب : "إِنَّهُ لَمَنْحَارٌ" بوائكها ^(١) " وقال الكميت :
شَمَّ مَهاوِين أبدانَ الجَزُورِ مَخاً مَيِّصَ العُشْبِيَّاتِ لا خُورٍ ولا قَرَمٍ ^(٢)

^(١) ناقة بانكة : سميئة خيار فتية حسنة . انظر (الكتاب ١١٢/١) المفتضب ١١٣/٢ المرادى ١١٩/٣ .

^(٢) من البسيط : اللغة : مهاوِين : جمع مهوان ، مبالغة في مهين . فهو من إعمال جمع صيغ المبالغة إعمال صيغة المبالغة إعمال الواحد . وصفهم بأنهم شم الانوف ، والشمم ارتفاع في قصة الأنف مع استواء أعلاه ، كتابة عن العزة ، ثم ذكر أنهم يهينون للضيف والمساكين أبدان الجزور جمع بدنه . وهي الناقة السميئة المتخذة للنحر ، وكذلك الجزور ، ويروى / أبداء الجزور جمع بدء وهو أفضل الأعضاء .

عظاميس : جمع غماص ، وهو الشديد الجوع ، أى : يؤعرون العشاء انتظارا لضيف يطرقهم واخور : جمع أخور وهو الضعيف والقرم - بالتحريك - رذال الناس وسفلتهم يقال : للذكر والأنثى والواحد وأجمع .

قال البندادى : والأوصاف جميعها مجرور في البيت لأن قبله :

يأوى الى مجلس باد مكارمهم لا مطعمى ظالم فيهم ولا ظلم فيهم ولا ظلم . فلا عيرة بما ورد من ضبط هذه الأوصاف فى بعض نسخ الكتاب بالرفع لأنه ليس فى كلام سيبويه ما يشعر بذلك وفى البيت شاهدان : أولهما : قوله "مهاوِين" فسى جمع "مهوان" من أهان ' وبناء مفعال من أفعل قليل نادر والكثير من فعل . والثانى : قوله "مهاوِين أبدان" حيث أعمل الجمع من اسم الفاعل عمل المفرد أنظر الكتاب ١١٤/١ الخزائنة ١٥٠/٨ المفصل ٧٤/٦ مع ٩٧/٢ اللسان - هون المقاصد النحوية ٥٦٩/٣ شرح عمدة الحافظ ص ٤٧٠ المعجم المفصل فى شواهد النحو ٦٢٦/٢ .

فمهاوين "جمع مهوان" ومثال فَعُولٌ قول بعضهم : أنت غيَوظ
ما علمت أكباد الإبل " (١) حكاه الكسائي . وقال أبو طالب بن عبد
المطلب :

ضَرُوبٌ بنصل السيف سَوَقَ سمانها إِذا عَدِموا زادا فَإِنَّكَ عَاقِرٌ (٢)
ومما جاز فيه مقدما ومؤخرا على نحو ما جاء فى "فاعل" "قول ذو
الرمة :

هَجُومٌ عليها نَفْسَه غير أَنه تَمَى يَرَمَ فى عَيْنِه بالشَّيْخ يَنْهَضُ (٣)

(١) انظر المرادى ١١٩//٣ .

(٢) من الطويل . اللغة : نصل السيف شفرته . كانوا إِذا أَرادوا نحر الناقة ضربوا
بساقها بالسيف فخرت ثم نحروها . والشاهد فيه : إعمال فَعُولٌ وهو ضروب
عمل فعله فنصب "سوق سمانها"

انظر الكتاب ١١١/١ الخزانة ١٤٦/٨ ، ٢٤٢/٤ المقتضب ١١٣/٢ التصريح
٦٨/٢ شرح المفصل ٧٠/٦ أوضح المالك ٢٢١/٣ شرح الأشموني ٣٤٢/٢ مع
٩٧/٢ تذوق الذهب ص ٥٠٥ .

(٣) من الطويل - يصف ظليما - وهو ذكر النعام . يقول : يهجم نفسه على البيض
أى : يلقى عليها حاضناتها ، فإذا فوجئ بشيخ ، أى : شخص ، فارق بيضه
ونفض هاربا - والشَّيْخ - يسكون الياء لغة فى - الشَّيْخ - بفتحها . والشاهد :
لإعمال هجوم مبالغة هاجم فنصب بها المفعول به نفسه .

انظر الكتاب ١١٠/١ خزانة الأدب ١٥٧/٨ ديوان ذى الرمة ٣٢٤ المعجم المفصل

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

قلّ دينه واهتاج للشوق إنها على الشوق إخوان العزاء هيوج^(١)
ومن إعمال فَعُول " قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه
وسلم :

بكيت أخا اللاؤاء بَحْمَدُ يومه كريم رَعُوسَ الدَّارِعينَ ضَرُوباً^(٢)
وأجروه حين بنوه الجمع كما أجرى في الواحد ليكون كفواعل حين
أجرى مثل فاعل من ذلك قوله طرفة :

ثم زادوا أَنَّهُمْ في قومهم غَفَرُ ذُنُوبُهُمْ غير فجر^(٣).

(١) من الطويل - وصف امرأة أنها لو نظر إليها راهب لا يفض دينه وتركه
واهتاج شوقاً إليها وأنها لا فراط حسنها تسلب أصحاب العزاء والسبوة عن النساء
عزاهم وتحملهم على الصبا . والشاهد : أخوان العزاء هيوج حيث عمل صيغة
المبالغة وهو قوله : هيوج وهو مؤخر مفعوله أخوان .
انظر الكتاب ١١١/١ العينى ٥٣٧/٣ شرح الأشموني ٣٤٢/٢ شرح ابن عقيل
ص ٤٢٣ شرح التسهيل ٧٩/٣ . والمعجم المفصل ١٥٤/١ .

(٢) من الطويل : اللغة : اللاؤاء : الشدة عنى أنه يكفى قومه الشدة ومعرفة الزمان
بحمد يومه : أى : يحمد أيامه ، أما فى الحرب فليساأته ، وأما فى السلم فلعطائه ،
وأما فى السلم فلعطائه وبذله والدارع : لابس الدرع وهذا فى وصف شجاع كريم
والشاهد : رؤوس الدارعين ضروب فتصب بها رؤوس . انظر الكتاب ١١١/١
بلاسمية فى شرح المفصل ٧١/٦ شرح عمدة الحافظ ص ٦٧٩ المعجم المفصل
٧٩/١ .

(٣) من الرمل : رواية فجر " هى الأصل نص عليها الشنترى . ويروى "غير فخر
بالخاء . والمعنى : وصف قومه أنهم زادوا على قبيلتهم بأنهم يغفرون ذنوبهم
بالعفو والصفح وأنهم لا يكذبون أى : لا يكذبون ، أولاً يفخرون بما أسدوا من
صنيع ، مبتدأ معروفيهم .

والشاهد فيه : إعمال "غفور" فنصب المفعول وهو "ذنب" وقد اعتمدت صيغة
المبالغة على مخبر عنه مذكور وهو اسم إن " .
انظر الكتاب ١١٣/١ العينى ٥٤٨/٣ خزنة الأدب ١٨٨/٨ شرح التصريح ٦٩/٢
شرح عمدة الحافظ ص ٦٨٢ شرح المفصل ٧٤/٦ أوضح المسالك ٢٢٧/٣ شرح
الأشموني ٣٤٢/٢ همع ٩٧/٢ ديوان طرفة ٦٨ .
انظر الكتاب ١١٣/١ الخزنة ١٦٩/٨ العينى ٥٤٣/٣ ابن السجري ١٠٧/٢
شرح الأشموني ٣٤٢/٢ شرح المفصل ١١٦/٦ ابن عقيل ص ٤٢٤ المعجم
المفصل ٤٠٤/١ .

ومثال "فعل" قول بعضهم: "إن الله سميع دعاء من دعاه"
وقالوا: هو حفيظ علمه وعليم غيره^(١)

فتاتان أما منهما فشبيهة هلالاً وأخرى منهما تشبّه البدر^(٢)
ومثال "فعل" قول الشاعر:

حذر: "أموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار"^(٣)
أنشده سيبويه والقدر فيه من وضع الحاسدين

^(١) انظر شرح التسهيل ٨١/٣، شرح الكافية الشافية ١٠٣٧/٢، المردى ١٩/٣

^(٢) من الطويل لأي قيس الرقيات .

والشاهد فيه: تشبيه هلالاً، حيث أعمل شبيهه فنصب هلالاً مع كونه من أشبه كنذر من أنذر
انظر شرح الكافية الشافية ١٠٣٧/٢، شرح التسهيل ٨١/٣، شرح الألفية للمردى ١٩/٣، شرح
الأشعرى ٢٢١/٢ ديوانه ص ٣٤

^(٣) من الكامل . زعم بعضهم أن هذا البيت مصنوع وقال: يروى عن اللاحق أن قال: سألني
سيبويه عن شاهد في تعدى فعل، فعملت له هذا البيت

وقال العيني: قاتلة أبو يحيى اللاحق وساق خيراً أنه مصنوع وأنشده ابن الشجرى بدون نسبه.
والعنى: يصف إنساناً بالجهل وقلة المعرفة وأنه يحذر ما لا ينبغي أن يحذر، ويأمن ما لا يصح أن يؤمن
انظر (الكتاب ١١٣/١ الخزانة ١٦٩/٨ العيني ٥٤٣/٣ ابن الشجرى ١٠٧/٢ شرح الأشعرى
٣٤٢/٢ شرح المفصل ٧١/٦ المختضب ١١٦/٢ ابن عقيل ص ٤٢٤ المعجم المفصل ٤٠٤/١)

ومن إعمال "فعل" قول زيد الخيل :

أتانى أنهم فرقون عرضى حجاس الكرملين لهم فديد .^(١)
فأعمل "مزقون عرضى" وهو جمع فرق "محول للمبالغة من "مازق"
ومما جاء فى "فَاعِل" وليس فى كثرة "فَعِيل" كما قال سيبويه ، قول
ليبيد :

أو مسحل شنج عضادة سمحج بسرته ندب لها وكلوم .^(٢)

^(١) الجحاس : جمع جحس وهو ولد الأثان

والكرملين : يعنى به مكانا مجاورا للكرملين وهو اسم ماء فى جبل طىء والشاهد
فيه : حيث أصل "مزقون عرضى" وهو جمع فرق "محول للمبالغة من مازق
انظر شرح الكافية الشافية ١٠٤٠/٢ شرح التسهيل ٨١/٣ الدرر ١٣٠/٢ التصريح
٦٨/٢ شواهد ابن عقيل ١٨٢ .

^(٢) من الكامل . اللغة : شنج : مبالغة شانج أى : فلازم

والمسحل : الحمار الوحشى وسحيله : نهاقه كأنه مسحل المبرد .

والمعضادة : الجانب أو معناه إلى جانب عضدها .

والسمحج : الأثان الطويلة الظهر .

والسرارة : أعلى الظهر .

والندب : آثار الجرح جمع ندبه

والكلوم : الجراح جمع كلم .

والمعنى : هى ترمحه وتكلمه تخلصا من حمله عليها .

والشاهد : إعمال صيغة المبالغة "شنج" فى عضادة

انظر الكتاب ١١٢/١ الخزائن ١٦٩/٨ المعنى ٥١٣/٣ شرح المفصل ٧٢/٦ شرح

الأكمونى ٣٤٢/٢ اللسان - عضد - عمل ال

معجم المفصل ٨٨٠/٢ .

فكل ما سبق من شواهد نثرية وشعرية تدل على أن مذهب سيبويه وأصحابه في إعمال صيغ المبالغة الخمس هو الصحيح خلافاً للكوفيين الذين منعوا إعمال شيء منها لمخالفتها لأوزان المضارع وأن المنصوب بعدها على تقدير فعل وأن بعض البصريين منعوا إعمال فعيل وفعل ، وأن الجرمي فصل في ذلك فأجاز إعمال فعلى دون فعيل لأنه على وزن الفعل كعَلِمَ وفهم وقطن .

ويقول الإمام الرضى (٦٨٦ هـ) في شرحه على الكافية^(١) وهو يذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين في العامل من أبنية المبالغة يقول : "أبنية المبالغة العاملة اتفاقاً من البصريين ثلاثة وهذه الثلاثة مما حول إليها أسماء الفاعلين التي من الثلاثى عند قصد المبالغة قال :

فيا لرزام رشّحوا بى مقدّماً على الحرب خوَّاضل إليها الكتائب^(٢)

وفي كلامهم : إنه لمنخار بوائكها أى : سمانها وقال :

ضروبٌ بنصّل السنيّف سوقَ سِمَانِها إذا عَدِمُوا زاداً فَأَتَكَ عِاقِرٌ^(٣) .

وربما بنى فَعَال ومِقْعَال وفَعُول من أَفْعَل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك وقال :

^(١) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢

^(٢) من الطويل - لسعد بن ثابت المازن - اللغة : رزام : قبيلة رشحوا : فعل أمر من الرشيع وهو الترية ، ويروى : الكربا وهو جمع كرب وهو الغم والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش الشاهد فيه : على أن "خوَّاضاً" صيغة مبالغة حول اسم الفاعل الثلاثى وهو خائض قال ابن جني في اعراب الحماسة : في هذا البيت شاهد على جواز إعمال اسم الفاعل ، ألا تراه كيف تصب الكراب بخوَّاض . انظر الحماسة بشرح المرزوقي ٧٢ والتبريزي ٧٣٨ الخزانة ١٤٠/٨

^(٣) سبق تخريجه و الحديث عنه ص ٢٧ .

شَمَّ مَؤِينٌ أَبْدَانَ الْجَزُورِ مَخَا مِيصَ الْعَشَّيَاتِ لَأُخُورَ وَلَا قَرَمٌ^(١)
جمع مهوان من أهان . قال سيبويه : فاعل إذا حول إلى فَعِيل أو
فَعِل عمل أيضاً وأُشْد :

حتى شأها قليلٌ مَوْهَتًا عَمِلُ باتت طراباً وبات الليل لم ينم^(٢)
واستدل سيبويه على عمل فَعِل بقوله :

خَزِرُ أُمُورًا مَا تَخَافُ وَأَمْنُ مَا لَيْسَ مُنْجِيَةً مِيزَ الْأَقْدَارِ^(٣)

ومنه غيره وقالوا : إن البيت مصنوع يروى عن اللاحقى أن
سيبويه سألني عن شاهد في تعدى "فَعِل" فعملت له هذا البيت . أما
إذا لم يكن فَعِيل وفَعِل مما حول إليه اسم الفاعل كظريف وكريم وفطِن
فلا خلاف في أنهما لا ينصبان إذ كلاهما في أبنية المبالغة لا في
الصفات المشبهة .

(١) سبق تخريجه والحديث عنه ص ٢٦ .

(٢) من البسيط - لمساعدة بن جويته اللغة : شأها : ماقيها وأزعجها من موضعها .
والمعنى على مذهب سيبويه : أنه وصف حماراً وأثأ نظرت إلى برق مستطير
مبنىء بالغيث بكل الموهن - وهو وقت من الليل - يروقه ولمعانها وهو مجاز كما
تقول : أتعبت ليلى إذا سرت فيه سيرا حثيثاً ، قطربت تلك الحمر للبرق مثاقلة إليه
في أماكنه ، وبات البرق ليلة لم ينم ، أى : استمر في لمعانه . والشاهد فيه :
نصب "موهنا" بـ "كليل" لأنه بمعنى فكل فغير منه عند المبالغة وفَعِيل بمعنى مفعِل
بمعنى مفعِل كثير ، كجسير وأليم وسميع بمعنى : مبصر ومؤلم ومسمع فإذا كان
بمعناه عمل لأنه فغير منه للمبالغة . وقد رد على سيبويه فذهبه بما سبق في الشاهد
السالف ، فعليه يكون موهنا ظرفاً عاملة شأها أو كليل ومعناه على ذلك : أن
البرق ضعيف الهبوب كليل في نفسه . وفي هذا الرد نظر إذ لو كان كليل بمعنى
ضعيف لم يقل منه "عمل" وهو الكثير العمل لا ريب . نظر الكتاب ١١٤/١
خزانة الأدب ١٥٥/٨ ، ١٥٨ ، ١٦٤ المقتضب ١١٥/٢ شرح المفصل ٧٢/٦ ،
٧٢ المغنى ٤٣٥/٢ لسان العرب عمل - شأى - المقرب ١٢٨/١ المعجم المفصل
٩٤٦/٢ .

(٣) سبق تخريجه والحديث عنه ص ٢٩ .

وقد جاء فعيل لمبالغة مفعول كقوله تعالى " ولهذا عذاب أليم " (١)
على رأى . وقوله :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوْرَقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ. (٢)
على أَنَّ "فعيلا" قد جاء لمبالغة مفعول على رأى وهو رأى الجمهور
منهم أبين الأعرابي (فى نواتره) أنشد لثغبة العنوى :

إِنِّي تَوَدُّكُمْ نَفْسِي وَأَمْنُكُمْ حُبِّي ، وَرُبَّ حَبِيبٍ غَيْرُ مُحَبَّبٍ (٣)
حبيب فى معنى مَحَبٍّ ، مثل أليم فى معنى مُؤَلِّمٍ وسميع فى معنى
مسمع . وأنشد هذا البيت ومنهم : أبو العباسى المبرد قال فى
"الكامل" (٤) : قِيلَ : خَصِيبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُخَصِّبٍ ، وَجَدِيبٌ .
وَأَنْتَ تَرِيدُ مُجَدِّبٍ ، كَقَوْلِكَ : عَذَابُ أَلِيمٍ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُؤَلِّمٍ . ويقال :
رجل سميع

أى : مُسَمِعٌ قال عمرو بن معد يكرب :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ :البيت .
ومنهم أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) قال فى تفسيره (٥) من
البقرة ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (٦)

(١) سورة البقرة آية ١٠

(٢) من الوافر - لعمر بن معدى كرب . والشاهد فيه كما فى الشرح . انظر (الكامل) ٢٠١/١ وابن
الشجرى ٦٤/١ ١٠٦/٢ وابن يعيش ٧٣/١ والخزانة ١٧٨/٨ الكشف ٣٠٧/١ معان الزجاج
٦٨/١ .

(٣) من البسيط وانظر الخزانة ١٧٩/٨

(٤) انظر الكامل ٢٠١/١

(٥) انظر معان القرآن للزجاج

(٦) البقرة ١٠

معنى أليم : مُوجع يصل وجعه إلى قلوبهم . وتأويل أليم فى اللغة مؤلم .

قال الشاعر : وأنشد هذا البيت .

ومنهم البيضاوى (٦٨٥ هـ) فى تفسير ^(١) قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) قال : أى مبدعهما ونظيره السميع فى قوله :

أمن ريحانة الداعى السميع ... البيت .

ويقابل قول الجمهور قول صاحب ^(٣) الكشف عند قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، أى : بديع سمواته وأرضه . وقيل :

البديع بمعنى المبدع ، كما أنَّ السميع فى قول عمرو :

أمن ريحانة الداعى السميع ... البيت

بمعنى : السميع وفيه نظر .

قال السعد (٧٩١ هـ) ^(٤) فى حاشيته اعترض المصنف بأنه لم يثبت فاعيل بمعنى مفعول ، ولا استشهاد فى البيت ، لأنَّ داعى الشَّوق لمَّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبَّب لكون سميعاً ، فأوقع على الداعى اسم السميع لكونه سبباً فيه . على أنَّ الشَّاذَّ لا يصحَّ القياس عليه إن ثبت . انتهى .

^(١) انظر تفسير البيضاوى ٢٠١/٢

^(٢) البقرة ١١٧ والأنعام ١٠١

^(٣) انظر الكشف ٣٠٧/١ ، ٤١/٢

^(٤) انظر الكشف ٤٣٨/٤

ثم يقول الرضى : وأما الفعل بمعنى المفاعل كالجليس والحبیب فلا يعمل اتفاقاً .

وعند الكوفيين لا يعمل شيء من أبنية المبالغة لقوات الصيغة التسمى بها شابه اسم الفاعل الفعل وإن جاء بعدها منصوب فهو عندهم بفعل مقدر .

وقال البصريون : إنما تعمل مع قوات الشبه اللفظي لجبر المبالغة في المعنى ذلك النقصان وأيضاً فإنها فروع لاسم الفاعل المشابه للفعل فلا تقصر عن الصفة المشبهة في مشابهة اسم الفاعل ومن ثمة لم يشترط فيها معنى الحال والاستقبال كما لم يشترط ذلك فى الصفة المشبهة . وقال ابن بابشاذ : لا تعمل بمعنى الماضى كاسم الفاعل والأبيات المنشدة ظاهرة فى كونها للإطلاق المقيد للاستمرار .^(١) فمن يتأمل كلام الإمام الرضى يجد أنه بين الخلاف بين البصريين والكوفيين فى أبنية المبالغة وأن العامل منها بإتفاق من البصريين ثلاثة : وهى فعال ، مفعال فعول وقد ضرب لذلك أمثلة ، من الثلاثى ، وبين أنها قد تبنى من غير الثلاثى . أى : من أقعل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك واستدل أيضاً على ذلك ببيت من الشعر وبين أن سيبويه : قال بأن فاعل "إذا حول إلى فاعل أو فعل عمل أيضاً واستدل على ذلك بشعر وارد عن العرب ، وأن بعض العلماء منعوا إعمال فاعل وفعل وردوا على ما استشهد به سيبويه بأن فاعل "لازم لا يتعدى وأن البيت الذى استشهد به على إعمال "فعل" مصنوع .

^(١) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢

يوسف يأتى إن شاء الله فى مبحث خاص أن الصواب
والصحيح هو رأى سيبويه ، ويبدو من كلام الإمام الرضى أنه من
المعارضين لسيبويه فى اعمال فعيل " وفعل حيث يقول بعد خلاف
العلماء فى إعمال فعيل " فى قوله الشاعر :

حتى شأها كليل موهبا عمل بايت طرابا وبات الليل لم ينم . (١)
قال الرضى : لا استدلال بالمحتمل ولا سيما إذا كان بعيدا ، وقال كما
قال غيره فى قول الشاعر :

حذر أموراً ما تخاف وآمن ما ليس منجيه من الأقدار (٢)
إن البيت مصنوع كما قال اللاحقى أن سيبويه سأل شاعدا فى تعدى
فعل " فعل له هذا البيت . ولم يرد على هذا الإفتراء . وبين الرضى
أيضا : أن فعيلان قد جاء لمبالغة مفعل على رأى الجمهور وأورد
لذلك تأويلات العلماء فى الشعر وفى كتاب الله عز وجل ، وبعضهم
قال كالمختصرى أن فعيل "صفة مشبهة .

وبين أن الفعيل بمعنى المفاعل كالجلس والحبیب لا يعنى اتفاقا ،
وأن رأى الكوفيين فى أبنية المبالغة أنها لا تعمل لفوات الصيغة التى
بها شابه اسم الفاعل الفعل ، وإن جاء بعدها منصوب فهو عندهم
بفعل مقدر .

وأن رأى البصريين فى أمثلة المبالغة أنها تعمل مع فوات الشبه
اللفظى لجبر المبالغة فى المعنى ذلك النقصان ، وأنها لا تقصر عن
الصفة المشبهة فى مشابهة اسم الفاعل لأنها فروع لاسم الفاعل

(١) سبق تخريجه والحديث عنه ص ٣٢ .

(٢) سبق تخريجه والحديث عنه ص ٢٩ .

المشابه للفعل ، وأنه لا يشترط لعملها أن تكون بمعنى الحال والاستقبال كما لم يشترط ذلك فى الصفة المشبهة .

ويرى ابن بابشاذ أن أمثلة المبالغة لا تعمل بمعنى الماضى كاسم الفاعل ، ولكن الإمام الرضى : يرى أنها تعمل وإن كانت بمعنى الماضى ويدل على ذلك قوله : " والآيات المنشدة ظاهرة فى كونها للإطلاق المفيد للاستمرار ^(١) " فمن هذه الأبيات قول الشاعر :

بكيت أخا اللكواء يُحَمَّدُ يومه ^(٢)

ألا ترى أنه يرثيه وأجيب بأنه على حكاية الحال .

وبين الرضى كذلك : أنه إذا لم يكن فُعِيل وفُعِل مما حول إليه اسم الفاعل كظريف وكريم وقُطِن فلا خلاف فى أنهما لا ينصبان إذ الكلام الآن فى أبنية المبالغة لا فى الصفات المشبهة .

ويقول الإمام أبو حيان فى ارتشاف الضرب ^(٣) وهو يتحدث عن خلاف العلماء فى عمل أمثلة المبالغة عمل اسم الفاعل أو عدم عملها ، وكذلك الصيغ التى يجوز لنا أن نقيس عليها والصيغ التى نتوقف فيها على ما ورد من سماع فيها عن العرب . قال : " وأختلف النحاة فيما كان من هذه الأمثلة الخمسة متعدياً فعله ، فذهب الكوفيون : إلى أنه لا يجوز إعمال شيء منها فى المفعول ، وإن وجد مفعول بعدها فهو على إضمار فعل يفسره المثال ، وأن ذلك

^(١) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ - ١٩٤ .

المفعول لا يجوز تقديمه على المثال المذكور فلا يجوز عندهم :
 هذا زيداً ضروب ، على هذا لا يجوز : أزيداً أنت ضاربه إلا بالرفع ،
 وذهب سيبويه إلى جواز إعمالها الخمسة ، ومنع أكثر البصريين من
 إعمال فَعِيل وفَعْل منهم : المازنى والزَّيْدَى (٢٤٩ هـ) والمبرد ،
 وأجاز الجرمى إعمال فَعِيل دون فَعْل ، وقال أبو عمرو : ويعمل فَعِيل
 على ضعف ، وخالف فى فَعِيل قال : تقول : أنا حَزَرُ زَيْدَا ، وقرقُ
 عمراً يريد : من زيد ومن عمرو . والذى أختاره ^(١) : أى أبو حيان
 : جواز القياس فى : فَعُولٌ وفَعَّالٌ ومِفْعَالٌ والافتقار فى فَعِيل وفَعْل
 على المسموع ، فلا يجوز هذا لبيسُ الثياب ولا ضربُ عمراً واما
 فَعِيل فاعمله ابن ولاد وتبعه ابن خروف فأجاز : أزيد شَرَيْبُ الخمر
 وطبيخُ الطعام ، وسمع إضافة شَرَيْب إلى معمولة قال حسان :
 لا تُفَرِّى يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَيْبُ خَمْرٍ مَسْعُرٌ لِحُرُوبٍ . ^(٢)
 وعلى هذا لا يبعد عمله نصبا وأما فَعَّالٌ فسمع من اللزم حَسَّان
 وضَاءُ أى : كثير الحسن وكثير الوضاعة ، ومن المتعدى : رجل
 قَرَأَ أى : كثير القراءة ، ولا نعلم أحداً أعمل قَرَأَ فى مفعول ، فلا
 يجوز : زيد قَرَأَ السور . ^(٣)

^(١) انظر ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

^(٢) من الكامل . وهو لحفص بن الأحنف الكنائى فى شرح ديوان الحماسة
 للمرزوقى ولحسان بن ثابت فى العقد الفريد ولأحدهما فى الدرر وبالنسبة فى
 الهمع .

والشاهد فيه : قوله شَرَيْبُ خَمْرٍ حيث أضيف فَعِيل إلى معمولة . انظر ديوان
 الحماسة ص ٩٠٦ العقد الفريد ١١٦/١ الدرر ٢٧٣/٥ مع ٩٧/٢ ارتشاف
 الضرب ١٩٣/٣ .

^(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٩٤/٣ .

فمن يمعن النظر فى كلام الإمام أبى حيان يجد أنه بيّن رأى الكوفيين فى عدم جواز إعمال شىء من أمثلة المبالغة عمل اسم الفاعل وأنه عبر عنها "بالمثال" وأن المنصوب بعدها على إضمار فعل ، ويبيّن رأى سيبويه فى جواز إعمال الخمسة ومنع أكثر البصريين إعمال فَعِيل وفَعِلَ منهم المبرد وأجاز الجرمى إعمال فَعِيل دون فَعِل . ورأى أبى حيان هو جواز القياس فى : فَعُول وفَعَال ومِفْعَال والاقتصار فى فَعِيل وفَعِل على المسموع ، فلا يجوز : هذا لبيّس الثياب ولا ضربُ عمراً .

وأنه يرى جواز إعمال صيغة فَعِيل حيث يقول : "وعلى هذا لا يبعد عمله نصباً" وقد أعمله ابن ولاد (٣٣٢ هـ) وتبعه ابن خروف (٦٠٩ هـ) واستدل على ذلك بقول حسان الذى سبق ذكره من قِبَل . وأنه يرى عدم جواز إعمال صيغة فُعَال "حيث يقول" ولا نعظم أحداً .

اعمل قرأء فى مفعول فلا يجوز : زيد قرأء السور .

وإذا كان أبو حيان قد أعمل صيغة فَعِيل إلا أن بعض العلماء قد عدها من الصيغ القليلة^(١) المقصورة على السماع عند أكثر القدماء أشهرها من الفعل الثلاثى الماضى : فَعِيل ومِفْعَل ، نحو : شَرِبَ أهوال ، ومِسْعَر حروب وفعلها الثلاثى : شَرِب ، وسَعَر ، ومن غير الثلاثى : ذَرَاكَ - سَارَ مِعْوَان - مِهْوَان - نَذِير - سَمِيع - زَهْوَق .

وأفعالها الشائعة :

أَذَرَكَ - أَسَارَ - (بمعنى ترك فى الكأس بقية) أَعَانَ - أَهَانَ - أُنْذَرَ - أَسَمِعَ - أَزْهَقَ .

ويرى بعض اللغويين أن المسموع كثير من صيغة "فَعَال" المشتقة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم للدلالة على المبالغة ، ولذا يجيز - لشدة الحاجة إليها - اشتقاقها من مصدر الثلاثي اللازم أيضاً وهو رأى حسن ارتضاه المجمع اللغوى ، وسجله فى مجلته (١) . وفى المراجع اللغوية صيغ متنوعة مسموعة - غير صيغة فَعَال لم تستوف شروط الصياغة فيجب الوقوف فيها عند حد السماع . ومن أمثلتها ضَحُوكٌ وَعَبُوسٌ فى قول شاعرهم :

ضحوك السنَّ إن نطقوا بخير وعند الشرِّ مطراق عبُوس (٢) .

فقد صاغ من الثلاثي اللازم كلمتى : ضحوك وعبوس " مع أن فعلهما لازم كما صاغ كلمة مطراق " مع أن فعلها الشائع رباعى هو : أطرق ، بمعنى : سكت ونظر إلى الأرض . ومثل يَشْوُشُ فى قول عنتره :
ألقي صدور الخيل وهو عوابس وأنا ضحوك نحوها وبشُوس (٣)
أما صيغة فَعِيل " فإذا كان أكثر القدماء قد عدوها من الصيغ القليلة المقصورة على السماع فقد خالف هذه الأكثرية فى رأيها فريق آخر منهم :

"ابن قتيبة" (ت ٢٧٦ هـ) : فى كتابه "أدب الكاتب" باب (٤) : اختلاف الأبنية فى الحرف الواحد ، لاختلاف المعانى حيث يقول مانصة : "ما كان على فَعِيلٍ فهو مكسور الأول ، لا يفتح منه شيء ، وهو لمن دام منه الفعل ، نحو : رجل سيَّير كثير السكر / - وخمَّير ، كثير

(١) انظر مجلة المجمع اللغوى - ٣ ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) من الوافر - والشاهد فيه كما فى الشرح وانظر النحو الواقى ٢٦٠/٣ .

(٣) من الكامل وانظر النحو الواقى ٢٦٠/٣ .

(٤) انظر أدب الكاتب ص ٢٢٠ شرح على فاعور .

وهو لمن دام منه الفعل ، نحو : رجل سَكِرَ كثير السكر / -
وخمير ، كثير الشرب للخمر ، وفخِرَ الفخر ، وعشّقَ ، كثير
العشق وسكّيت ، دائم السكوت - وضلّل ، وصرّع وظلّم ومثل ذلك
كثير ، ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه ،
ويكون له عادة ، وكذلك كل اسم يكون على فُعُول نحو قَتُول للرجال ،
وضروب بالسيف ، أو على فَعَال نحو : قَتَال وضَرَاب "
فهو يقرر أن صيغة "فَعِيل" كثيرة في المبالغة ، وإذا ثبتت كثرتها
كان القياس عليها جائزاً . وقد جعل المجمع اللغوى القاهرى هذه
الصيغة ^(١) قياسية ، وليست مقصورة على السماع ، كما يرى النحاة
الأقدمون .

ونص قراره (كما جاء فى الصفحة التاسعة ، من تقرير لجنة الأصول
المرفوع إلى المؤتمر اللغوى الذى انعقد فى آخر يناير ١٩٦٧م
فوافق عليه) هو :

"فى اللغة ألفاظ على صيغة "فَعِيل" من مصدر الفعل الثلاثى اللازم
والمتعدى للدلالة على المبالغة ، وكثرتها تسمح بالقول بقياسيتها ،
ومن ثمّ يجوز أن يصاغ من مصدر الفعل الثلاثى - لازماً أو متعدياً -
لفظ على صيغة فَعِيل بكسر الفاء وتشديد العين - لإفادة المبالغة "
وقد ذكر هذا القرار مرة أخرى ومعه بعض البحوث والمذكرات
العلمية التى اعتمد عليها المجمع ومؤتمره فى ص ٣٤ من الكتاب
الذى أصدره المجمع سنة ١٩٦٩ م .

باسم "كتاب فى أصول اللغة" مشتملا على القرارات من دورة
٢٩ إلى ٣٤ .

ويقول الصبان : "فى الفارضى مانصه : زاد ابن خروف إعمال فَعِيل
كزبيد شَرِيَّب الخمر بالنصب وأجازه أيضاً ابن ولاد حكاه أبو حيان ،
وشَرِيَّب من المبالغة سماعاً ومثله : كَبَّارٌ وَعُجَّابٌ بمعنى : عجيب ^(١)
ويقول الإمام السيوطى فى الهمع ^(٢) وهو يتحدث عن الخلاف فى
إعمال أمثلة المبالغة وعن القياسى والسماعى منها فيقول : "وأنكر
الكوفية الكل أى : إعمال الخمسة لأنها زادت على معنى الفعل
بالمبالغة إذ لا مبالغة فى أفعالها ولزوال الشبه الصورى أيضاً فما
ورد بعدها منصوباً قباضمار فعل يفسره المثال ، وأنكر أكثر
البصريين الأخبريين أى : فعيل وفَعِلَ لقلتهما وأنكر الجرمى فَعِلَ دون
فعيل لأنه أقل وروداً حتى إنه لم يسمع إعماله فى نثر . وقال أبو
عمرو : ويعمل فَعِلَ بضعف .

وقال أبو حيان : ^(٣) لا يتعدى فيهما - أى : فَعِلَ وفَعِيل - السماع بل
يقتصر عليه بخلاف الثلاثة الآخرة - أى : فَعَّالٌ ، مِفْعَالٌ ، فَعُولٌ -
فيقياس فيها . "

ويقول الإمام السيوطى : ^(٤) "وقد سقتها فى المتن على ترتيبها فى
العمل فأكثرها : فَعَّالٌ ثم فَعُولٌ ومِفْعَالٌ ثم فَعِيلٌ ثم فَعِلَ . وادعى ابن
طلحة تفاوتها فى المبالغة أيضاً :

^(١) انظر حاشية الصبان ٢٩٧/٢ .

^(٢) تنظر مع ٩٦/٢ ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

^(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

^(٤) انظر مع ٩٧/٢ .

ففعول لمن كثر منه الفعل وفعال لمن صار له كالصناعة ومفعال لمن صار له كالالة وفعليل لمن صار له كالطبيعة وفعل لمن صار له كالعادة . قال أبو حيان ^(١) : ولم يتعرض لذلك المتقدمون . وأعمل ابن ولاد وابن خروف "فعيلا" بالكسر والتشديد فأجازوا زيد شريب الخمر وطبيخ الطعام قال أبو حيان ^(٢) وقد سمع أضافة شريب إلى معمولة في قوله :

لَا تَنْفَرُ يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمْرٍ مُسْعِرٍ لِحُرُوبٍ . ^(٣)

فعلى هذا لا يبعد عمله نصبا وفهم من مساواه الأمثلة لاسم الفاعل جواز إعمالها غير مفردة كقولهم :

ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غَفْرُ ذُنُوبِهِمْ غَيْرُ فخر ^(٤)

وقوله :

شم مهاوين أبدان الجزور مخا ميص العشيات لا خور ولا قزم ^(٥)

وذهب ابن طاهر وابن خروف إلى جواز إعمالها ماضيه وإن عريت من أل وإن لم يقلوا بذلك في اسم الفاعل لما فيها من المبالغة ولم احتج إلى ذكره لأنه رأى محكيا في اسم الفاعل قدخل في التشبيه ^(٦) .

" فالإمام السيوطي بين رأى الكوفيين في علام عمل هذه الأمثلة لأنها زادت على معنى الفعل بالمبالغة ولا مبالغة في أفعالها ولزوال التشبه

^(١) انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ .

^(٢) انظر ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٣٨

^(٤) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٥) سبق تخريجه ص ٢٦ .

^(٦) انظر مع ٩٧/٢ .

الصورى وبين رأى أبى حيان فى "فعل وفعل" أنه يقتصر فيها على السماع بخلاف الثلاثة الآخر فيقاس فيها .
وقد ساقها على الترتيب على حسب كثرتها فى العمل وأنه قد أعمل صيغة "فَعِيل" نحو : شَرِيبَ وسَدَّيرَ كأبى حيان وابن قَتَيْبَةَ وابن ولاد وابن خروف وقد أخذ المجمع اللغوى القاهرى بهذا رأى وجوز القياس على هذه الصيغة لكثرتها للحاجة إليها وقد سبق ذكر ذلك .
وذكر رأى ابن خروف وابن طاهر بجواز (عمال ماضيه وإن عريت من "أل" بخلاف اسم الفاعل لما فيها من المبالغة .
ويقول أبو حيان "حكم هذه الأمثلة عند من يرى (عمالها حكم اسم الفاعل أحكاما" وشروطا واتفاقا واختلافاً إلا ما ذهب إليه ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز (عمالها ماضيه وإن عريت من "أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من أل "إذا كان ماضيا".^(١)

ويقول الشيخ السجاعى (ت ١١٩٧ هـ) فى حاشيته على ابن عقيل وهو يعلق على قول ابن مالك فى الألفية :

فَعَالٌ أَوْ مِفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فى كَثَرَةٍ عَنِ فَاعِلٍ بَدِيلُ .
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وفى فَعِيلٍ قَلٌّ ذَا وَفَعِلٍ

يقول : "قوله فيستحق " الخ يفيدا أن جميع الأمثلة تعمل قياسا وهو الأصلح أ هـ شاطبى وقال الكوفيين لا تعمل لأنها زادت على معانى أفعالها فاستحققت أن لا تحمل عليها .

وقال : أى الشيخ السجاعي : قوله :ماله من عمل " أى :
بالشروط المذكورة فى اسم الفاعل فلا تعمل بمعنى الماضى دون "أل"
خلفا لابنى طاهر وخروف ولا غير معتمدة على شىء مما تقدم خلفا
للكوفيين ^(١)

ويقول الشيخ الخضرى (ت ١٢٨٧ هـ) فى حاشيته على ابن عقيل
وهو يتحدث عمل أمثلة المبالغة قوله " فتعمل على الفعل" أى : كلها
على الصحيح حملا على أصلها وهو اسم الفاعل وأنكر الكوفيون
إعمالها لزيادتها بالمبالغة على معانى أفعالها ولزوال الشبه الصورى
والنصب بعدها بفعل مضمر تفسره هـى وأنكر أكثر البصريين
الأخيرين أى : فعل وفعليل والجرمى "فعلا" فقط . قوله "على حد اسم
الفاعل " أى : وفاقا وخلفا " ^(٢)

ويقول الشيخ الصبان فى حاشيته : قوله "فيستحق ماله من عمل "
يفيد أن جميع الأمثلة الخمسة تعمل قياسا وهو الأصح أ هـ شلطى .
وفى التصريح : "إعمال أمثلة المبالغة قول سيبويه وأصحابه وحجتهم
فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهى اسم الفاعل لأنها متحولة
عنه لقصد المبالغة ، ولم يجوز الكوفيون إعمال شىء منها لمخالفتها
لأوزان المضارع ولمعناه وحملوا المنصوب بعدها على تقدير فعل
ومنه تقديره عليها . ويرد عليهم قول العرب : "أما العسل فإنا شراب
أ هـ . وقوله ولمعناه أى : لإفادتها المبالغة دون المضارع . وعمل
فعال أكثر من عمل الاثنين بعده وعمل فاعيل أكثر من عمل فعل كذا

^(١) انظر حاشية الشجاعى ابن عقيل ص ١٥٩ .

^(٢) انظر حاشية الخضرى على بن عقيل ٢٦/٢ .

فى الهمع . وانظر هل هى مسقوية المعنى أو متفاوتة بأن تكون الكثرة المستفادة من فَعَّال مثلاً أشد من الكثر المستفادى من فَعُول مثلاً لم أر فى ذلك نقلاً . وقد يؤخذ من قولهم زيادة البناء تدل على زيادة المعنى أبليغة فَعَّال ومفعال على فَعُول وفعل وأبليغة هذين على فَعَّل^(١) .

وقال الشيخ الدنوشى فى حاشية يس على التصريح : "ينظر هل التحويل إلى الخمسة المذكورة قياسى أو سماعى أو قياسى فى الثلاثة الأول سماعى فى الأخيرين " وقال بعد . هذه الأمثلة على مذهب البصريين منقاسة فى كل فعل متعد ثلاثى نحو : ضرب تقول : ضَرَبَ وضروب وضرب ومِضْرَاب كذا قال أبو حيان وتفيده بمذهب البصريين فيه نظر^(٢)

ويقول الشيخ أحمد الفاكهى (ت ٩٧٢ هـ) فى شرحه على قطر الندى .^(٣)

"المثال: "ولو مثنى أو مجموعاً وهو ما : أى: اسم حوّل للمبالغة والتكثير فى الفعل من صيغة اسم الفاعل الثلاثى إلى صيغة فَعَّال كضَرَبَ أو فَعُول كضروب ، أو مِفعال كمِضْرَاب . والتحويل إلى هذه الثلاثة بكثرة ولهذا وافق جميع البصريين سيوبه على جواز إعمالها أو فَعِيل كسميع أو فَعَّل كحذر والتحويل إليها بقلة ولهذا منع بعضهم إعمالها . أما الكوفيون ، فمنعوا إعمال الخمسة نظراً إلى أنها

(١) انظر حاشية الصبان على الأحمون ٢٩٦/٢ .

(٢) انظر حاشية يس ٦٧/٢ .

(٣) انظر مجيب النداء إلى قطر الندى ١٩٩/٢ - ٢٠١ .

لاتجارى الفعل وزادت عليه بالمبالغة فبعد شبهها عنه وقدروا
للمنصوب بعدها عاملاً .

والصحيح جواز إعمالها - أى : رأى الشيخ الفاكهى - حملاً على
أصلها وهو اسم الفاعل لإفادتها ما يفيد مكرراً ولورود السماع به
نحو ما حكاه سيبويه : أما العسلُ فأنا شرّاب بنصب العسل، وإنه
لمِبحار بة انكها . وقولهم : إن الله غفور ذنب العاصين . وإن الله
سميع دعاء من دعاه وقوله :

أتانى أنهم مرثون عرضى (١)

والمشهور أن هذه المثلة لا تتفاوت فى المبالغة .

ويقول الشيخ يس العليمى (ت ١٠٦١ هـ) فى حاشية على شرح
الفاكهى: (٢)

قوله "للمبالغة والتكثير " هما متغايران فالمبالغة باعقبار الكيفية
والتكثير باعقبار الكمية قال الشاطبى فى شرح الألفية : هذه الأمثلة
تأتى فى الكلام فى الجملة على ثلاثة أقسام :
أحدها : هذا الذى ذكره ، أى : للمبالغة والتكثير .

الثانى : أن تأتى للمبالغة فى الصفة لا فى كثرة الفعل كحسان ، وكذا
إذا دخلها معنى النسب نحو : مِقوال فإن معناه المبالغة فى القول
وتكثيره لأعلى معنى الفعل بل على معنى ذى كذا كأنه يقول : ذو قول
أو على الياء كأنه يقول : قولى فى قول ، فذلك لا تعمل عمل الفعل
أصلاً لما دخلها من معنى النسب كما لا يعمل نحو : تمار .

(١) سبق ترجمه ص ٣٠ .

(٢) انظر حاشية يس على الفاكهى ١٩٩/٢ - ٢٠١ .

الثالث : أن تأتي لغير مبالغة أصلا نحو : كرم فهو كريم وشرف فهو شريف وما أشبه ذلك مما هو جاز على فعله قياسا فى البناء ، فهذا القسم أيضا لا يعمل عمل اسم الفاعل إذ ليس هذا بدلا عن فاعل . قوله "الثلاثى" قيد بذلك لأن اسم الفاعل غير الثلاثى لا يكون على فاعل والعمل فى فعال أكثر من الاثنين بعده وعملها حينئذ قياس على الأصح .

قوله : "على جواز إعمالها " أى : بالشروط المذكورة فلا تعمل بمعنى الماضى بدون "أل" وزعم ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى الماضى مجردة من أل لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع ورد بذلك وجرى على ذلك الرضى .

وهو مردود - أى - رأى الشيخ س - لأن دلالتها على المبالغة مبعدة لها من شبه الفعلوما أوهمه السماع محمول على حكاية الحال وقوله "إفادتها ما يفيد مكررا " هذا مبنى على أن الفاعل لا يدل على مبالغة ولا كثرة وهو ما قاله الحريرى ، وذكر أن من الوهم قولهم لمن يكثر السؤال سائل وسائله وأن الصواب : سأل وسأله ، وقد رده ابن برى وقال : فعال "خاص بالكثير وفاعل عام فى القليل والكثير انتهى . وحينئذ فهى يدل عن فاعل فى التصيص على الكثرة قال الشاطبى فى شرح الألفية : اسم الفاعل دال على الفعل كثيرا كان أو قليلا ، فيقال : فاعل : لمن تكرر منه الفعل وكثر ولمن وقع منه فعل ما لكنه من جهة وضعه لا إشعار له بخصوص فعل فإذا أرادوا أن يشعروا بالكثرة وضعوا لها مثالا دالا عليها ، مفعول فى الحقيقة إنما

هو بدل من فاعل المراد به الكثرة لا من مطلق فاعل وكذا سائر
المثل ، فتبين أن كل واحد منها بدل من فاعل في المعنى .
قوله " والمشهور أن هذه الأمثلة لا تتفاوت في المبالغة " ذكر
الحريري أن العرب بنوا لمن فعل مرة فاعلاً كقاتل وضارب ، ولمن
كرر الفعل فاعلاً كقتال وقتاك ولمن بالغ في الفعل وكان قوياً عليه
فعولاً نحو : صبور ، ولمن اعتاد الفعل مفعلاً كامراً مذكراً أو مثنى
أو معقاب إذا كان عاداتها أن تلد الذكور أو الإناث أو نوبة كذا ونوبه
كذا ، ولمن كان آله الفعل وعدة له مفعلاً ، وكتب عليه ابن يرى هذا
الذي ذكره سيبويه فعول وفعال لا تعرفه النحويون ، وكذلك مفعال
كلها بمعنى واحد نحو : ضروب وضراب ومضراب .
فمن يتأمل كلام الفاكهي يجد أنه عبر عن أمثلة المبالغة "بالمثال"
فقال : "المثال" ولو مثنى أو مجموعاً وهو ما أي : اسم حول للمبالغة
والتكثير في الفعل من صيغة اسم الفاعل الثلاثي إلى صيغة فَعَال
كضَرَاب أو فَعُول كضروب . الخ كما عبر عنها أبو حيان كذلك
بالمثال فقال : "المثال : هو ما حول من اسم الفاعل للمبالغة إلى
فَعُول وفَعَال ومفعال الخ . وبين الفاكهي أن التحويل إلى الثلاثة
الأولى بكثرة ولهذا وافق جميع البصريين سيبويه في جواز إعمالها
وأن التحويل إلى فعيل وفعل بقلّة ، ولهذا منع بعضهم إعمالها ، وردّ
على الكوفيين الذين منعوا إعمال الخمسة واستدلوا على ذلك أنها لا
تجارى الفعل وزادت عليه بالمبالغة فبعد شبهها عنه وقدرها فعلاً
للمنصوب بعدها . فقال : والصحيح جواز إعمالها حملاً على أصلها
وهو اسم الفاعل لإفادتها ما يفيد مكرراً ولورود السماع به ويّـن
الفاكهي أن أمثلة المبالغة لا تتفاوت في المبالغة على المشهور .

أما الشيخ يس فى حاشيته على هذا الشرح فقد بين الفرق بين
المبالغة والتكثير قال :

إن المبالغة باعتبار الكيفية والتكثير باعتبار الكمية ونقل عن الشاطبى
فى شرح الألفية أن أمثلة المبالغة تأتى فى الكلام على ثلاثة أقسام :
الأول : أن تأتى للمبالغة والتكثير ، والثانى : أن تأتى للمبالغة فى
الصفة لا فى كثرة الفعل كحسان الثالث :
أن تأتى لغير المبالغة أصلاً نحو : كرم فهو كريم ، وشرف فهو
شريف .

وأورد الشيخ يس رأى ابن طاهر وابن خروف والرضى أنها تعمل
ولو بمعنى الماضى مجردة من "أل" لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع
ورد بذلك وقد ردَّ الشيخ يس على هذا الرأى قائلاً : أن دلالتها على
المبالغة مبعدة لها من شبه الفعل وما أوهمه السماع محمول على
حكاية الحال ، والرأى الذى أميل إليه جواز إعمالها ولو بمعنى
الماضى كما قال بذلك أكثر العلماء ، ولأن السماع وارد بذلك بدون
تأويل أو احتمال ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل
وقد ردَّ الشيخ يس على الفاكهى فى قوله "المشهور أن هذه الأمثلة لا
تتفاوت فى المبالغة" فقال : "نكر الحريرى أن العرب بنوا لمن فعل
مرة فاعلا كقاتل ومن كرّر الفعل فعّالاً كقتّالا ، ومن بالغ فى الأمر
وكان قوياً عليه فعولاً نحو : صبور ومن اعتاد الفعل : مفعّالاً كامرأة
مذكّر .

وممن أيد مسألة التفاوت فى أمثلة المبالغة أبو حيان فى ارتشاف^(١) الضرب حيث قال : "وفى كتاب بغية الأمل عن أبى بكر بن طلحة ، أن هذه المثل تتفاوت فى المبالغة فضروب لمن كثر منه الضرب ، وفعال لمن صار له كالصناعة ومفعال لمن صار كالآله ، وفعل لمن كالطبيعه ، وفعل لمن صار كالعاهة ولم يتعرض لذلك المتقدمون " ونقل السيوطى فى الهمع هذا التفاوت عن أبى حيان . وفى شرح الألفية للمكودى^(٢) (ت ٨٠٧ هـ) وهو يشرح قول ابن مالك :

فعال أو مفعال أو فعول فى كثرة عن فاعل بديل .
بقوله : قوله "فى كثرة " أى : مرادا به الكثرة أى : التكثير وهى الزيادة فى الفعل ولذلك تسمى أمثلة المبالغة ويؤيد حمل كلامه على هذا المعنى قوله فى الكافية: ^(٣) "وقد يصير فاعلا فعلا: تكثيرا أو فعولا أو مفعالا ويحتمل عندى أن يكون أراد بكثرة أن هذه الأمثلة الثلاثة يكثر فيها العمل المذكور ويؤيده قوله " وفى فعل قل ذا وفعل " ويدل على صحة هذا التأويل قوله فى شرح الكافية: وأكثرها استعمالا فعلا وفعول ثم مفعال ثم فعل ثم فعل " وصيغ المبالغة لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير ولذلك يقول أبو حيان :

"ولا يكون شىء من تلك الأمثلة الخمسة للمبالغة إلا فيما يمكن فيه التكثير فلا تقول زيد قتال عمرا ، ولا زيد موات ، ويجوز زيد قتال الأبطال " ^(٤)

(١) انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ والمجم ٩٧/٢ وأدب الكاتب ص ٢٢٠ .

(٢) انظر شرح الألفية للمكودى ص ١١٣ .

(٣) انظر الكافية الشافية ١٠٣١/٢ تحقيق د/ عبد النعم هريدى .

(٤) انظر ارتشاف الضرب ١٩٤/٣ .

ويقول السيوطى فى الهمع : " ولدالاتها على المبالغة لم تستعمل إلا حيث يمكن الكثرة فلا يقال : مَوَات ولا قَتَالَ زيد بخلاف قَتَالَ الناس ، أما إذا لم تدل عليها فلا تعمل كأن كانت للنسب كحار وطعم أو كان بناء النصب عليها ككريم وفرح " ^(١) ويقول الأشمونى : ^(٢) " كثيراً ما يحول اسم الفاعل إلى هذه الأمثلة لقصد المبالغة والتكثير " يقول الصبان : " قوله : لقصد المبالغة والتكثير " أفاد أنها لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير فلا يقال : مَوَات ولا قَتَالَ زيداً بخلاف قَتَالَ الناس " ويقول سيبويه وهو يتحدث عن صيغة " فاعل " أنها لا تعمل إلا عند قصد المبالغة : " فاما الأصل الأكثر الذى جرى مجرى الفعل من الأسماء ففاعل . وإنما جاز فى التى بنيت للمبالغة لأنها بينت للفاعل من لفظه والمعنى واحد وليست بالأبنية التى هى فى الأصل أن تجرى مجرى الفعل ، يذك على ذلك أنها قليلة . فإذا لم تكن فيها مبالغة الفعل فإنما هى بمنزلة غلام وعبد ، لأن الاسم على فَعَلَ بِفَعْلُ فاعل ، وعلى فَعَلَ يَفْعَلُ مفعول ، فإذا لم يكن واحد منهما ولا الذى لمبالغة لم يكن فيه إلا الرفع " ^(٣)

ويقول المبرد أيضاً وهو يتحدث عن صيغ المبالغة أنها لا تعمل إلا عند قصد المبالغة :

" فإن ذكرت "فَعُولاً" من غير فعل لم يجر مجرى الفعل ، وذلك نحو قولك :

^(١) انظر الجمع ٩٦/٢ .

^(٢) انظر الأخوان والصبان ٢٩٦/٢ .

^(٣) انظر الكتاب ١١٧/١ .

هذا رسول وليس بمنزلة ضروب " ولأنك تقول : رجل ضارب
وضروب لمن يكثر الضرب منه . فإذا قلت : "رسول" لم ترد به معنى
فعل ، إنما تريد أن غيره أرسله . والفعل منه أرسل يُرسل والمفعول
: مُرسل وليس رسولاً مكثرًا من مرسل ، لأن رسولاً قد يستقيم أن
يكون أرسل مرة واحدة فليس للمبالغة ، وأما ضروب فمعناه كثرة
الضرب . فإن كانت الأسماء جارية على أفعالها فى الفاعلين
والمفعولين عملت عمل أفعالها لا اختلاف فى ذلك بين أحد ^(١) وورد
فى المسموع الذى لا يقاس عليه بعض صيغ المبالغة خالياً من معنى
"المبالغة " مقتصرًا فى دلالاته المعنوية على المعنى المجرد الذى لا
مبالغة فيه ، فهو يدل على ما يدل عليه اسم فاعله الخال من تلك
المبالغة المعنوية : مثل كلمة ظلوم "فى قول الشاعر :

وكل جمال للزوال مآله وكل ظلوم سوف يبلى بظالم ^(٢)

فإنها ليست للمبالغة ، إذ المقام هنا يقتضى أن يكون المراد من لفظ
"ظلوم" هو :

"ظالم" ، وليس كثير الظلم ، لأن كلاً من الاثنين سيلقى ظالماً . من
غير أن يتوقف هذا اللقاء إلا على مجرد وقوع الظلم من أحدهما ،
دون نظرة لقلّة الظلم أو كثرته وينطبق هذا على كلمة : "فخور" فى
قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مَخْتَالًا فُخُورًا " ^(٣) فليس المواد
هنا كثرة الفخر لأن الله تعالى يكره صاحب الفخر مطلقاً ، بغير نظر

^(١) انظر المقتضب ١١٧/٢ .

^(٢) من الطويل . لم أقف على قتاله وانظر النحو الواقي ٢٦٢/٣ .

^(٣) النساء / ٣٦ .

إلى كثرة الفخر أو قلته . ^(١) والخاصة من هذا المبحث وهو

"آراء العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة"

وهو أن بعضهم قال : إن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثى المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب : إلى أن الصيغ فَعَال ومَقْعَال وفَعُول قياسية لكثرتها وأما غيرها فسماعى ونسب إلى أبى حيان حيث يقول :
والذى اختاره جواز القياس فى : فَعُول وفَعَال ومَقْعَال والاقتصار فى
فَعِيل وفَعِل على المسموع فلا يجوز : هذا لبيس الثياب ولا ضرب
عمرأ ، وأن المجمع اللغوى قرر أن صيغة فَعَال تأتى للمبالغة قياساً
من الثلاثى المتعدى واللازم وذلك لورود ألفاظ كثيرة من المتعدى
واللازم تصلح أساساً للقياس .

وان صيغة فَعِيل كثيرة فى المبالغة وإذا ثبت كثرتها كان القياس
عليها جائزاً كما قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب وابن ولاد ابن خروف
وأبو حيان ولذلك قال : "وعلى هذا لا يبعد عمله نصباً" وقد جعل
المجمع اللغوى القاهرى هذه الصيغة قياسية وليست مقصورة على
السماع كما يرى النحاة الأقدمون وأن مذهب سيبويه جواز إعمال
هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى والمبرد
إعمال فَعِيل وفَعِل ، وفصل الجرمى فأجاز إعمال فَعِل لأنه على وزن
الفعل ، ومنع إعمال فَعِيل ، ومنع الكوفيين إعمال الخمسة لأنها لما
جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم شيئاً ومتى وجدوا
شيئاً منها قد وقع بعده منصوب أخمروا له فعلاً وقد حكم ابن هشام
على مذهب الكوفيين بأنه تعسف وحكم عليه ابن عصفور فى شرح

^(١) انظر النحو الواقى ٢٦٢/٣ .

(١) جمل الزجاجي بأنه مذهب فاسد حيث يقول : "فهذه الأمثلة الثلاثة تعمل عمل اسم الفاعل باتفاق عن البصريين . وأما أهل الكوفة فيزعمون أن ما بعد الأمثلة الخمسة منصوب بإضمار فعل يدل عليه المثال فإذا قلت : هذا ضروب زيدا فتقديره عندهم : ضروب زيدا ، ولذلك لا يجيزون تقديم المنصوب بهذه الأمثلة ، لأن الفعل إنما أضمر في هذا الباب لدلالة الاسم المتقدم عليه فإذا تقدم الاسم المنصوب لم يكن له ما يدل عليه . وهذا مذهب فاسد ، لأن الذي أدعوه من الإضمار لم يلفظ به في موضع من المواضع ، وأيضا فإن ما أنكروه من تقديم المفعول قد سمع ومنه قوله :

بَكَيْتُ أَخَا لَأَوَاءَ يَحْمَدُ يَوْمَهُ كَرِيمٌ رُؤُوسَ الدَّارَعِينَ ضُرُوبُ (٢)

فقدك " رؤوس الدارعين " على ضروب " تقديره : ضروب رؤوس الدارعين فدل ذلك على أنه منتصب بنفس المثال "

ومما يؤخذ أيضا من هذا المبحث أن صيغ المبالغة قد تبنى من غير الثلاثي أى : من أفعل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك وسيأتى ذلك إن شاء في مبحث : أحكام صيغ المبالغة . وأن حكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاما وشروطا واتفاقا اختلافا إلا ما ذهب إليه أين طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز إعمالها ماضيه وإن عريت من "أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من "أل" إذا كان ماضيا .

ومما يستفاد منه أيضا : أن المشهور في أمثلة المبالغة أنها لا تتفاوت ولكن ورد عن العرب أنهم بنوا لمن فعل مرة واحدة فاعلا

(١) انظر شرح جمل الزجاجي ٥٦١/١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨ .

كقَاتِل وضارب ، ولَمَن كرر الفعل فعلا كقَتَالَ ، ولَمَن بالغ فـى
الفعل وكان قويا عليه فعولا نحو : صبور ولَمَن اعتاد الفعل مفعال
كامرأة مذكّار ، وبعضهم قال : أَيْنَ ضروب لَمَن كثر منه الضرب ،
وفعال لَمَن صار له كالصناعة ومفعال لَمَن صار كالآلة ، وفعل لَمَن
صار كالطبيعة وفعل لَمَن صار كالعاهة .
ومما يؤخذ أيضا : أن صيغ المبالغة لا تيتعمل إلا حيث يمكن التكثير
فلا تقول : زيد قَتَالَ عمرا ، ولا زيد موات ويجوز زيد قَتَالَ الأبطال .
وبعد أن انتهى الحديث فى هذا المبحث ننتقل إلى المبحث الثالث
وهو : "الخلاف بين العلماء فى إعمال فعيل وفعل" .



المبحث الثالث

الخلاف بين العلماء في إعمال 'فعليل وفعل'

سبق القول أن سيبويه قال : بأن " فاعل " إذا حوّل إلى فَعِيل أو فَعِل عمل أيضاً واستدل على ذلك بشعر وارد عن العرب ، وأن بعض العلماء منعوا إعمال فَعِيل وفَعِل وردوا على ما استشهد به سيبويه بأن "فَعِيل" لازم لا يتعدى وأن البيت الذي استشهد به على إعمال فعل مصنوع وسوف يبين إن شاء الله تعالى أن الصواب وأن الرأي الصحيح هو رأي سيبويه لما يرد من أدلة ترجح رؤية حيث يقول سيبويه : ^(١) وقد جاء في فَعِل وليس في كثرة ذلك قال لبيد :
أو مسحلٌ شَنَجٌ عَضَادَةٌ سَمَجٌ
وسرّاته نَدَبٌ لها وكُلومٌ ^(٢)
وفعل أقل من فَعِيل بكثير
ومما جاء على فَعِل قوله :

حَظِرُ أموراً لا تَخَافُ وآمِنُ ما ليس مُنْجِيَةً من الأقدار ^(١)
ومما جاء في "فَعِيل" قول ساعده بن جُوَيْبَةَ :
حتى شأها كليلٌ مَوْهِنًا عَمِلَ باتت طراباً وبات الليل لم يتم ^(٢)
ومنه : قديرٌ وعليمٌ ورحيمٌ لأنه يريد المبالغة في الفعل .
ويقول : قديرٌ ورحيمٌ لأنه يريد المبالغة في الفعل .
ويقول المبرد : ^(٣) " هذا باب معرفة أسماء الفاعلين في هذه الأفعال وما يلحقها من الزيادة للمبالغة : "أعلم أن الاسم من فَعِل على "فعلل" نحو قولك : ضَرَبَ فهو ضارب وشتم فهو شاتم وكذلك فَعِل نحو : علم فهو عالم وشرب فهو شارب .
فإذا أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية : فمن ذلك "فَعَال" تقول : رجل قَتَلَ ، إذا كان يكثر القتل ، فأما قاتل فيكون للقتل والكثير لأنه الأصل ، وعلى هذا تقول :-
رجل ضَرَبَ وشتم كما قال :
أخا الحرب لبأساً إليها جلالها ولي بولاج الخوالب أعقلا . ^(٤)
فهذا ينصب المفعول كما ينصبه "فاعل" لأنك إنما تريد به ما تريد بفاعل ، إلا أن هذا أكثر مبالغة ، ألا تراه بقول : "لبأساً إليها جلالها .
ومن كلام العرب :

^(١) انظر الكتاب ١١٢/١ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٣٠ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٢٩ .

^(٤) سبق تخريجه ص ٣٢ .

^(٥) انظر المقتضب ١١٢/٢ - ١١٨ - تصريف .

^(٦) سبق تخريجه ص ٢٥ .

أَمَّا الْعَسَلُ فَأَنْتَ شَرَّابٌ . ومن هذه الأبنية "فَعُولٌ" نحو :
ضَرُوبٌ ، وَقَتُولٌ وَرَكُوبٌ تقول : هو ضَرُوبٌ زَيْدًا إِذَا كَانَ يَطْرِبُهُ مَوَّةٌ
بعد مرة كما قال : ^(١)

ضَرُوبٌ يَنْصَلُّ السِّيفِ سَوْقَ شِمَانِهَا إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ عَاقِرُ .
ومن كلام العرب : إنه ضَرُوبٌ رُؤُوسَ الدَّارِعِينَ .
ثم يقول المبرد : ومن هذه الأبنية "مِيقَالٌ" نحو : رجلٌ مِضْرَابٌ وَرَجُلٌ
مِيقَاتِلٌ

ومن كلام العرب : "إِنَّهُ لَمِنْحَارٌ بَوَائِكُهَا .
فَأَمَّا مَا كَانَ عَلَى "فَعِيلٍ" نحو : رَحِيمٌ وَعَلِيمٌ فَقَدْ أَجَازَ سَيِّبُوهُ النَّصَبَ
فِيهِ وَلَا أَرَاهُ جَائِزًا ، وَذَلِكَ أَنَّ "فَعِيلًا" إِنَّمَا هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنَ الْفِعْلِ
الَّذِي لَا يَتَعَدَّى فَمَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ الْفِعْلِ فَمُضَارِعٌ لَهُ مَلْحَقٌ
بِهِ .

وَالْفِعْلُ الَّذِي هُوَ لَمْ "فَعِيلٌ" فِي الْأَصْلِ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ عَلَى "فَعْلٍ" نَحْوُ
: كَرُمَ فَهُوَ كَرِيمٌ وَشَرَفَ فَهُوَ شَرِيفٌ ، وَظَرَفَ فَهُوَ ظَرِيفٌ . فَمَا خَرَجَ
إِلَيْهِ مِنْ بَابِ عَلِمَ وَشَتَّهَ وَرَجِمَ فَهُوَ مَلْحَقٌ بِهِ . فَإِنْ قُلْتَ : رَاحِمٌ
وَعَالِمٌ وَشَاهِدٌ ، فَهَذَا اسْمُ الْفَاعِلِ الَّذِي يَرَادُ بِهِ الْفِعْلُ . وَاحْتِجَ سَيِّبُوهُ
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

حَتَّى شَآهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلُ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَتِمَّ ^(٢)
فَجَعَلَ الْبَيْتَ مَوْضُوعًا مِنْ "فَعِيلٍ" وَ"فَعْلٍ" بِقَوْلِهِ : "عَمِلُ" وَ "كَلِيلُ"
وَلَيْسَ هَذَا بِحُجَّةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا ، لِأَنَّ "مَوْهِنًا" ظَرْفٌ وَلَيْسَ بِمَعْمُولٍ ،
وَالظَّرْفُ إِنَّمَا يَعْمَلُ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ كَعَمَلِ الْفِعْلِ ، كَانَ الْفِعْلُ مُتَعَدِّيًّا أَوْ

^(١) سبق تخريجه ص ٢٧ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٣٢ .

أو غير مُتعدٍّ . وكذلك ما ذكر في "فعل" أكثر النحويين على ردّه ، و "فَعِيلٌ" في قول النحويين بمنزلته فما كان على "فعل" فنحو "فِرْق ، وبطير ، وحَظِر . والحجة في أن هذا لا يعمل أنّه لما تنتقل إليه الهيئة تقول : فلان حَظِرَ أى : ذو حذر وفلان بَطِرُ كقولك : ما كان ذا شرف ولقد شَرَف . وما كان ذا كرم ولقد كَرَم .

"ففعِلٌ" مضارعة "لَفْعِيل" . وكذلك يقع "فَعِيلٌ" و"فَعِيلٌ" فى معنى : كقولك :

رجل طَبُب وطبيب ، ومُذِل ، وهذا كثيرُ جداً . واحتج سيبويه بهذا البيت :

حَذِرُ أموراً لا تَضِيرُ وآمِنُ ما ليس منجيه من الأقدار ^(١)

يقول المبرد : وهذا بيت موضوع مُحدَث . وإنما القياس الحاكم على ما يجئ من هذا الضرب وغيره

فمن يتأمل كلام المبرد يجد أنه اعترض على سيبويه فى إعمال "فَعِيلٌ" و"فعل" حيث قال : "فأما ما طان على فعيل نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيبويه النصب فيه ولا أراه جائزاً واستدل على ذلك بأن "فَعِيلًا" إنما اسم الفاعل من الفعل الذى لا يتعدى فما خرج إليه من غير ذلك الفعل فمضارع له ملحق به .

ورد على ما استشهد به سيبويه فى قول الشاعر :

حتى شأها قليل موهنا عمل باتت طرايا وبات الليل لم ينم ^(٢)

^(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٣٢ .

بأن "موهنا" ظرف وليس بمعمول ، والظرف إنما يعمل فيه
معنى الفعل كعمل الفعل كان الفعل متعدياً أو غير متعدي ، ورد
على ما استشهد به سيبويه في قول الشاعر :
حَذِرُ أُمُوراً لَا تَضِيرُ وَأَمِينُ مَا لَيْسَ مُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ (١)
بأن البيت موضوع مُحذَرٌ .
وقد دافع ابن ولاد التميمي (ت ٣٣٢ هـ) عن سيبويه وانتصر له
في كتابه "الانتصار لسيبويه على المبرد حيث يقول :
ومن ذلك قول سيبويه في باب ما جرى من أسماء الفاعلين "فسي
الاستفهام" مجرى الفعل احتج في تعدى "فعل" بقوله :
أَوْ مِسْحَلُ شِنْجُ عَضَادَةٌ سَمَجُ بِسَرَاتِهِ تَذَبُّ لَهَا وَكُلُومُ (٢)
وعضادة سمج " إنما هي منتصبه انتصاب هو حسن وجه عبيد وكان
أبو عمرو بن العلاء (٣) يزعم أن عضادة سَمَجُ ظرفٌ واحتج بقوله
حتى شأها كليلاً مَوْهِنًا عَمَلُ بَاتَتْ طَرَاباً وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْمِ . (٤)
وأما موهنٌ فهو ظرف .
ومن ذلك قوله (٥) في هذا الباب : فعيلٌ يتعدى مثل رحيمٌ وعليمٌ
فيجيز : هذا رحيمٌ زيداً وسميعٌ كلامك ويذكر أنه إنما وضع للمبالغة
ولم يأت فيه بحجة من شعر ولا غيره والدليل على أنه غير متعدي أن
باب فعيل في الأصل إنما هو للفعل غير المتعدي نحو : كَرُمَ ومَلَجَ
وظَرْفُ ، فلما بنوه هذا البناء ضارعوا به ما لا يتعدى إذا أرادوا ألا
يتعدى .

(١) سبق تحريجه ص ٢٩ .

(٢) سبق تحريجه ص ٣٠ .

(٣) هو أحد القراء السبعة ، وعنه مشهور في اللغة توفي سنة ١٥٤ هـ انظر نزهة الألباء ٢٤ .

(٤) سبق تحريجه ٣٢ .

(٥) انظر الكتاب ١/ ١١٥ .

فإن قال قائل : فأنت لا تقول رحيم إلا لمن كثر ذلك منه ،
وكذلك عليم . قيل له : نظيره كريم لا يقال إلا لمن استقر ذلك فيه .
وقد يوجب الاسم تكثير الفعل ولا يجرى مجرى الفاعل لأنه ليس
باسمه ولكنه مشتق فمن ذلك قولك : رجل صديق وشريب وفسيق ،
وأنت لا تقول :

هو شريب الخمر ، ولكذك تقول : للخمر ، كما تقول : عليم بالناس
ورحيم بهم فمن أجاز تعدى "فعليل" فليجز تعدى "فعليل" وإنما لم يتعد
هذا أجمع لأنه مستقر فيه فمعناه ما قد مضى من الأفعال وصار اسما
لازما كاليد والرجل وباب "فعليل" أجمع إنما هو للكثرة والمبالغة .

وقد ذكر في هذا الباب ^(١) بعينه : أزيد أنت له عدل ، وأزيد أنت له
جليس ويقول : لأن جليسا وعديلا اسمان ولو أراد اسم الفاعل لقال :
جالس ، فيقال له : وكذلك اسم الفاعل إنما هو باب فعل ، إنما هو
عالم وراحم وفعليل في بابا فاعل أيضا كثير نحو : عادلته فأنا عديل
وجالسته فأنا جليس ، وعاشرته فأنا عشير وخالطته فأنا خليط ،
وشاركته فأنا شريك ، وإذا أكثر من أن يحصى ، وإذا لم نجزه في هذا
مع هذا الأطراد على فعل فنخو رحم أولى ألا يجوز ^(٢)

قال أحمد : أما قول محمد : إن عضادة سمج منتصب انتصاب هو
حسن وجه عبد فليس مثله لأن هذا الوصف إنما يعمل فيما كان من
سبب الأول نكرة أو معرfa بالآلف واللام كقولك : هو حسن وجهها ،
وحسن الوجه بعد علم أن الوجه للأول ، وكذلك إذا قلت : هو قاره
عيدا علم أن العبد له ، فإن قلت : هو حسن وجه عبد على هذا جاز

^(١) انظر الكتاب ١١٧/١ .

^(٢) بقى المبرد على رأيه في هذه المسألة في المقتضب ١١٤/٢ - ١١٥ .

ولو قلت : هو حسنُ وجه رجلٍ أو حسنُ رَجُلًا وأنت تريد :
رجلاً من الرجال ، ولم يجز ، وكذلك شَجَّ عِضَادَة سَمِجَ بمنزلة
قولك : إذا تَوَوَّل على ما قال : هو حسن وجه طويلة ، لأن السمج
الطويل على وجه الأرض فلو جاز هذا لقلت : هو حسنُ وجهٍ ظريفه
أو طويلةً ومع هذا فهو في النعت أقبح .

وأما ما قاله في "مَوْهَن" وأنه بعد ساعة من الليل ، فهو ظرف ، فإن
العرب استعملته استعمال الأسماء ، وليس كل ما كان من أسماء
الأوقات فهو مستعمل ظرفاً كما أنه ليس كل ما كان من أسماء
الأماكن فهو مستعمل ظرفاً كالجبل لا تقول : زيدُ الجبل وإن كان مكاناً
، ولا تقول : زيد مكة وإن كانت مكاناً ، وكذلك الأوقات منها ما لم
يستعمل ظرفاً ولو لم يأت بشاهد في "فعلٍ" لم لم يحتج إلى ذلك لأن
فِعْلاً اسم جاز على فَعِلٍ نحو : حَذَرُ فهو حَذَرٌ وهو مع ذلك للمبالغة
فقد اجتمع فيه العلتان اللتان هما أصل الباب في التعدى ولو انفردت
إحداهما لعدى بسببها فكيف إذا اجتمعتا ؟ ألا ترى أن مفعلاً ليس
على فعل ، وهو يتعدى لأنه للمبالغة قالوا : إنه لمنحار بوانكها ، فلما
وجد سيبويه العرب قد عدت ما هو للمبالغة من أسماء القاعلين وإن
لم يكن جارياً على الفعل ، وعدت ما هو جارٍ على الفعل حمل الفعل
على النحويين اللذين وجدهما في كلام العرب ، وإذا كان محمد
وغيره قد وافقه على هذا في أصل الباب نظرنا فيما ذكره من تعدى
فَعِلٍ وفَعِيلٍ فوجدنا اللغتين جميعاً فيهما .

فأما قوله : (إن فَعِيلًا) أصله لما لا يتعدى نحو : ظَرَفٌ وكَرُمَ فلو سلم
هذا إليه لكان في المبالغة التي عدى من أجلها كفاية فكيف وقد
اجتمع إلى ذلك أنه اسم لفعل جارٍ عليه نحو : رَحِمَ وعَلِمَ ، فهو رَحِيمٌ

وعليمٌ . وإذا كان فعيلٌ من فعلٍ نحو : كَرُمَ فهو كريمٌ لم يتعدَّ كما لم يتعدَّ الفعل ، وإذا كان من فعلٍ متعديٍّ تعدى اسم الفاعل كما يتعدَّى الفعل ، ألا ترى أنَّ ضارباً يتعدَّى لتعدَّى ضرب ، وجالسٌ لا يتعدَّى كما لا يتعدَّى جلس ، ففاعلٌ يجرى مجرى فعله الذي أجرى عليه ، وكذلك فعيلٌ يجرى مجرى فعله الذي أجرى عليه ، فتقول : هو رحيمٌ زيدا كما تقول : رَجِمَ زيدا ، ولا تقول في : كريمٌ وظريفٌ مثل ذلك ، لأنَّ ظرفاً وكَرَمَ لا يتعديان ، فلم يتعدَّ ما جرى عليهما مشتقاً منهما .

وأما قوله : إنَّ إدخال اللام في قولك : رحيمٌ لزيدٍ ، دليل على أنَّه لا يتعدَّى فليس بشيء ، لأنَّ اللام قد تدخل ضارب فتقول : هو ضاربٌ لزيد بل قد أدخلت مع الفعل في قوله تعالى " إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " ^(١) فليس دخول اللام ها هنا حجة لأنَّ فعيلاً لا يتعدَّى .

وأما إلزامه من عدَّى فعيلاً لأجل المبالغة أن يعدَّى فعيلاً نحو : شَرَّيب الخمر فهو لازم وشَرَّيب يتعدَّى إذا كان للمبالغة وكان الفاعل مشتقاً من فعلٍ يتعدَّى وإن لم يكن جارياً عليه كما لم يكن : منحارٌ بوائكها جارياً .

وأما احتجاجه عليه في قوله : "أزيدُ أنتَ له عديلٌ" فعدیل ليست للمبالغة ولا هو الأصل في فاعل ، ولا الاسم الجارى عليه ، فليست فيه واحدة من العلتين .

وأما قوله " فاعلٌ فهو فعيلٌ نحو : عادلٌ فهو عديلٌ وجالسٌ فهو جليسٌ فليس هذا بالاسم الجارى على فاعل ، وإنما جاء في حروف

محفوظة وليس ذلك بأعرف من فعل فهو فاعل نحو : فره العبد
فهو فاره ، ونضر النبت فهو ناصر ، فهذه شواذ كلها ، وليس يعمل
على الشاذ على أنا قد قلنا : (إن فعيلا وفعللا لو لم يكونا جاريين على
الفعل لكانت المبالغة فيهما موجبة لتعديهما)^(١)

وممن أيد رأى سيبويه ودافع عنه ابن مالك فى شرح^(٢) التسهيل
حيث يقول وهو يتحدث عن صيغ المبالغة : "وساوى اسم الفاعل
العامل بالشروط المذكورة فى أفراد وغيره ما قصد به المبالغة من
موازن : فعال وفعلول ومفعال كقول من سمعه سيبويه : أما العسل
فأنا شراب وكقول الشاعر :

أخا الحرب لباسا إليها جلالها وليس بولاج الخلف اعقلا^(٣)
وكقول الآخر :

هجوم عليها نفسه غير أنه متى يرم فى عينيه بالشبح ينهض^(٤)
وكقول الآخر :

قلى دينه واهتاج للشوق إنها على الشوق إخوان العزاء هيج^(٥)

وكقول بعض العرب . "إنه لمنحار بوائكها " وكقول الشاعر :
شم ، مهاوين أبدان الجزور مخا مبص العشيات لآخور ولا قزم^(٦)
وكقول الآخر :

^(١) انظر الانتصار لابن ولاد ص ٦٨-٧٢ وانظر فى هذه للمسألة الأصول ١٢٤/١ والنكت ٢٤٦-٢٤٧ وشرح كتاب سيبويه للصغار ق ١٥٠-١٥١ وشرح جل الزجاجى ٥٦١/١ .

^(٢) انظر شرح التهليل ٧٩/٣-٨٢ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٢٥ .

^(٤) سبق تخريجه ص ٢٧ .

^(٥) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٦) سبق تخريجه ص ٢٦ .

ثم زادوا أنهم فى قومهم غفر ذنبهم غير فخر (١)
فغفر جمع غفور ، ومهاوين جمع مهوان ، وكان أصله : مهين ،
مبنى على مفعال لقصد المبالغة واستصحب العمل له مفردا ومجموعا
 . وكذلك "فعول" إذا جمع على "فعل" كما قال : غفر ذنبهم ولو كسر
فعال لا يستصحب أيضا عمله ، إلا أن العرب استغفقت بتصحيحه عن
تكسيره لاستئصال فك التضعيف .

والحق سيبويه بالثلاثة فعليا وفعلا مقصودا بهما المبالغة ثم قال (٢) :
"وفعل أقل " من فعيل بكثير " ثم قال : ومنه قول ساعده بن جؤية :
حتى شأها كليل موهنا عمل باتت طرايا وبات الليل لم ينم (٣)
قال أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى : قال النحويون : هذا
غلط من سيبويه وذلك أن الكليل هو البرق الضعيف وفعله لا يتعدى .
والموهن الساعة من الليل فهو منتصب على الظرف . واعتذر
لسيبويه بأن كليلا بمعنى : مكل كانه قال : هذا البرق مكل الوقت
بدوامه عليه ، كما يقال : اتعبت يومك وغير ذلك من المجاز قلت :
أى ابن مالك - وهذا عندي تكلف لا حاجة إليه وإنما ذكر سيبويه هذا
البيت شاهدا على أن فاعلا " قد يعدل به إلى فعيل وفعل على سبيل
المبالغة كما يعدل به إلى : فاعول وفعال ومفعال ، فذكر هذا البيت
لاشتماله على كليل للعدل به عن كمال ، وعلى عمل المعدول به عن
عامل ، ولم يتعرض لوقوع الإعمال وإنما يحتج له فى ثبوت إعمال

(١) سبق تخريجه ص ٢٨ .

(٢) انظر الكتاب ١/ ١١٢ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٢ .

"فعل" بقول بعض العرب إن الله سميع دعاء من دعاه " رواه بعض الثقات . ومما يحتج به قول الشاعر :

فتاتان أما منهما فشبهه^١ هلالا والأخرى منهما تشبه البدرا^(١)
فأعمل شبيهه أنثى شبيهه مع كونه من أشبه كذير من أنذر وإذا ثبت
إعمال "فعل" من "أفعل" مع قلة نظائره كان إعمال "فعل" من الثلاثي
أولى لكثرتة . وأنشد سيبويه مستشهدا على إعمال فعل قول الشاعر:
حذر أموراً لا تضير وآمن ما ليس منجية من الأقدار^(٢)

وروى عن المازني أن اللاحق قال : سألت سيبويه عن شاهد في
تعدى "فعل" فعملت له هذا البيت ، وينسب مثل هذا القول إلى ابن
المقفع ولا اختلاف في تسمية هذا المدعى بشعر بإنها موضوعه ،
ووقوع مثل هذا مستبعد ، فإن سيبويه لم يكن يحتج بشاهد لا يثق
بانتسابه إلى من يحتج بقوله ، وإنما يحمل القدر في البيت المذكور
على أنه من وضع الحاسدين وتقول المتقولين . وقد جاء إعمال
"فعل" فيما لا سبيل إلى القدر فيه وهو قول زيد الخيل :

أتانى أنهم مزقون عرضى جحاش الكرمليين لهم فديد^(٣)
فأعمل "مزقا" وهو "فعل" عدل به للمبالغة عن مازق . ووافق الجرمي
سيبويه في إعمال "فعل" وقال إنه وزن الفعل فجاز أن يجرى مجواه ،
ويحق لفعل أن يكثر استعماله لن مقصور عن فاعل ، ومنه قول
الشاعر :

(١) سبق تحريجه ص ٢٩ .

(٢) سبق تحريجه ص ٢٩ .

(٣) سبق تحريجه ص ٣٠ .

أصبح قلبي صردا لا يشتهدى أن يردا (١)
إلا عراد عردا وصلباتا بردا

أراد : عاردا وباردا ، وكثر ذلك فى المضاعف كقولهم : برؤشراً
بمعنى : بار وشار ويقول ابن مالك فى صياغة أمثلة المبالغة :
"والمشهور بناء هذه الأمثلة من الثلاثى وقد بينى من أفعل فعال
كأدرك فهو دراك وأساو فهو سار وفعل كأنذر فهو نذير ، وآلم فهو
أليم وأسمع فهو سميع ومنه قول الشاعر : آمن ريحانه الداعى
السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع (٢)

أراد : الداعى المسمع ، وقد بينى أيضا من أفعل مفعال ، كمعطاء
ومهداء ومعاون ومهوان ونذر بناء "فعل" ذى المبالغة من أفعل فى
قول الشاعر يصف ناقة

جهول وكان الجهل منها سجية ولكنها للقائدين رهوق (٣)
أى : كثيرة الإرهاق لمن يقودها .

فمن يتأمل كلام ابن مالك يجد أنه يبين أن أمثلة المبالغة الثلاثة :
فعال ففعال مفعال ، تعمل باتفاق من البصريين وأن سيبويه ألحق
بالثلاثة : ففعل وفعل وجعل "فعل" أقل من فعيل "بكثير وأن سيبويه
استشهد لأعمال "فعيل" قول الشاعر :

حتى شأها كليل موهنا عمل (٤)

(١) رجز على لسان الضب ، فى زعم العرب ، اللغة : صرد : وجد البرد سريعا ، وقلبه عن السقاء
والعراد : نبت انظر الخصائص ٣٦٥/٢ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣ .

(٣) من الطويل د لحمد بن ثور وانظر المساعد ١٩٤/٢ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

(٤) سبق تخريجه ص ٣٢ .

وقد غلط النحويون سيبويه بأن "كليل" فعله لا يتعدى وأن
 "موهنا" منصوب على الظرفية ، واعتذر لسيبويه بأن كليل بمعنى
 مكل على المجاز ، وخرج ابن مالك البيت على وجه آخر وأن هذا
 تكلف وأن سيبويه ذكره شاهداً على أن "فاعلاً" قد يعدل به إلى "فعليل"
 و "فعل" على سبيل المبالغة كما يعدل به إلى فَعُول وفَعَال ومِفْعَال
 فذكر البيت لاشتماله على كليل يعدل به عن كَال ، واستشهد على
 إعمال

فعليل ببيت آخر وهو :

فَتَاتَانِ أَمَا مِنْهُمَا فَتَبْهَةٌ هَلَالٌ وَالْأُخْرَى مِنْهُمَا تُشْنِيهِ الْبَذْرَا (١)

وأن سيبويه حينما استشهد على إعمال "فعل" بقول الشاعر :

حَذَرُ أُمُورٍ لَا تُضِيرُ وَأَمِنْ مَا لَيْسَ مِنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ (٢)

وقالوا إن البيت مصنوع ردّ على ذلك ابن مالك وقال : "وقوع مثل
 هذا مستبعد فإن سيبويه لم يكن يحتج بشاهد لا يثق بانتسابه إلى من
 يحتج بقوله وإنما يحمل القدح في البيت على أنه من وضع الحاسدين
 ، وقد جاء إعمال فعل فيما لا سبيل إلى القدح فيه وهو قول زيد
 الخيل :

أَتَانِي أَنَّهُمْ مَرْقُونٌ عِرْضِي (٣)

فأعمل "مرقاً" وهو "فعل" عدل به للمبالغة عن مازق .

وممن أيد سيبويه وردّ على المعارضين له ابن بعيش في شرح
 المفصل للزمخشري .

(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠ .

قال الزمخشري : (١) " قال سيبويه : (٢) وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أيديها لغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل نحو : شراب وضروب ومنحار وأنشد للفلاح :
أخا الحرب لباسا إليها جلالها (٣)
ولأبى طالب :

ضَرُوبٌ بَنَصْلِ السَّيْفِ سَوْقَ سِمَانِهَا (٤)
وحكى عن العرب : إنه لمنحار بوائكها " وأما العسلَ فأنا شرابُ
وأنشد :

كَرِيمُ رُؤُوسِ الدَّارِعِينَ ضَرُوبٌ (٥)
وجوز هذا ضروب رؤس الرجال وسوق الإبل .
قال ابن يعيش في شرح (٦) المفصل : " قد ذكرنا أن اسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال إنما أعمل عمل الفعل المضارع لجريانه عليه في حركاته وسكناته وعدد حروفه ، وقد أجروا ضربا من أسماء الفاعلين مما فيه معنى المبالغة مجرى الفعل الذى فيه معنى المبالغة فى العمل ، وإن لم يكن جارياً عليه فى اللفظ فقالوا : زيد ضرباً عبيذٌ وقتل أعداءه كما قالوا : زيد يضرب عبيده ويقتل أعداءه إذا كثرت ذلك منه ، وكان ضرباً وقتل بمنزلة ضارب وقتل كما كان يضرب ويقتل بالتشديد بمنزلة يضرب ويقتل من غير تشديد

(١) انظر شرح المفصل ٦٩/٦ .

(٢) انظر الكتاب ١١٠/١ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٥ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٧ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٨ .

(٦) انظر شرح المفصل ٧٠/٦ .

لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أن فيه إخبارا
بزيادة مبالغة ، ثم ذكر الأمثلة الخمسة : فعول فعال مفعال فعل فعييل
وذكر أمثلة للأمثلة الثلاثة الأولى :

أخا الحرب لباسا إليها جلالها (١)

ضروب بنصل السيف سوق سمانها

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه (٢)

ثم قال : وأنشد سيبويه في إعمال "فعل"

حذر أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار (٣)

نصب "الأمور" يحذر" لأنه تكثير حاذر يعمل عمل الفعل لأنه في معناه
وإنما غير عن بنائه للتكثير ومنه قول ابن أحرر :

أو مسحل شنج عضادة مسح بسراته ندب لها وكلوم (٤)

الشاهد فيه : نصب "عضادة" "بشنج" وهو تكثير شانج وشانج فسى
معنى ملارم وفعله شنجته كلزمته . وأنشد في إعمال "فعل" لمساعدته
بن جؤية :

حتى شأها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم ينم . (٥)

والشاهد فيه : نصب الموهن "بكليل" لأنه بمعنى "مكل" أو كلل وإنما
غيره للتكثير والمبالغة .

وخالف سيبويه أكثر النحويين في بناءين من هذه المثل الخمسة
وهما فعل وفعل قالوا : لأن فعلا وفعليا بناءان موضوعان للذات

(١) سبق تحريجه ص ٢٥ .

(٢) سبق تحريجه ص ٢٨ .

(٣) سبق تحريجه ص ٢٩ .

(٤) سبق تحريجه ص ٣٠ .

(٥) سبق تحريجه ص ٣٢ .

والهيئة التي يكون الإنسان عليها لا لأن يجري مجرى الفعل
فهما كقولك : رجل كريم وظريف ، ورجل عجل ولقن إذا كان ذلك
كالطبيعة وحملوا ما احتج به من الأبيات على غير ما ذكره .
فأما البيت الأول وهو :

حذر أمورا لا تضير وأمن ^(١)

فقالوا : لم يصح عن العرب وروى عن المازني أن اللاحقى قال :
سألنى سيوبه عن شاهد فى تعدى "فعل" فعملت له هذا البيت ،
ويروى أيضا أن البيت لابن المقفع وأما البيت الثانى وهو :

أو مسحل شنج عضادة سمحج ^(٢)

فهو للبيد فقالوا : انتصاب "عضادة سمحج" على الظرف لأعلى
المفعول ومعنى عضادة سمحج قوائمهها ، "وشنج" لازم و "مسحل" هو
الغير و "وسمحج" الأوتان كأنه قال : أو غير لازم يمنه أتان أو يسرة
أتان فيكون المراد بالعضادة الناحية .

أما البيت الثالث وهو :

حتى شأها كليل موهنا عمل ^(٣)

فقالوا : هو البرق الضعيف ومنه قولهم : رجل كليل إذا كان معيبا
من كل يكمل فهو فعل غير متعد ألا ترى أنه لا يقال : كل زيد عمرا
والموهن الساعة من الليل فهو لا ينتصب فى غير الظرف ، وإذا كان
انتصابه على الظرف لم يكن فيه حجة .

^(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٣٠ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٣٢ .

ثم يقول ابن يعيش : " والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وهو القياس ^(١) ، لأن صفات المبالغة إذا كانت معدولة جاز أن تتعدى فمن ذلك : فَعُول ومفعال وفَعَال فهكذا سبيل "فَعِيل" إذا كان معدلا كقَوْلِكَ : رحيم من راحم وعليم من عالم فيجوز : زيد رحيم عمرا كما تقول : راحم عمرا لأنه معدول عنه هذا مع السماع وأما قولهم عن البيت الأول وهو :

حذر أمورا لا تضير وآمن ^(٢)

فإن سيبويه رواه عن بعض العرب وهو ثقة لا سبيل إلى رد ما رواه وأما البيت الثاني وهو :

أو مسحل شنج " عضادة سمحج . ^(٣)

فإن ما ذهب إليه سيبويه هو الظاهر وما ذكره تأويل وذلك أن "شنجا" فى المعنى : لازم والمراد "بالعضادة" القوائم وليست ظرفا فالمراد : أنه لازم عضادة سمحج وقد جاء عنهم هذا المعنى مصرحا به قول الآخر :

قالت سليمي لست بالحادى المدل مالك لا تلزم أعضاء الإبل ^(٤)

فاعضاد هنا بمعنى : عضادة سمحج وقد نصبها بتلزم وشنج فى معنى ذلك على أنه قد جاء لزيد الخيل :

أتانى أنهم مزقون عرضى جحاش الكرملين لها فديد ^(٥)

^(١) انظر شرح الفصل لابن يعيش ٧٣/٦ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٢٩ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٣٠ .

^(٤) من الرجز - نسب للشماخ بن ضرار الصاحى وقيل لأبيه . انظر شرح الفصل ٧٣/٦ .

^(٥) سبق تخريجه ص ٣٠ .

قال: مزقون عرضى كما ترى فأجراه مجرى ممزقين وهذا لا
يحتمل غير هذا التأويل وعليه معنى الشعر لأنه وصف المسحل وهو
عبر الوحش بالنشاط والهياج وشبه ناقته به فى هذا الحال ولو كان
المعنى على التفسير الآخر لقصر فى وصف ناقته .

وأما البيت الثالث : فإن "كليلاً" بمعنى مكل ، وإنما غير عنه للتكثير
وفعل بمعنى مفعول كثير قالوا : عذاب أليم بمعنى مؤلم وداع سميع
بمعنى : مسمع قال عمرو بن معدى كرب :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤْرِقُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعٌ^(١)

أى : المسمع . المراد : أنه يصف وحشياً وأنها نظرات إلى برق
مستمطر دال إلى الغيب يكل الموهن يدويه وتوالى لمعانه كما يقال :
أتعت ليلتك أى : سرت فيها سيرا متعباً والموهن وقت من الليل
فشأها ذلك البرق أى : شاقها وأزعجها فباتت طربه إلى منقلبة نحوه
وهذا واضح^(٢)

مما سبق يتضح أن ابن يعيش فى شرح المفصل أيد مذهب سيبويه
وقال :

والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وهو القياس ، لأن صفات المبالغة إذا
كانت معدولة جاز أن تتعدى بالإضافة إلى ما ورد من سماع يقوى
ذلك وأن الذين حملوا ما احتج به من الآيات على غير ما ذكره رد
على تأويلاتهم وبين صحة مذهب سيبويه وتأويله ورده واضح
وظاهر .

وممن أيد رأى سيبويه ودافع عنه ورد على معترضيه : ابن عصفور
الإشبلى (٦٦٩ هـ)

(١) سبق تخريجه ص ٣٣ .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧٤/٦ .

فى شرح جمل الزجاجى ^(١) فى باب الأمثلة التى تعمل اسم
 الفاعل يقول : "وهى فعول وفعال ومفعال وفعل " وفعل فهذه الأمثلة
 التى تعمل عمل اسم الفاعل وإن لم تكن أسماء فاعلين وهذه الأمثلة
 تنقسم قسمين : قسم اتفق النحويون على أنه يعمل عمل اسم الفاعل
 ، وقسم فيه خلاف ، فالقسم الذى لا خلاف فى إعماله : فعول وفعال
 ومفعال وضرب لذلك أمثلة سبق ذكرها أكثر من مرة فلا داعى
 لذكرها منعا للتكرار ، ثم قال : "فهذه الأمثلة تعمل عمل اسم الفاعل
 باتفاق من البصريين وأما أهل الكوفة فيزعمون أن ما بعد الأمثلة
 الخمسة منصوب بإضمار فعل يدل عليه المثال ، وقد وصف ابن
 عصفور مذهبهم بأنه فاسد ، لأن الذى أدعوه من الإضمار لم يلفظ به
 فى موضع من المواضع ، والقسم الذى فيه خلاف بين أهل البصرة
 "فعل" وفعل فمذهب سيبويه إعمالها ومذهب المبرد ^(٢) أنه لا يجوز
 ذلك . استدلل المبرد على منع إعمالها بأن فاعلا اسم فاعل من فَعَلَ
 وفَعْل لا يتعدى فهو إذن كفعله لا يتعدى . وهذا الذى ذهب إليه من
 الاحتجاج فاسد ، إذ الكلام لم يقع إلا فى فَعَلَ وفعل الواقعين موقع
 مَفْعَل . فإن قال : فما الدليل على العرب قد أوقعتهما موقع مَفْعَل ؟ بل
 القياس يقتضى أن يكون كل بناء على حكمه ولا يوقع موقع غيره .
 فالجواب : أن سيبويه لم يقل ذلك إلا بعد ورود السماع بأعمالها .
 فمن الدليل على إعمال فعل قوله :

^(١) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٥٦٠/١ - ٥٦٤ .

^(٢) انظر الكتاب ١١٠/١ - ١١٥ وللمقضب ١١٢/٢ - ١١٨ .

حتى شأها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم ينم^(١)
"قموهن" منصوب بكليل . ومن الدليل على إعمال "فعل" قوله :
حذر أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجية من الأقدار^(٢)
فأعمل "حذرا" في أمور وكذلك قوله :

أو مسحل شنج عضادة سمج بسراته ندب له وكلوم^(٣) .
فأعمل "شجنا" في عضاده" وإعمالها عند سيبويه ، ومن أخذ
بمذهبه قليل .

وهو في فعل أقل منه في فعل بكثير . وأما المبرد فلم ير أن في
هذا الذي استدل سيبويه دليلا ، أما قوله :

حذر أمورا لا تضير وآمن

فزعم المازني أنما أخبره أبو يحيى اللاحق أنه سألته سيبويه هل
يحفظ بيتا في إعمال فعل فوضع له هذا البيت . قال : فالبيت مصنوع
. وهذا الذي ذكره أبو العباسي المبرد لا يلتفت إليه لأن سيبويه ذكر
البيت ، ولم يذكر أن اللاحق هو الذي أنشده ، وسيبويه (رحمه الله)
أحفظ لما يرويه من أن ينقله عن غير ثقة ، فلا يطعن في روايته
بقول من أقر على نفسه بالكذب ، وأما قوله :

أو مسحل شنج عضادة سمج

"فعضادة" عنده منصوب على الظرفية كأنه قال : في عضادة سمج
والظروف لا ينكر أن تعمل فيها هذه الأمثلة إذ قد تعمل فيها روائح
الأفعال ، وأما الذي ينكر أعمالها فيه المفعول به . وهذا الذي ذهب

(١) سبق تخريجه ص ٣٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠ .

إلية فاسد . لأن العضادة اسم للقوائم ، والأسماء ما عدا اسم الزمان والمكان لا تجعل ظروفا تقاس وأيضاً فإن المعنى يفسد لأنه يكون إذ ذاك قد شبه فرسه في الجرى ، بحمار فنقبض في قوائم أثنان ، وذلك مناقض لما يريد من وصفه بالجرى ، فثبت أن شنجاً هذا بمعنى مشنج ، كانه قال شنج عضادة سمجج ، فيكون إذا ذاك قد شبه فرسه بحمار يطارد أثنان فهو بعضها وهي تعضه . ومما يدل على إعمال فعل قول زيد الخيل :

أتانى اثمهم مزقون عرَضى ججاسُ الكرْمَلين لها فديد^(١)

فعرض منصوب بمزقين ولا يسوغ فيه غير ذلك . وأما كليل موهنان فموهناً عنده منصوب على الظرف بكليل ، قال : ومما يدل على ذلك انه من كل وكل لا يتعدى فذلك ما أخذ منه . وهذا الذى ذكره فاسد ، لأنه قد قَدِمْنَا أن كليلاً على مذهب سيبويه إنما يكون من كَل . فأن قيل : فلعلة كما ذكر أبو العباس من أن مَوْهناً " منصوب على الظرف ، كانه قال : كليلٌ موهناً أى : ضعيف فى موهن فالجواب : إنه إن حُمِلَ على ما ذهب إليه المبرد تناقض مع قوله : وبات الليل لم ينم ألا ترى أنه إذا ضعف مَوْهناً وكان عميلاً فى وقت آخر فإنه فى الوقت الذى فيه قد نام .

وكذلك أيضاً إن جُعِلَ عَمِلُ بمعنى تعب كما ذهب إليه بعض الناس كان متناقضاً لأنه إذا كان ضعيفاً تعباً فى موهن فقد ينام فى ذلك الموهن فيتناقض ذلك مع قوله : وبات الليل لم ينم ، فثبت أن كليلاً بمعنى مكلٌ موهناً لكثرة خفقه فيه كما يقال : اتعبت نهارك بكثرة عملك فيه

(١) سبق تحريجه ص ٣٠ .

فإن قيل : فلأى شيء جعله مكلًا موهناً . وإنما هو مكلل الليل
بدليل قوله : ويات الليل لم ينم ؟ فالجواب أنه أوقع موهناً موقع
موهن الليل كلها فهو من وضع المفرد موضع الجمع الجائي في
ضرورة الشعر نحو قوله : (١)

كلو في بعض بطونكم تعقوا

أى : فى بعض بطونكم فثبت إذن أن فعيلًا وفعلًا يعملان عمل اسم
الفاعل قليلاً (٢)

مما سبق يتضح أن ابن عصفور ردّ على الكوفيين مذهبه وهو عدم
جواز إعمال أمثلة المبالغة وأن المنصوب بعدها على إضمار فعل
يفسره المذكور ردّ عليهم قائلاً : أن الذى أدعوه من الإضمار لم يلفظ
به فى موضع من المواضع . وردّ على مذهب المبرد والذى منع
إعمال فعيل وفعل وقد أجاز أعمالهما سيبويه والبصريون وقال : إن
سيبويه لم يقل ذلك إلا بعد ورود السماع بأعمالها .

وردّ ابن عصفور على الطعن الذى وجهه المبرد نحو قول الشاعر :
حذرُ أموراً لا تضير وآمين (٣)

بأن البيت مصنوع فقال ابن عصفور : إن سيبويه ذكر البيت ولم
يذكر أن اللاحق هو الذى أنشده ، وسيبويه أحفظ لما يرويه من أن
ينقله عن غير ثقة وردّ ابن عصفور كذلك على تأويل المبرد فى
البيتين التاليين بما أضعف رأى المبرد ورجح رأى سيبويه .

(١) من الوافر - من أبيات الكتاب الخمسين وأنظر الكتاب ١٠٨/١ المقتضب ١٧٢/٢ ابن الشجرى

٣١١/١ الأصول ٢٤٥/١ معان القرآن ٣٠٧/١ جمل الزجاجى ٥٦٤/١ .

(٢) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٥٦٤/١ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩٠ .

وبعد كل هذه النصوص السابقة والتي دافعت وأيدت رأى
سيبويه في جواز إعمال "فعل" "فعل" وذلك كابن يعيش في شرح
المفصل وابن مالك في شرح التسهيل وابن عصفور في شرح جمل
الزجاجي تبين صواب رأى سيبويه لورد السماع بإعمالهما ولذلك
أرى موافقة رأى سيبويه لما سبق من نصوص وأدلة تقوى هذا
الرأى .



المبحث الرابع

أحكام صيغ المبالغة

لصيغ المبالغة القياسية أحكام أهمها :

١ - أنها لا تصاغ إلا من مصدر فعل ثلاثي ، متصرف متعد ، ما عدا صيغة : فَعَّال فإنها تصاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللام والمتعدى كقوله تعالى " وَلَا تُطْع كُلَّ خَلَفٍ مَّهِينٍ . هَمَّاز مَشَّاء بنميم ، مَنَّاع لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم ^(١) وقولهم : فلان بِسَامٍ التفر ضَحَّاك السن ، وقول الشاعر :

وَإِنِّي لَصَبَارٌ عَلَى مَا يَنْوِبُنِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهُ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ
وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ ^(٢)
ولذلك يقول ^(٣) " وغالب تحويلها من الثلاثي المجرد وشد بناؤها من أفعل سمع منه : مِهْوَانٌ وَمِغْطَاءٌ ، وَمِهْدَاءٌ ، وَرَشَادٌ وَجَزَالٌ ، وَزَهْوَى ، وَدَرَاكٌ وَسِيَاءٌ ، وَنَذِيرٌ وَأَلِيمٌ وَسَمِيعٌ مِنْ أَهَانَ وَأَعْطَى وَأَرْشَدٌ وَأَجْزَلٌ ، وَأَزْهَقٌ ، وَأَدْرَكَ وَأَسَاءَ وَأَنْذَرَ وَأَلَمَ وَأَسْمَعَ كقوله :
أَمِنْ رَجَايَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ ^(٤)

يريد المسمع .

ويقول الشيخ الخضري ^(٥) (ت ١٢٨٧ هـ) في حاشيته وهو يعلق على قول ابن عقيل : قوله :

^(١) القلم / ١٢ ، ١١ ، ١٠ .

^(٢) انظر النحو الواقي ٢٦١/٣ بَيْتَانِمْ/٦٤ .

^(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ .

^(٤) سبق تخريجه ص ٣٣ .

^(٥) انظر حاشية الخضري ٢٦/٢ .

" يصاغ للكثرة " فى نسخ من الثلاثى وأخذه من قول المصنف
عن فاعل لأنه إنما يجئ من الثلاثى فلا تبنى هذه الأمثلة من
غيره إلا ما شذ من قولهم : دراك وسار من أدرك وأسار أى : أبقى
فى الكأس بقية ومعطاه ومهوان من أعطى وأهان ، وسميع ونذير
من أسمع وأنذر وزهوق من أزهرق "
وقال الأشمونى ^(١) : تنبيه : أفهم من قوله "عن فاعل بديل "أن هذه
الأمثلة لا تبنى من غير الثلاثى وهو كذلك إلا ما ندر . قال فى
التسهيل وربما بنى فعال ومفعال وفعل وفعل من أقعل ، يشير إلى
قولهم دراك وسار من أدرك وأسار إذا أبقى فى الكأس بقية ، ومعطاه
ومهوان من أعطى وأهان وسميع ونذير من أسمع وأنذر وزهوق من
أزهرق "

ويقول الشيخ يس فى حاشيته ^(٢) على التصريح وهو يعلق على قوله
"تحول صيغة فاعل" فيه إشارة إلى أنها إنما تحول عن اسم فاعل
الثلاثى وهذا باعتبار الغالب كما أشار إليه فى التسهيل فقال : وربما
بنى فعال من أقعل ومفعال وفعل وفعل من أقعل يشير إلى قولهم
دراك وسار ومهوان ومهوان ونذير وسميع وزهوق فاندفع قول
اللقائى قوله "يحول" يدل على أن غيرها لا تحول . ويقول ابن مالك
فى شرح ^(٣) التسهيل وهو يتحدث عن صياغة أمثلة المبالغة
"والمشهور بناء هذه الأمثلة من الثلاثى وقد يبنى من أقعل فعال
كأدرك فهو دراك وأسار فهو سار ، وفعل كأندر فهو نذير ، وآلم
فهو أليم وأسمع فهو سميع ومنه قول الشاعر :

أمن ريحانة الداعى السميع ويؤرقنى وأصحابى هجوع ^(٤)
أراد : الداعى المسمع . وقد يبنى أيضاً من أقعل مفعال كمعطاه

ومهداء ومهوان ومهوان / وندر بناء "فعل" ذى المبالغة من أقعل
فى قول الشاعر يصف ناقة :

جهول وكان الجهل منها سجيبة ولكنها للقاتلين رهوق ^(٥)

^(١) انظر شرح الأشوق ٢٩٨/٢ .

^(٢) انظر يس ٦٧/٢ .

^(٣) انظر شرح التسهيل ٨٢/٣ .

^(٤) سبق تخريجه ص ٣٣ .

^(٥) من الطويل - لحيد بن نور - وانظر المساعد ١٩٤/٢ ديوانه ص ٣٦ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

أى : كثيرة الإرهاق لمن يقودها :

فكل هذه النصوص السابقة تدل على أن صيغ المبالغة تصاغ من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف وأنها قد تبنى من افعال شذوذا كما قال بذلك أكثر العلماء كابن مالك وأبى حيان والأشمونى والخضرى ويس وقد سبقنا الأمثلة لذلك .

٢- أنها لا تجرى على حركات مضارعها وسكناته ، بالرغم من اشتغالها على حروفه الأصلية ولهذا كانت محمولة فى عملها على اسم الفاعل لا على فعله .

٣- وانها فى غير الأمرين السالفين - خاضعة لجميع الأحكام التى يخضع لها اسم الفاعل بنوعيه المجرد من "أل" والمقرون بها ، فلا اختلاف بينهما إلا فى الأمرين المتقدمين وما سيأتى ذكره من جواز إعمال صيغ المبالغة فى الماضى - وكذلك فى شكل الصيغة ، وفى أن صيغة المبالغة بنصبها الصحيح أكثر مبالغة وأقوى دلالة فى معنى الفعل من صيغة اسم الفاعل المطلقة ، وما عدا هذا فلا اختلاف بينهما فى سريان الأحكام والشروط . ولذلك يقول ^(٢) سيبويه :

"يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار لو قلت : هذا ضروبُ رؤس الرجال وسوقُ الإبل على ، : وضروبُ سوقِ الإبل جاز كما تقول : هذا ضاربُ زيد وعمراً تضمر وضاربُ عمراً .

ومما جاز فيه مقدما ومؤخرا على نحو ما جاء فى فاعل ، قول
ذى الرمة :

هجوم عليها نفسه غير أنه متى يرم فى عينيه بالشنح ينهض ^(١)
وقال أبو ذؤيب الهذلى :

قللى دينه واهتاج للشوق إنها على الشوق إخوان العزاء هيوج ^(٢)
وسمنا من يقول : أما العسل فأنا شراب وقال :

بكيت أبا اللأواء يحمد يومه كريم رؤس الدارعين ضروب ^(٣)
ففى البيتين الأخيرين والمثال الذى بينهما عملت صيغتا المبالغة فاعول
وفعال وهى متأخرة فنصب "هيوج" إخوان العزاء " ونصب "شَرَّاب"
"العسل" ، ونصب "ضروب" رؤس الدارعين " مع تأخر الجميع .

ويقول ابن عصفور الاشيلي فى شرح جمل ^(٤) الزجاجى :

وحكم هذه الأمثلة كحكم اسم الفاعل من التقديم والتأخير والإضافة
والفصل وأن الإضافة غير مخصصة ، وسائر أحكام أسماء الفاعلين إلا
ما ذكره ابن خروف من أن هذه الأمثلة قد تعمل عمل اسم الفاعل
بمعنى المضى ، واستدل على ذلك بأنها لما فيها من معنى المبالغة
ساغ ذلك فيها وأنشد دليلا على ذلك قوله :

بكيت أبا اللأواء يحمد يومه ^(٥)

^(١) سبق تخريجه ص ٢٧ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٤) انظر شرح جمل الزجاجى ١/ ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

^(٥) سبق تخريجه ص ٢٨ .

ألا ترى أنه يندب ميتاً ، فدل ذلك على أنه يريد بضروب معنى
الماضى . وهذا الذى ذهب إليه فاسد ، بل هو محمول على حكاية
الحال كما تقدم ذلك فى قوله تعالى "وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد"^(١)
ويقول أبو حيان ^(٢) : "وحكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم
اسم الفاعل أحكاماً وشروطاً واتفاقاً واختلافاً إلا ما ذهب إليه ابن
طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز أفعالها ماضية وإن عربت من
"أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من "أل" إذا كان
ماضياً "

ويقول الشيخ السجاعي . . . ^(٣) فى حاشيته على ابن عقيل : قوله
"ما له من عمل" أى : بالشروط المذكورة فى اسم الفاعل فى عمل
بمعنى الماضى دون "أل" خلافاً لابن طاهر وخروف ولا غير معتمدة
على شىء مما تقدم خلافاً للكوفيين .

ويقول الشيخ يس فى حاشيته ^(٤) على الفاكهى : "قوله" على جواز
إعمالها " أى : بالشروط المذكورة فلا تعمل بمعنى الماضى بدون "أل"
وزعم ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى
الماضى مجردة من "أل" لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع ورد بذلك ،
وجرى على ذلك الرضى . وهو مردود لأن دلالتها على المبالغة
مبعدة لها من شبه الفعل وما أوهمه السماع محمول على حكاية

^(١) الكهف / ١٨ .

^(٢) انظر ارتضاف الضرب ١٩٤/٣ .

^(٣) انظر حاشية السجاعي على ابن عقيل ص ١٥٩ .

^(٤) انظر حاشية يس على الفاكهى ٢٠٠/١ .

الحال " ويقول الشيخ خالد :^(١) فيعملن عمله بشروطه المتقدمة

والى ذلك يشير الناظم بقوله :

فيستحق ماله من عمل

ويقول الشيخ يس^(٢) قوله "بشروطه" قال اللقاني : قال الرضى : "لا

يشترط فيه كونهن للحال أو الاستقبال واستشهد بالأبيات المثبتة

للعمل . وأقول : قال المصنف فى الحواشى : زعم ابن طاهر وتلميذه

ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى الماضى مجردة من "أل" لقوتها

بالمبالغة ولأن السماع ورد بذلك كقوله :

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه^(٣)

ألا ترى أنه يرثيه وأجيب بأنه على حكاية الحال.

ويقول الشيخ الرضى :^(٤) "وعند الكوفيين لا يعمل شىء من أبنية

المبالغة لفوات الصيغة التى بها شابه اسم الفاعل الفعل وأن جاء

بعدها منصوب فهو عندهم بفعل مقدر .

وقال البصريون : إنما تعمل مع فوات الشبه اللفظى لجبر المبالغة فى

المعنى ذلك النقصان ، وأيضاً فإنها فروع لاسم الفاعل المشابه للفعل

فلا تقصر عن الصفة المشبهة فى مشابهة اسم الفاعل ومن ثمة لم

يشترط فيها معنى الحال والاستقبال كم لم يشترط ذلك فى الصفة

المشبهة . وقال ابن بابشاذ لا تعمل بمعنى الماضى كاسم الفاعل

والأبيات المنتشرة ظاهرة فى كونها للإطلاق المفيد للاستمرار "

^(١) انظر التصريح ٦٨/٢ .

^(٢) انظر يس ٦٨/٢ .

^(٣) سبق تخريجه ص ٢٨ .

^(٤) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

فهذا النص دل على أن الرضى أجاز إعمال صيغ المبالغة وإن كانت بمعنى الماضى . ويقول الإمام السيوطى فى السهم^(١) وذهب ابن طاهر وابن خروف إلى جواز إعمالها ماضيه وإن عريت من "أل" وإن لم يقولا بذلك فى اسم الفاعل لما فيها من المبالغة ولم احتج إلى ذكره لأنه رأى محكى فى اسم الفاعل فدخل فى التشبيه " ويقول ابن مالك :

وما سوى المفرد مثله جعل فى الحكم والشروط حيثما عمل.
أى : أن غير المفرد من اسم الفاعل وأمثلة المبالغة مثل المفرد فى العمل والشروط المتقدمة ولا فرق بين أن يكون الجمع جمع مذكر سالما ، أو جمع مؤنث أو جمع تكسير .



المبحث الخامس

صيغ المبالغة في القرآن الكريم

نقل عن الشيخ برهان الدين الرشيدى أن صفات الله التى هى صيغة المبالغة كغفار ورحيم وغفور ومثان وكلها مجاز ، إذ هى موضوعات للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة هى : أن ثبت للشئ أكثر مما له ، وصفات الله تعالى متناهية فى الكمال ولا يمكن المبالغة فيها ، والمبالغة أيضاً تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله تعالى منزّهة عن ذلك . وذكر هذا الشيخ ابن الحسن السبكي فاستحسنه وقال : إنه صحيح إذا قلنا إنها صفات . فإن قلنا : أعلام زال ذلك ^(١)

قلت : أى : الإمام الزركشى ^(٢) والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل ، والثانى : بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين . وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل أسماء الله تعالى التى وردت على صيغة المبالغة كالرحمن والغفور والتواب ونحوها ، ولا يبقى إشكال حينئذ ، لهذا قال بعض المفسرين فى حكم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

^(١) انظر البرهان ٥٠٧/٢ .

^(٢) انظر البرهان ٥٠٧/٢ .

وقال الزمخشري ^(١) في سورة ^(٢) الحجرات : المبالغة في "التواب" للدلالة على كثرة من يتوب إليه من عباده أو لأنه ما من ذنب بقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبة ، أو لأنه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه . وقد أورد بعض الفضلاء سؤالا في قوله تعالى " والله على كل شيء قدير " ^(٣) وهو أن "قديرا" من صيغ المبالغة يستلزم الزيادة على معنى "قادر" والزيادة على معنى "قادر" محال ، إذ الاتحاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل ، باعتبار كل فرد .

وأجيب عنه بأن المبالغة لما لم يقدر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ، والمبالغة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف . وكذلك قوله تعالى "والله بكل شيء عليم" ^(٤) يستحيل عود المبالغة إلى نفس الوصف ، إذ لعلم بالشئ لا يصح التفاوت فيه ، فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلق ، إما لعموم كل أفراده ، وإما لأن يكون المراد الشئ ولواحقه ، فيكون من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .
وسئل أبو علي الفارسي : هل تدخل المبالغة في صفات الله تعالى فيقال : "علامة" ؟ فأجاب بالمنع ، لأن الله تعالى ذم من نسب إليه الإثبات لما فيه من النقص ، فلا يجوز إطلاق اللفظ المشعر بذلك .

^(١) نظر الكشاف ٥٦٩/٣ .

^(٢) الحجرات / ١٢ .

^(٣) البقرة / ٢٨٤ .

^(٤) البقرة / ٢٨٢ .

حكاه الجرجاني في شرح الإيضاح (١).

ويقول الإمام السيوطي في (٢) الإتيان : "ذكر البرهان الرشيدى : أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز ، لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن ثبت للشئ أكثر مما له وصفات الله تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها . وأيضا فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزلة عن ذلك ، واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي .

وقال الزركشى في البرهان (٣) : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان : أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل . والثاني : بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال ، ولهذا قال بعضهم في "حكيم" معنى المبالغة فيه تكرار حكمة بالنسبة إلى الشرائع .

وقال في الكشف (٤) : المبالغة في "الثواب" للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه عباده أو لأنه بليغ في قبول التوبة نُزِّل صاحبها منزلة من لم يَنْتَبِ قط ، تسعة كرمه وقد أورد بعض الفضلاء سؤالا على قوله تعالى "والله على كل شئ قدير" (٥) وهو أن "قديرا" من صيغ المبالغة ، فيستلزم الزيادة على معنى قادر " والزيادة على معنى "قادر" محال ، إذا الإيجاز من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل

(١) انظر البرهان ٥٠٨/٢ .

(٢) انظر الايمان في علوم القرآن ٢٥٤/٣ .

(٣) انظر البرهان ٥٠٧/٢ .

(٤) انظر الكشف ٥٦٩/٣ .

(٥) البقرة / ٢٨٤ .

فرد فرد وأجيب بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .^(١) وفي حاشية^(٢) الصبان : " ذكر بعضهم : أن صفات الله التي هي صيغة المبالغة مجاز لأن المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك . وفي الكشف^(٣) : المبالغة في الثواب على كثرة من يتوب عليه . والجمهور على أن الرحمن أبلغ من الرحيم قال السهيلي : لأنه على صيغة التثنية والتثنية تضعيف فكان البناء تضاعفت فيه الصفة . وابن الأثير على أن الرحيم ألغ لأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وذهب قطرب : إلى أنهما سواء أ هـ "بحروفه" وفي الاتفاق^(٤) : الأكثر على أن "فعلان" أبلغ من "فعليل" ومن ثم قيل : "الرحمن" أبلغ من "الرحيم" ونصره السهيلي بأنه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف ، فكان البناء تضاعفت فيه الصفة . وذهب ابن الأثير إلى أن "الرحيم" أبلغ من "الرحمن" ورجح ابن عساكر بتقديم "الرحمن" عليه ، وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قطرب إلى أنهما سواء .

وفي البرهان^(٥) للزركشي : "أما فعلان" فهو أبلغ من "فعليل" ومن ثم قيل : الرحمن أبلغ من الرحيم " وإن كانت صيغة "فعليل" - من جهة أن فعلان "من أبنية المبالغة ، كغضبان للمتلى غضبا ، ولهذا

^(١) انظر الاتفاق ٢٥٤/٣ .

^(٢) انظر الصبان ٢٩٧/٢ .

^(٣) انظر الكشف ٥٦٩/٣ .

^(٤) انظر الاتفاق ٢٥٣/٣ ، ٢٥٤ .

^(٥) انظر البرهان ٥٠٢/٢ - ٥٠٦ بصرف .

لا يجوز التسمية به وحكاه الزجاج فى تأليفه المفرد على
البسمة وما ذكر من أن "الرحمن" أبلغ ذهب إليه أبو عبيد
والزمخشري^(١) وغيرها ، وحكاه ابن عساكر فى "التكميل والإفهام
" عن الأكثرين . وفى كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق عليه .
ونصره السهيلي بأنه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف . وكأن
البناء تضاعفت فيه الصفة .

وقال قطرب : المعنى فيهما واحد ، وإنما جمع بينهما فى الآية
للتوكيد ، وكذلك قال ابن فورك : قال : وليس قول من زعم أن
"رحيماً" أبلغ من "رحمن" بجيد إذ لا فرق بينهما فى المبالغة . ولو
قيل "فعلان" أشد مبالغة كان أولى ، ولهذا خص بالله فلا يوصف به
غيره ، ولذلك قال بعض التابعين : الرحمن اسم ممنوع ، وأراد به
منع الخلق أن يتسموا به ، ولا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد واتباع
الأول ما هو فى معنى الثانى .

وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر . وعن
الخطابى استشكل هذا ، وقال / لعله أرفق كما جاء فى الحديث : "إن
الله رفيق يحب الرقق فى الأمر كله " وقال ابن الأثير فى الزاهر :
الرحيم أبلغ من الرحمن ورجحة ابن عساكر بوجوه :

منها : أن الرحمن جاء متقدماً على الرحيم ، ولو كان أبلغ منه لكان
متأخراً عنه ، لأنهم فى كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى ،
فيقولون : فقيه عالم ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ، ولا يعكسون
هذا لفساد المعنى .

لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلا تحته ، فلم يكن لذكره معنى . هذا وقد ذكره الزمخشري وأجاب عنه من باب الإرداف وأنه أردف الرحمن الذى يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم / ليكون كاللتمّة والرديف ليتناول ما رقى منه ولطف ^(١) . وقد ضعف لا سيما إذا قلنا : إن الرحمن علم لا صفه وهو قول الأعمم وابن مالك وأجاب الواحدى فى "البسيط" بأنه لما كان الرحمن كالعلم إذ لا يوصف به إلا الله - قدم ، لأن حكم الأعلام وغيرها من المعارف أن يبدأ بها ، ثم لا يتبع الأتكر ، وما كان من التعريف أنقص .

قال : وهذا مذهب سيبويه وغيره من النحويين ، فجاء هذا على منهاج كلام العرب .

وأجاب الجوينى بأن الرحمن للخلق والرحيم لهم بالزرق ، والخلق قبل الرزق .

ومنها : أن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة فى حقه ، والنهائية فى صفاته ، وأكثر صفاته سبحانه جارية على "فعل" كرحيم ، وقدير ، وعليم ، وحكيم ، وحليم ، وكريم ولم يأت على "فعلان" إلا قليل . ولو كان "فعلان" أبلغ لكان صفات البارئ تعالى عليه أكثر . قلت : أى الزركشى : ^(٢) وجواب هذا أن ورود "فعلان" بصيغة التذكير كان فى عدم تكرار الوصف به ، بخلاف "فعل" فإنه لما لم يرق فى الكثرة رفته كثر فى مجيء الوصف ومنها : أنه إن كانت المبالغة فى "فعلان" من جهة موافقة لفظ التثنية - كما زعم السهيلي - ففعل من أبنية جمع الكسرة كعبيد وكليب ، ولا شك أن الجمع أكثر من التثنية

^(١) انظر الكشف ٤٥/١ .

^(٢) انظر الرمان ٥٠٦/٢ .

هذا أحسنها . قال :وقول قطرب "أنهما بمعنى واحد " فاسد لأنه لو كان كذلك لتساويا في التقديم والتأخير ، وهو ممتنع .

ويقول أبو اسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) فى معانى القرآن (ت ٢١١) " وقوله عز وجل "الرحمن الرحيم" هذه الصفات لله عز وجل ، معناه فيما ذكر أبو عبيده : ذو الرحمة ولا يجوز أن يقال : "الرَّحْمَنُ " إلا لله ، وإن كان ذلك لأن بناء فَعْلان "من أبنية ما يبالغ فى وصفه ، ألا ترى أنك إذا قلت : غضبان فمعناه : الممتلئ غضبا فرحمان الذى وسعت رحمته كل شيء فلا يجوزُ أن يقال لغير الله رحمان ^(١)"

وقد لخص السمين الحلبي فى الدر المصون ^(٢) هذا الخلاف أى فى أيهما أبلغ من الآخر فقال "منهم من قال : الرحمن أبلغ ولذلك لا يطلق على غير البارئ تعالى ، واختاره الزمخشري وجعله من باب غضبان وسكران للمتلئ غضبا وسكرا ، ولذلك يقال : رحمن الدنيا والآخرة . ورحيم الآخرة فقط ، قال الزمخشري : "فكان القياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كما يقال : شجاع باسل ، ولا يقال : باسل شجاع . ثم أجاب بأنه أردف الرحمن الذى يتناول جلال النعم ، وأصولها بالرحيم ليكون كالتتمة والرديف ، ليتناول مآدق منها ولطف .

ومنهم : من عكس فجعل الرحيم أبلغ ، ويؤيده رواية من قال : "رحيم الدنيا ورحمن الآخرة " لأنه فى الدنيا يرحم المؤمن والكافر ، وفى الآخرة لا يرحم إلا المؤمن لكن الصحيح أن الرحمن أبلغ ، وأما هذه الرواية فليس فيها دليل بل هى دالة على أن الرحمن أبلغ ،

^(١) انظر معان القرآن للزجاج ٤٣/١ .

^(٢) انظر الدر المصون ٦١/١ .

وذلك لأن القيامة فيها الرحمة أكثر بأضعاف وأثرها فيها أظهر على ما يروى أنه خبا لعبادة تسعا وتسعين رحمة ليوم القيامة .
والظاهر أن جهة المبالغة فيهما مختلفة ، فمبالغة "فعلان" من حيث الإمتلاء والغلبة ومبالغة "فعليل" من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة .

وقال أبو عبيدة : " وبناء فعلان ليس كبناء فعليل " فإن بناء فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو : رجل غضبان للمتلئ غضبا ، وفعليل يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال :

فأما إذا عضت بك الحرب عضه فإنيك معطوف عليك رحيم^(١)
فالرحمن خاص الاسم عام الفعل . والرحيم عام الاسم خاص الفعل ،
ولذلك لا يتعدى فعلان ويتعدى فعليل " حكى ابن سيده : "ريد حفيظ علمك وعلم غيرك . "

وبعد هذا التفصيل لهذه الآراء التي اختلفت حول "الرحمن الرحيم" أيهما أبلغ من الآخر أرى موافقة الرأي القائل بأن المبالغة فيهما مختلفة وأن مبالغة "فعلان" من حيث الإمتلاء والغلبة ومبالغة "فعليل" من حيث تكرار والوقوع بمجال الرحمة ، وأن "الرحمن" الصحيح أنه أبلغ من "الرحيم" ولهذا لا يجوز التسمية به ، وأنه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة لأن الأدلة التي استدلت بها القائلون بأن رحيمان أبلغ من "الرحمن" رد عليها بما ذكره الزمخشري في الكشف بأنه ذكر "الرحيم" ليكون كالتمة

^(١) من الطويل - لملى بن عقيل . وانظر الحماسة ١٥٨/٢ اللسان - رحم - القرطبي ٧٤/١ السدر

والرديف ليتناول مادق منه ولطف وأن رحمان الذى وسعت
رحمته كل شيء فلا يجوز أن يقال لغير الله رحمانا .
أما بالنسبة لورود هذه الصيغ فى القرآن الكريم فأكثر الصيغ وقوعا
فى القرآن الكريم صيغة "فعال" فقدور فى كتاب الله عز وجل :
أفأك . أكالون . أماره . أواب . لأوابين . لأواه . بناء . التواب .
التوابين . ثجاجا . جبارين . حلاف . ختار . الخراصون . الخلاق .
الخناس خوان . الرزاق . سحرار . سماعون . صبار . طوافون .
بظلام . علام . غساق . لغفار . غواص . الفتاح . فعال . القهار .
قوامون . كفار . لواحة . اللوامه . مشاء . مناع . نزاعة للشوى .
نضاختان . النقاآت . الوهاب . وهاجا . وسيأتى الحديث إن شاء الله
عن الآيات التى وردت فيها هذه الصيغ عند الحديث عن صيغة "فعال"
وقد وصف الله تعالى نفسه بعالم وعليم وعلام وهذا للمبالغة ، وقد
أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة فى علامة " ولا يجوز وصفه به
تعالى . والمبالغة بأحد أمرين إما بالنسبة لتكرير وقوع الوصف ،
سواء اتحد متعلقة أم تكثر ، وإما بالنسبة إلى تكثير المتعلق ، ولا
تكثير الوصف ، ومن هذا الثانى المبالغة فى صفات الله تعالى ، لأن
علمه تعالى واحد لا تكثير فيه ^(١) وقد كثر فى القرآن الكريم توالى
صيغتين من صيغ المبالغة بعطف وبغير عطف وعلى وزن واحد أو
على وزنين . فمما جاء على وزن واحد قوله تعالى " كل بناء
وغواص ^(٢) .

^(١) انظر دراسات الأسلوب القرآن للشيخ عضية ٣/٧ ؟

^(٢) ص / ٣٧ .

وقوله تعالى " سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ " وقوله
 " هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ " ^(١) وقوله " وَكُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٌ لِّخَيْرٍ "
 " ^(٢) وقوله تعالى " ظَلُّومًا جَهُولًا " ^(٣) وقوله " لَعَفُوْ غَفُوْرُ " ^(٤)
 وقوله " الْعَلِيْمُ وَالْحَكِيْمُ " ^(٥) وقوله " سَمِيعًا بَصِيْرًا " ^(٦) وقوله " عَلِيْمًا
 حَكِيْمًا " ^(٧) وقوله " وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ " ^(٨) وإذا وَصَفِ اللهُ تعالى
 بالعلو فمعناه : أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين ، بل علم
 العارفين . ^(٩) ومما جاء على وزنين مختلفين قوله تعالى " التَّوَّابُ
 وَالرَّحِيْمُ " ^(١٠) وقوله " كَانَ تَوَّابًا رَّحِيْمًا " وقوله " جَبَّارٌ عَصِيْبًا "
^(١١) وقوله " جَبَّارٌ عَنِيدٌ " ^(١٢) وقوله " خَوَالِدًا أُثِيْمًا " ^(١٣) وقوله تعالى
 " رَّحِيْمٌ وَدُوْدٌ " ^(١٤) وقوله " غَفُوْرٌ حَكِيْمٌ " ^(١٥) .

^(١) المائدة / ٤١ .

^(٢) القلم / ١١ ، ١٢ .

^(٣) ق / ٢٤ ، ٢٥ .

^(٤) الأحزاب / ٧٢ .

^(٥) المجادلة / ٢ .

^(٦) البقرة / ٣٢ .

^(٧) النساء ٥٨ .

^(٨) النساء / ١١ .

^(٩) البقرة / ٢٥٥ .

^(١٠) انظر البحر ٢ / ٢٨٠ .

^(١١) البقرة / ١٢٨ .

^(١٢) النساء / ١٦ .

^(١٣) مريم / ١٤ .

^(١٤) هود / ٥٩ .

^(١٥) النساء / ١٠٧ .

وأكثر ما جاء في القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة .^(١)

وإليك الحديث عن ورود صيغ المبالغة في القرآن الكريم تفضيلاً وما يتعلق بها من أقوال العلماء .

ما جاء على فعال

وأما فعال ، فنحو : غفار ، ومنان وثواب ، وهاب قال تعالى " فعال لما يريد " ^(٢) وقال " علام الغيوب " ^(٣) وقال " لكل صبار شكور " ^(٤) وقال " نزاعة للشوى " ^(٥)

ومن المشكل قوله تعالى " وما ربك بظلام لعبيد " ^(٦) وتقديره أنه لا يلزم من نفى الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم ، والواقع نفىه ، قال تعالى : " إن الله لا يظلم الناس شيئاً " ^(٧) وقال : " إن الله لا يظلم مثقال ذرة " ^(٨)

وقد أجيب عنه بأحد عشر وجهاً :^(٩)

أحدها : أن " ظلاماً " وإن كان يراد به الكثرة لكنه جاء في مقابلة العبيد وهو جمع كثرة إذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً . ويرشح هذا الجواب أنه سبحانه قال في موضع آخر : " علام الغيوب " فقابل صيغة " فعال "

^(١) هود : ٩٠ .

^(٢) البقرة : ٢٥٥ .

^(٣) انظر دراسات ٤/٧ .

^(٤) البروج / ٢٦ .

^(٥) المائدة / ٥٠ .

^(٦) فصلت / ٤٦ .

^(٧) يونس / ٤٤ ،

^(٨) النساء / ٤٠ .

^(٩) انظر البرهان ١/٢ ، ٥١٣ ، القرطبي ٢٤١/١٥ .

بالجمع - وقال فى موضع آخر : "عَالِمُ الْغَيْبِ" فقابل صيغة "فاعل" الدالة على أصل الفعل بالواحد .

الثانى : أنه نفى الظلم الكثير ، فينتفى القليل ضرورة ، لأن الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة ظلمه فى حق من يجوز عليه النفع كان الظلم القليل فى المنفعة أكثر .

الثالث : أنه على النسب واختاره ابن مالك وحكاه فى شرح الكافية عن المحققين أى : ذى ظلم كما قال أمرؤ القيس :

وَلَيْسَ بِذِي رُمَحٍ فَيُطْعِنُنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِبَنِيٍّ (١)

أى : بذى نبل . أى لا ينسب إلى الظلم فيكون من باب بَرَّازٍ وعطار .
الرابع : أن فعلاً قد جاء غير مراد به الكثرة كقول طرفه :

وَلَسْتُ بِجَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْقِدُ الْقَوْمُ أُرْفِدُ . (٢)

لا يريد أنه يحل التلاع قليلاً ، لأن ذلك يدفعه قوله : "يَسْتَرْقِدُ الْقَوْمُ أُرْفِدُ" هذا يدل على نفى الحال فى كل حال ، لأن تمام المدح لا يحصل بإيراد الكثرة .

الخامس : أن أقل القليل لوورد منه سبحانه - وقد جئ عنه - لكان كثيراً ، لاستغنائاه عنه كما يقال : "زلة العالم كبيرة" ذكره الحريرى فى الدرّة قال : وإليه أشار المخزومى فى قوله :

كفوفه الظفر تحفى من حقارتها

(١) من الطويل - والشاهد فيه بنىال " حيث وردت صيغة "فعال" والمراد منها والنسب انظر شواهد المغنى ٣٤١/١ شرح الفصل ١٤/٦ الكتاب ٣٨٣/٢ لسان العرب - نيل - أوضح المالك ٣٣٩/٤ شرح الأعمش ٧٤٥/٣ معنى اللبيب ١١١/١ المنتضب ١٦٢/٣ المعجم المفصل ٧٣٨/٢ .
(٢) من الطويل والشاهد كما فى الشرح انظر الكتاب ٧٨/٣ خزائن الأدب ٦٦/٩ مغنى اللبيب ٦٠٦/٢ شذور الذهب ص ٤٣٥ الريان ٥١٢/٢ المعجم المفصل ٢٦٤/١ . ٩٧

ومثلها في سواد العين مَتهود^(١)

السادس : أن نفى المجموع يَصْدُقُ بنفى واحد ، ويصدق بنفى كل واحد ، ويعين الثاني في الآية للدليل الخارجى ، وهو قوله : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ " ^(٢)

السابع : أنه أراد : ليس بظالم ، ليس بظالم ، ليس بظالم " فجعل فى مقابلة ذلك " وما رَبَّكَ بِظَلَمٍ "

الثامن : أنه جواب لمن قال : ظلم ، والتكرار إذا ورد جوابا بالكلام خاص لم يكن له مفهوم كما إذا خرج مخرج الغالب .

التاسع : أنه قال : " بظلام " لأنه قد يُظَنُّ أن مَنْ يَعَذِّبُ غيره عذابا شديداً ظلم قبل الفحص عن جرم الذنب .

العاشر : أنه لما كان صفات الله تعالى صيغة المبالغة فيها وغير المبالغة سواء فى الإثبات جرى النفى على ذلك .

الحادى عشر : أنه قصد التعريض بأن ثمة ظلاما للعبيد من ولاية الجور .

وكذلك فى قوله تعالى " وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّعَبِيدٍ " ^(٣) فى العكبرى^(٤) : فإن قيل : بناء فعّال " للتكثير : ولا يلزم من نفى الظلم الكثير نفى الظلم القليل ، فلو قال : بظالم . لكان أدل على نفى الظلم قليلة وكثيرة فالجواب عنه من ثلاثة أوجه .

أحدها : أن "فعلا" قد لا يراد منه الكثرة ، كقول طرفه :

^(١) من البسيط وانظر درة الغواص ص ٢٤ البرهان ١٢/٥ .

^(٢) النساء / ٤٠ .

^(٣) العبران / ١٨٢ .

^(٤) انظر العكبرى ٩٠/١ دراسات ٥/٧ الدر المصون ٢٧٤/٢ القرطبي ١٥/٢٤ .

ولستُ بحلال التلاع مخافةً ولكن مَنى يستفدِ القومُ أرْفَدِ
لا يريد هنا أنه قد يحل التلاع قليلا ، لأن ذلك يدفعه قوله ، متى
يستفدِ القومُ أرْفَدِ وهذا يدل على نفى البخل فى كل حال ، ولأن تمام
المدح لا يحصل بإعادة الكثرة .

والثانى : أن ظلما هنا للكثرة لأنه مقابل للعباد ، وفى العباد كثرة ،
وإذا قوبل بهم الظلم كان كثيرا .

الثالث : أنه إذا نفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليل ضرورة ، لأن
الذى يظلم إنما يظلم لارتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الظلم الكثير ، مع
زيادة نفعه فى حق من يجوز عليه النفع والضرر كان للظلم القليل
المنفعة أترك .

وفيه وجه رابع ، وهو أن يكون على النسب . وزاد صاحب الدر (١)
وزاد صاحب الدر المصون وجها .

خامسا : قال : "قال القاضى أبو بكر : "العذاب الذى نَوَعَدُ أن يفعلَ
بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنقاه على حَدِّ عظمته لو كان ثابتا .

ومما ورد على صيغة فقال قوله تعالى " وَلَا تَطْغَوْا كُلَّ خَلْقٍ مَّهِينٍ .
هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِمِيمٍ . مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَرِئٌ أَتِيمٌ " (٢) فقوله تعالى "خَلْفَ
أى : كثير الحلف بالباطل " ومهين " ضعيف القلب ، مكثار للشر ،
وهَمَّازٌ : مغتاب للناس " مشاء بميم" ينقل الأحاديث من بعض إلى
بعض أى : يمشى بالنميمة بين الناس " (٣)

(١) انظر الدر المصون ٢/ ٢٧٤ .

(٢) القلم / ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٣) انظر مختصر الطبرى ص ٦٤٨ .

وقال السمين الحلبي : ^(١) الهماز : مثال مبالغة من الهمز وهو
في اللغة : الضرب طعنا والمشاء : مثال مبالغة من المشى أى : كثير
السعاية بين الناس .
ومما ورد على صيغة "فعال" قوله تعالى " سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ
لِلسَّحْتِ " ^(٢)

قال السمين ^(٣) الحلبي : قوله "سماعون" مثال مبالغة . ومثله قوله
تعالى " إن إبراهيم لأواه حليم " ^(٤) الأواه : الذى يكثر التأوّه وهو
الأن يقول : أوه وكل كلام يدل على حزن يقال له : التأوّه ، ويعبر
بالأواه عن يظهر خشية الله تعالى . وقال الزجاج : ^(٥) : الأواه :
الدعاء ، ويروى أن الأواه الفقيه .

وفى الدر المصون : ^(٦) الأواه : الكثير التأوّه وهو من يقول : أواه
وقيل : من يقول : أواه وهو أنسب ، لأن "أواه" بمعنى : أتوجع ،
فـ "الأواه" فعال مثال مبالغة من ذلك ، وقياس فعله أن يكون ثلاثياً
، لأن أمثلة المبالغة إنما تطرد فى الثلاثى وقال الزمخشري : "أواه"
فعال من : أوه كـ " لآل " من اللؤلؤ " وهو الذى يكثر التأوّه .

ومثله قوله تعالى " إن الله يحب التوابين " ^(٧) التواب : العبد الكثير
التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب . ويقال لله ذلك لكثرة

^(١) انظر الدر المصون ٣٥٢/٦ والقرطبي ١٥١/١٨ والكشاف ١٤٢/٤ والفتوحات ٣٨٣/٤ .

^(٢) الملائة / ٤٢ .

^(٣) انظر الدر المصون ٥٢٦/٢ .

^(٤) التوبة / ١١٤ .

^(٥) انظر معان الزجاج ٥٢٥/٢ .

^(٦) انظر الدر المصون ٥٠٨/٣ .

^(٧) البقرة / ٢٢٢ .

قبوله توبة العباد حالاً^(١) بعد حال ومنه قوله تعالى " وأنزلنا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً " ^(٢) ثَجَّجَ الماء : انصب بكثرة وقيل : أى :
سيالاً . ^(٣) وقوله تعالى " لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا
وَعَسَاقًا " ^(٤) العساق : ما يقطر من جلود أهل النار . وقوله تعالى "
وجعلنا سراجاً وهاجاً "

الوهج : حصول الضوء والحر من النار " سراجاً وهاجاً " أى :
مضيئاً . وقيل : أى : وقادراً يعنى الشمس . ^(٥)
ومن الصيغ التى وردت على صيغة "فَعَالٌ" قوله تعالى " إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ "

" علام الغيوب " إشارة إلى أنه لا تخفى عليه خافية وقال السمين ^(٦)
"وعَلَمٌ" مثالُ مبالغة فهو ناصب لما بعده تقديرًا .

ومثله قوله تعالى " يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ " ^(٧) السَّيَّارَةُ : جمع سيار
وهو الكثير السير فى الأرض .

وقال صاحب ^(٨) الدر : "والسَّيَّارَةُ" جمع سَيَّارَةٍ ، وهو مثال مبالغة
والالتقاط تناول الشيء المطروح ومنه اللقطة واللقيط . ومنه قوله

^(١) مختصر الطبرى ص ٣٨ .

^(٢) الباء / ١٤ .

^(٣) انظر الكشف ٦٨٦/٤ .

^(٤) مختصر الطبرى ص ٦٧٤ .

^(٥) المائة / ١٠٩ .

^(٦) انظر الدر ٦٤٤/٢ .

^(٧) يوسف / ١٠ .

^(٨) انظر الدر ١٥٨/٤ .

تعالى " إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " ^(١) الصبور : القادر على الصبر ، والصبار يقال : إذا كان فيه ضرب من التكلف والمجاهد وفي البحر : ^(٢) صَبَّارٌ وشكور صيغتا مبالغة . ومنه قوله تعالى " وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَعَوَاصٍ " ^(٣) العوَص : الدخول تحت الماء ، وإخراج شيء منه . والعوَص : الذى يكثر منه ذلك . ^(٤) ومنه قوله تعالى " وَمَنْ شَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ " ^(٥) النفث : قذف الريق القليل ، وهو أقل من التفل . وقال السمين ^(٦) الحلبي : " النفاثات " جمع نفاثة مثال مبالغة من نفث أى : نفخ ، واختلف فيه فقال أبو الفضل : شبه النفخ من الفم فى الرقية ، ولا شيء معه فإذا كان بريق فهو التفل .

ومنه قوله تعالى " مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ " ^(٧) أى : الشيطان الذى يخنس أى : ينقبض إذا ذكر الله تعالى . وقال صاحب الدر : ^(٨) الخناس " أى : الرجاع لأنه إذا ذكر الله خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس . إلى غير ذلك من الآيات التى وردت على صيغة فَعَالٍ "

^(١) إبراهيم / ٥ .

^(٢) انظر البحر ٤٠٦/٥ .

^(٣) ص / ٣٧ .

^(٤) انظر مختصر الطبرى ص ٥١٦ .

^(٥) الفلق / ٤ .

^(٦) انظر الدر ٥٩٢/٦ .

^(٧) النمل / ٤ .

^(٨) انظر الدر ٥٩٣/٦ .

وأما : فعال " بضم الفاء وفتح العين بالتخفيف والتشديد نحو :
عجاب وكبار قال تعالى "إن هذا لشيء عجاب" ^(١) وقال " ومكروا
مكرا كبيرا " ^(٢) قال المعري في اللامع العزیزی ^(٣) : "فعل" إذا أريد
به المبالغة نقل إلى "فعال" وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا : "فعال"
ذلك من عجيب وعجاب وعجاب ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي :
"إن هذا لشيء عجاب " بالتشديد ، وقالوا : طویل وطوال وطوال .
ويقال : نسب قريب وقراب ، وهو أبلغ ، قال الحارث بن ظالم :

وكننت إذا رأيت بنی لؤی عرفت الود والنسب القرابا . ^(٤)
وفى قوله تعالى " مكروا مكرا كبيرا " ^(٥) فى المفردات : الکبار أبلغ
من الكبير والکبار أبلغ من ذلك . وفى الكشف : ^(٦) الکبار أبلغ من
الکبير ، والکبار : أكبر من الکبار
ونحوه : طوال وطوال . وفى البحر : ^(٧) قرأ الجمهور "كبارا" وهو
بناء فيه مبالغة كثير ، قال عيسى بن عمر : هى لغة يمانية ، وعليها
قول الشاعر :
والمرء يلحقه بفتیان الندى خلق الکرام وليس بالوضاء .

^(١) ص / ٥ .

^(٢) نوح / ٢٢ .

^(٣) انظر الريحان ٥١٣/٢ .

^(٤) من الوافر وانظر الريحان ٥١٤/٢ .

^(٥) نوح / ٢٢ .

^(٦) انظر الكشف ٦١٩/٤ .

^(٧) انظر البحر ٣٤١/٨ .

وقال صاحب الدر المصون ^(١) : قوله "كَبَاراً" العامة على ضم الكاف وتشديد الباء وهو بناء مبالغة أبلغ من "كَبَار" بالضم والتخفيف قال عيسى : وهى لغة يمانية أنشد :

والمرءُ يَلْحِقُهُ بِفَتَيَانِ النَّدَى خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْسَ بِالْوَضَاعِ . ^(٢)

وقال آخر :

بَيِّضَاءُ تَصْنُطَادُ الْقُلُوبَ وَتُسْتَبَى بِالْحُسْنِ قَلْبَ الْمُسْلِمِ الْفَرَّاءِ . ^(٣)

ويقال : رجل طَوَالٌ وَحَمَالٌ وَحُسَانٌ ، وقرأ عيسى وأبو السَّمَالِ وابن محيص بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة أيضاً دون الأول ، وقرأ زيد بن على وابن محيص أيضاً بكسر الكاف وتخفيف الباء قال أبو بكر : هو جمع كبير كأنه مَكْرَا "مكان ذنوب أو أفاعيل يعنى فلذلك جعل وصفه بالجمع . ^(٤)

وقال السمين ^(٥) الحلبي فى قوله تعالى " إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ " ^(٦) قوله "عَجَابٌ" مبالغة فى عجيب كقولهم : رجل طَوَالٌ وَأَمَزٌ سُرَاعُ فهِمَا أبلغ من طويل وسريع . وعلى السلمى وعيسى وابن مقسم "عَجَابٌ" بتشديد الجيم وهى أبلغ مما قبلها فهى مثل : رجل كَرِيمٌ وَكُرَامٌ بالتخفيف وَكُرَامٌ بالتشديد . قال مقاتل وعُجَابٌ يعنى بالتخفيف لغة أزد شنوعة .

^(١) انظر الدر المصون ٣٨٥/٦ .

^(٢) من الكامل - لأبي صفة الديبرى - وأنظر الخصائص ٢٦٦/٣ اغتصب ٢٣٠/٢ القرطى

١٩٨/١٨ روح المعاني ٩٥/٢٩ البحر ٣٤١/٨ اللسان "وضاً" الدر المصون ٣٨٥/٦ .

^(٣) من الكامل - لأبي صفة الديبرى . وأنظر اللسان "قراً" والبحر ٣٤١/٨ ، تفسير القرطى

١٩٨/١٨ روح المعاني ٩٥/٢٩ الدر المصون ٣٨٥/٦ .

^(٤) انظر الدر المصون ٣٨٥/٦ .

^(٥) انظر الدر المصون ٥٢٥/٥ .

^(٦) ص ٥٠ .

وهذه القراءة أعنى بالتشديد كقوله " ومكروا مكرا كبيرا ، وهو أبلغ من كبار وكبار أبلغ من كبير .

ما جاء على فعول

وأما فعول ، كغفور ، وشكور / وودود فمنه قوله تعالى "إن الإنسان لظوم كفار ^(١)

وقوله تعالى فى نوح : إنه كان عبدا شكورا . ^(٢)

ويقول الزركشى فى ^(٣) البرهان : " وقد أطربنى قوله تعالى " وقليل من عبادى الشكور " ^(٤) فقلت: الحمد لله الذى ما قال : الشاكر . فإن قبل : قوله تعالى " إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا " ^(٥) فكيف غير بين الصفتين وجعل المبالغة من جانب الكفران ؟ قلت : هذا سألته الصاحب بن عباد للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى فأجاب بأن نعم الله على عباده كثيرة، وكل شكر يأتى فى مقابلتها قليل وكل كفر يأتى فى مقابلتها عظيم فجاء شكر بلفظ "فاعل" وجاء كفور بلفظ "فعول" على وجه المبالغة فتهلل وجه الصاحب .

ومما ورد على على صيغة "فعول" قوله تعالى " قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا " ^(٦) فى الكشاف ^(٧) البغى الفاجرة التى تبغى الرجال ، وهى "فعول" عند المبرد فأدغمت الواو فى الياء . وقال ابن جنى فى كتاب "التمام" هى فعيل ، ولو كانت

^(١) إبراهيم / ٣٤ .

^(٢) الإسراء / ٣ .

^(٣) البرهان ٥١٤/٢ .

^(٤) سبأ / ١٣ .

^(٥) الإنسان / ٣ .

^(٦) مريم / ٢٠ .

^(٧) انظر الكشاف ١٠/٣ .

فعولا "القيـل : بغو ، كما قيل : فلان ينهو عن المنكر . وفى
العبرى :^(١) لام الكلمة ياء ، يقال بغث تبغى ز وفى وزنه
وجهان : أحدهما : هو فعول ... ولذلك لم تلحق تاء التانيث : كما لم
تلحق فى امرأة صبور وشكور .
والثانى : هو فعيل بمعنى فاعل ، ولم تلحق التاء أيضا للمبالغة ،
وقيل : لم تلحق لأنه على النسب مثل طالق وحائض . وفى البحر :
(٢) وقيل : البغى . بمعنى فعول كعين كحيل ، أى : مبيغة بطلبها
أمثالها . وفى الدر المصون :^(٣) قوله : " بغيا " فى وزنه قولان :
أحدهما - وهو قول المبرد : أن وزنه فعول ، والأصل : بغوى ،
والأصل : بعومى فاجتمعت الياء والواو ففعل فيه ما هو معروف قال
أبو البقاء : ولذلك لم تلحق تاء التانيث كما لم تلحق فى : صبور
وشكور . ونقل الزمخشري عن أبى الفتح : أنها فعيل ، قال : ولو
كانت فعولا لقبـل : بغو كما يقال : نهو عن المنكر ولم يعقبه بنكير ،
ومن قال : أنها فعيل ، فهل هى بمعنى فاعل ؟ أو بمعنى مفعول ؟
فإن كانت بمعنى فاعل فينبغى أن تكون بتاء التانيث نحو امرأة قديرة
وبصيرة وقد أجيب عن ذلك بأنها بمعنى النسب كحائض "وطالق" أى
: ذات بغى . وقال أبو البقاء : حين جعلها بمعنى فاعل : ولم تلحق
التاء أيضا ، لأنها للمبالغة " فجعل العلة فى عدم اللحاق كونه
للمبالغة . وليس بشيء . وإن قيل : بأن بمعنى مفعول فعدم التاء
واضح .

(١) انظر العبرى ٥٩/٢ .

(٢) انظر البحر ١٨١/٦ .

(٣) انظر الدر المصون ٤٩٧/٤ .

ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى " إن الله يبشرك بيحيى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا " ^(١) فى المفردات : ^(٢) الحصور : الذى لا يأتى النساء ، إمّا من العنة ، وإمّا من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة . والثانى أظهر فى الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة وفى الكشف : ^(٣) الحصور : الذى لا يقرب النساء ، حصراً لنفسه ، أى : منعاً لها من الشهوات وقيل : هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر فاستعبر لمن لا يدخل فى اللعب واللهو وفى السمين ^(٤) الحلبى الحصور فعول للمبالغة مَحَوَّلٌ من " حاصر " كضروب فى قوله : ضروب بنصل السيف ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا " ^(٥) فى المفردات : ^(٦)

ذَلَّتِ الدَّابَّةُ بَعْدَ شِمَاسِ ذَلَا ، وهى ذلول ، أى : ليست بصعبة وفى البحر : ^(٧)

الذلول : فَعُولٌ للمبالغة أى : مَذْلُولَةٌ فهى كركوب وخُلُوب / قاله ابن عطية : وليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر يتعدى بالهمزة وبالتضعيف .

^(١) العرمان / ٣٩ .

^(٢) انظر مفردات الراغب ص ١٢٨ .

^(٣) امطر الكشف / ١/ ٢٦٠ البحر ٤٤٨/٢ .

^(٤) انظر الدر المصون / ٨٥/٢ .

^(٥) الملك / ١٥ ،

^(٦) انظر المفردات ص ١٨٥ .

^(٧) انظر البحر / ٨/ ٣٠٠ .

وقال صاحب الدر : ^(١) "وذلول" فعول للمبالغة من ذل يذل فهو ذال تقول : دابة ذلول بينه الذل بالكسر ، ورجل ذلول : بين الذل بالضم وقال ابن عطية ذلول فعول بمعنى مفعول أى : مذلولة فهي كركوب وحلوب الشيخ : وليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر وإنما تعدى بالهمزة أو بالتضعيف .

ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى "قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً" ^(٢) فى الكشف : ^(٣) زهق الباطل : ذهب وهلك زهوقاً " كان مضحلاً غير ثابت فى كل وقت . وفى السمين الحلى : ^(٤) والزهق : الذهاب والاضحلال قال :

ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها إقدامه فى مزالة لم تزهق . ^(٥)
يقال : زهقت نفسه تزهق زهوقاً بالضم ، وأما الزهوق - بالفتح - فمثال

مبالغة كقوله :

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ^(٦)
ومما ورد على صيغة فعول " للمبالغة قوله تعالى " إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً " ^(٧)

فى المفردات : ورجل فاخر وفخور وفخير على التكرير ^(٨)

^(١) انظر الدر المصون ٣٤٥/٦ .

^(٢) الإسراء / ٨١ .

^(٣) الكشف ٦٨٩/١ .

^(٤) انظر الدر المصون ٤١٥/٤ .

^(٥) من الكامل من شواهد البحر ٦٨/٦ والدر ٤١٥/٤ .

^(٦) سبق ترجمه ص ٢٧ .

^(٧) النساء / ٣٦ .

^(٨) انظر المفردات ص ٣٧٦ .

وفى الدر المصون : ^(١) "والمختال" : الثَّيَاهُ الجهول والمختال :
 اسم فاعل من اختال يخال أى : تكبر وأعجب بنفسه ، وألفه عن ياء
 لقولهم : الخيلاء والمخيلة . والفخر : عَدَّ مناقب الإنسان ومحاسنة ،
 وفخور صيغة مبالغة .
 ومثله قوله تعالى " ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ رَبَّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ " ^(٢) فى
 الكشف : ^(٣) ودود : عظيم الرحمة للتائبين ، فاعل بهم ما يفعل بليغ
 المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال . وقال صاحب الدر : ^(٤)
 والودودُ : بناء مبالغة من وَدَّ الشَّيْءُ يُوَدُّهُ وَدًّا ووداداً وودادة ، أى :
 أحبه وأثره ، والمشهور ، وَدَّ " بكسر العين وسمع الكسلى : وَدَّتُ
 وَالْوَدُّودُ بمعنى : فاعل أى يُوَدُّ عبادَه يَرْحَمُهُمْ . وقيل : بمعنى
 مَقْبُول / بمعنى : أن عباده يحبونه وَيُؤَادِدُنْ أوليائه . فهو بمنزلة
 المواد مجازاً ومثله قوله تعالى " إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ " ^(٥) فى
 المفردات : ^(٦) أى : كفور لنعمته من قولهم :
 أرض كنود ، إذا لم تنبت شيئاً " وفى الكشف : ^(٧) الكنود :
 الكفور .

^(١) انظر الدر المصون ٣٦٢/٢ .

^(٢) هود / ٩٠ .

^(٣) انظر الكشف ٤٢٢/٢ .

^(٤) انظر الدر المصون ١٢٥/٤ .

^(٥) العاديات / ٦ .

^(٦) انظر المفردات ص ٤٤٤ .

^(٧) انظر الكشف ٧٨٨/٤ .

وفى السمين الحلبى ^(١) الكنود والجود وقيل : الكفور للنعمة
وعن ابن عباس : هو بلسان كئدة وحضر موت : العاصى ، وبلسان
ربيعة ومضر : الكفور ، وبلسان كنانة البخيل .
إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمات على صيغة
فُعول للمبالغة نحو قوله تعالى " إن الإنسان خلق هلوعا " ^(٢) فى
الكشاف : ^(٣) الهلع ، سرعة الجزع عند مس المكروه ، وسرعة
المنع عند مس الخير . وقوله تعالى " وإذا مسه الشر كان يئوسا " ^(٤)
فى الكشاف : ^(٥) " شديد البأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة
المسلوبة ، قاطعا رجاءه عن سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم
لقضائه والاسترجاع وقوله تعالى " إن الله بالناس لرعوف رحيم " ^(٦)
فى البحر : ^(٧) الرأفة والرحمة متقاربان فى المعنى . وقيل الرأفة
أشد من الرحمة . واسم الفاعل جاء للمبالغة على "فُعول" كضروب .

ما جاء على مفعال

ومما ورد على صيغة مفعال " قوله تعالى " وأرسلنا السماء عليهم
عليهم مدرارا " ^(٨) " فى المفردات " ^(٩) المدرار : المغزار وفى البحر :

^(١) انظر الدر المنثور ٦/ ٥٦٠ .

^(٢) المارج / ١٩ .

^(٣) انظر الكشاف ٤/ ٦١٢ .

^(٤) الإسراء / ٨٣ .

^(٥) انظر الكشاف ٢/ ٣٨١ .

^(٦) البقرة / ١٤٣ .

^(٧) انظر البحر ٦/ ٤١٨ .

^(٨) الأنعام / ٦ .

^(٩) انظر المفردات : ١٧٣ .

(١) المدارار : المتتابع ، يقال : مطر مدارار ، وعطاء مدارار وهو فى المطر أكثر . ومدارار مفعال من الدر للمبالغة كمذكار ومقتات ومهذار للكثير ذلك منه . وفى الكشف : (٢) المدارار : الكثير الدور ، مفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتقال . وفى السمين الحلبى : (٣) ومدارار : مفعال ، وهو للمبالغة كامرأة مذكار ومئنث ، قالوا : وأصله من در اللبن ، وهو كثرة وروده على الحالب .

ومثله قوله تعالى " إن جهنم كانت مرصادا " (٤) فى المفردات : (٥) المرصد : موضع الرصد والمرصاد نحوه ، لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد . وفى البحر : (٦) مرصاد : مفعال من الرصد ترصد من حيث حقت عليه كلمة العذاب وقال مقاتل : مجلسا للأعداء ، وممرا للأولياء ومفعال للمذكر والمؤنث بغير تاء ، وفيه معنى النسب ، أى : ذات رصد ، وكل ما جاء من الأخبار والصفات على معنى النسب فيه التكثر واللزوم .

ومثله قوله تعالى " إن ربك لبالمرصاد " (٧) فى السمين الحلبى (٨) المرصاد كالمرصد : وهو المكان الذى يترتب فيه الرصد " جمع راصد كحرس ، فالمرصاد مفعال من رصده كميقات من وقته قاله

(١) انظر البحر ٦٦/٤ .

(٢) انظر الكشف ١٦٢/٤ .

(٣) انظر الدر المصون ١٢/٣ .

(٤) انبأ / ٢١ .

(٥) انظر للمفردات ص ٢٠٢ .

(٦) انظر البحر ٤١٣/٨ .

(٧) الفجر / ١٤ .

(٨) انظر الدر المصون ٥٢٠/٦ .

الزمخشري وجوز ابن عطية في المِرْصَاد : ان يكون اسم فاعل
قال : كأنه قيل : لبالمرصاد فعبّر ببناء المبالغة .

ما جاء على فَعِيل

وأما فَعِيل " فعند النحاة من صيغ المبالغة والتكرار ، كرحيم ، وسميع
وقدير ، وخبير وحفيظ ، وحكيم ، وحليم ، وعليم ، فإنه محوّل عن
"فاعل بالنسبة ، وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به ، بدليل
قولهم : قَتِل وجريح والقتل لا يتفاوت وقد يجئ في معنى الجمع ^(١)
كقوله تعالى " وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا " ^(٢) وقوله " وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِير " ^(٣) وقوله تعالى " وَخَلَصُوا نَجِيًّا " ^(٤) وغير ذلك . ومن المشكل
:" وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا " ^(٥) فإن النفي متوجه على الخبر وهو صيغة
مبالغة ، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل ، فلا يلزم نفي
أصل النسيان وهو كالسؤال الماضي في " ظَلَمَ للعبيد " ويجب عنه
بما مضى من الأجوبة ويختص هذا بجواب آخر ، وهو مناسبة رعوس
الآي قبله ^(٦) .

ومما ورد على صيغة فَعِيل " قَوْلُهُ تَعَالَى " وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين " ^(٧)
للمبالغة ، أي : أمن فيه من دخله ، أو من أمن الرجل أمانة فهو

^(١) انظر البرهان ٥١٠/٢ .

^(٢) النساء / ٦٩ .

^(٣) التحريم / ٤ .

^(٤) يوسف / ٨٠ .

^(٥) انظر البرهان ٥١٠/٢ .

^(٦) أنظر البحر ٤٩٠/٨ .

^(٧) البقرة / ١١٩ .

أمين ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول لأنه مأمون الغوائل^(١). وفي الدر المصون^(٢). قوله " الأمين هذا فعيل للمبالغة أى : أمن فيه من دخله ، ومن دخله من إنس وطير وحيوان ، ويجوز أن يكون من أمن الرجل - بضم الميم أمانة فهو أمين ، وأمانته حفظه من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل.

ومما ورد على صيغة فعيل قوله تعالى " إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ^(٣) في البحر : (٤) عدل إلى "فعيل" للمبالغة لأن "فعيلا" من صفات السجايا ، والعدل فى "بشير" للمبالغة مقيس عند سيبويه ، إذا جعلناه من بشر ، لأنهم قالوا بشر مخففا ، وليس مقيسا فى "نذير" لأنه من "أنذر" ، ولعل "محسن" العدل فيه كونه معظوظا على ما يجوز ذلك فيه ، لأنه قد يسوغ فى الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت ويقول صاحب الدر^(٥) وبشير ونذير على صيغة "فعيل" أما بشير فتقول : هو من بشر مخففا لأنه مسموع فيه ، وفعل مطرد من الثلاثى ، وأما "نذير" فمن الرباعى ، ولا ينقاس عدل مفعل إلى فعيل ، إلا أن له هنا محسنا .

ومما جاء على صيغة فعيل "فى كتاب الله عز وجل" قوله تعالى : "فأرند بصيرا" ^(٦)

(١) مرص / ٦٤

(٢) التين / ٣

(٣) انظر البحر ٨ / ٤٩٠ .

(٤) انظر الدر المصون ٦ / ٥٤٣ .

(٥) انظر الدر ١ / ٣٥٦ .

(٦) يوسف / ٦٩ .

فى الدر المصون :^(١) "بصير" من بصر بالشئ ٤ ، كظريف من ظرف وقيل : هو مثال مبالغة كـ "عليم" وفيه دلالة على أنه لم يذهب بصره بالكلية . وفى البحر "فعل" هنا ليس للمبالغة ، إذ فعيل الذو هو للمبالغة هو معدول عن "فاعل" لهذا المعنى ، وأما "بصير" هنا فهو اسم فاعل من بصر بالشئ ٤ ، فهو جار على قياس "فعل" كظرف ، ولو كان كما زعم بمعنى مبصر لم يكن للمبالغة لأن "فعيلا" بمعنى مفعول ليس للمبالغة ، نحو : أليم وسميع "

ومما ورد على صيغة "فعل" قوله تعالى "وكفى بالله حسيبا" (٢) أى : كافيا فى الشهادة عليكم ، ومعناه : محسبا من أحسبني كذا ، أى : كفاى ، فيكون "فعيلا" بمعنى "مفعول" أو محاسبا أو حاسبا لأعمالكم يجاز بكم بها ، وحسب فعيل بمعنى مفاعل كجليس وخليط ، أو بمعنى "فاعل" حول للمبالغة فى الحسبان . وكذلك قوله تعالى "إن الله كان عليما خبيرا" (٣) فى المفردات : (٤) خبير أى : عالم بأخبار أعمالكم وقيل : أى عالم ببواطن أموركم وقيل : خبير بمعنى مخبر وفى البحر^(٥) "خبير" للمبالغة وهو العلم بما لطف والتقضى له .

ومما ورد على فعيل للمبالغة قوله تعالى "ولا تكن للخائنين خصيما" (٦) قال صاحب الدر : (٧) "وخصيم" يجوز أن يكون مثال مبالغة كضرب ، وأن يكون بمعنى مفعال نحو : خليط وجليس بمعنى

(١) انظر الدر ٢١٥/٤ .

(٢) انظر البحر / ٣٤٦ .

(٣) النساء / ٦٠ .

(٤) انظر المفردات ص ١٤٨ .

(٥) انظر البحر ١٧٤/٣ .

(٦) النساء / ١٠٥ .

(٧) انظر الدر المصون ٤٢٤/٢ .

مخاصم ومخالط ومجالس . وفى المفردات : ^(١) "الخصيم"
الكثير المخاصمة "فإذا هو خصيم مبين" وفى البحر : ^(٢)
الخصيم من صفات المبالغة من خصم ، بمعنى : اختصم ، أو
بمعنى : مخاصم كالخليط والجليس .
ومثله قوله تعالى " إن الله كان توأبا رحيمًا " ^(٣) فى العكبرى : ^(٤)
الرحمن من أبنية المبالغة وفى الرحيم مبالغة أيضا إلا أن فعلا أبلغ
من فعيل وفى البحر ^(٥) : الرحيم من أبنية المبالغة . ومثله قوله تعالى "
رفيع الدرجات ذو العرش " ^(٦) فى البحر : ^(٧) احتمل أن يكون "رفيع"
للمبالغة على "فعيل" من رافع فيكون الدرجات مفعولة أى : رافع
درجات المؤمنين ومنازلهم فى الجنة ، واحتمل أن يمون " رفيع "
فعيلا من رفع الشيء : علا فهو رفيع ، فيكون من باب الصفة
المشبهة . وفى الدر المصون : ^(٨) ولا يجوز أن يكون " ذو العوس "
صفة لـ " رفيع الدرجات " إن جعلناه صفة مشبهة أما إذا جعلناه
مثال مبالغة أى : يرفع درجات المؤمنين فيجوز ذلك على أن تجعل
إضافته محضة وكذلك عند من يجوز تمحض إضافة الصفة المشبهة
أيضا .

^(١) انظر المفردات ص ١٥٦ .

^(٢) انظر البحر ٤٧٤/٥ .

^(٣) النساء / ١٦ .

^(٤) انظر العبرى ٣/١ .

^(٥) انظر البحر ١٥/١

^(٦) غافر / ١٥

^(٧) تنظر البحر ٤٥٤/٧ - ٤٥٥ والكشاف ١٥٦/٤

^(٨) الدر المصون ٣٣/٦ .

ومما جاء على صيغة "فعليل" للمبالغة قوله تعالى "إن الله كان عليكم رقيباً" (١) "فى البحر" (٢)

الرقيب : فعيل : للمبالغة ، من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا : أحد النظر (إلى أمر ليحققه على ما هو عليه ويقترن به الحفظ . وقال السمين الحلبي : (٣) والرقيب : فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه واستعماله فى صفات الله تعالى بمعنى الحفيظ قال :

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد . (٤)

ومثله قوله تعالى "ويكون الرسول عليكم شهيدا" (ه) فى البحر لفظ شهيد (٦) " للمبالغة وكأنهم أمروا أن يستشهدوا من كثرت منه الشهادة ، فهو عالم بمواقع الشهادة وما يشهد فيه لتكرير ذلك منه فأمرؤا بطلب الأكمل . وفى الدر المصون : (٧) "وشهيد" يدل على المبالغة .

ومن الصيغ التى وردت على "فعليل" قوله تعالى "ولم يكن جبارا عصيا" (٨) " أى : عاصيا ، كثير العصيان ، وأصله : "فعلول" للمبالغة ويحتمل أن يكون "فعيلا" وهى من صيغ المبالغة " (٧) ومثله قوله تعالى "إن الله كان عليما حكيما" (٨)

(١) النساء / ١ .

(٢) انظر البحر ١٥٠/٣ .

(٣) انظر الدر المصون ٢٩٧/٢ .

(٤) لأبى ذؤاد الإبادى وانظر تفسير الطبرى ٥٢٤/٧ مجاز القرآن ١١٣/١ الدر المصون ٢٩٧/٢ .

(٥) البقرة / ١٤٣ .

(٦) انظر البحر ٣٤٥/٢ .

(٧) انظر الدر المصون ٣٩٣/١ .

فى البحر : (١) "علیم" قد ذكرنا أنه من أمثلة المبالغة . وقد وصف الله تعالى نفسه بعالم وعلیم وعالم ، وهذان للمبالغة وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة فى علامة ، ولا يجوز وصفه به تعالى .

ومما جاء على صيغة "فعل" ، للمبالغة قوله تعالى : "وَابْتِضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (٢) فى البحر : (٣) الكظيم "إما" للمبالغة ، وهو الظاهر الثلاثى بحال يعقوب أى : شديد الكظم كما قال : و "الكاظمين الغيظ" ولم يشك يعقوب إلى أحد ، وإنما كان يكتمه فى نفسه ويمسكهما فى صدره فكان يكظمه أى : يرده إلى قلبه ، ولا يرسله بالشكوى ، وإما أن يكون "فعيلاً" بمعنى مفعول ، وهو لا ينقاس . وقال صلح الدر (٤) و "وكظيم" يجوز أن يكون مبالغة بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، كقوله : وهو مظلوم ، وبه فسر الزمخشري (٥) ومثله قوله تعالى "وإن يدعُونَ إلا شَيْطَانًا مَرِيدًا" (٦) فى النهر : (٧) "مريداً" فعيل للمبالغة فى اسم الفاعل الذى هو ما رد من مرد أى : عنا وعلا فى الحذافة وتجرد للشر والغواية . وفى السمين الحلبى :

(١) مرجع / ١٤ .

(٢) انظر البحر ١٧٧/٦ .

(٣) يوسف / ٨٤ .

(٤) انظر البحر ٣٣٨/٥ .

(٥) انظر الدر المصون ٢٠٩/٤ والقرطبي ١٦٣/٩ .

(٦) انظر الكشف ٣٣٩/٢ .

(٧) النساء / ١١٨ .

(٨) النهر ٣٥١/٣ .

(٨) و "مريداً" فعيل من "مرد" أى : تجرد للشر ومنه : شجرة مرداء أى : تثائر ورقها ومنه : الأمرد لتجرد وجهه من الشعر ، والصرح الممرد الذى لا يعلوه غيار من ذلك .
ومثله قوله تعالى " وإجعل من لدنك سلطانا نصيرا " (١) "تصير" مبالغة ناصر ، وقيل : "فعيل" بمعنى مفعول أى : منصور . (٢) وفى الدر المصون : (٣) "ونصيرا" يجوز أن يكون محولا من فاعل للمبالغة ، وأن يكون بمعنى مفعول . إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها كلمات على وزن "فعيل" للمبالغة .

ما جاء على فعيل

ومما ورد فى كتاب الله عز وجل على صيغة " فعيل" للمبالغة قوله تعالى " وأمهٌ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ " (٤) فى المفردات : (٥) الصَّدِيقُ : من كثر منه الصدق . وقيل : بل يقال : لمن لا يكذب قط ... وقيل : لمن صدق بقوله واعتقاده ، وحقق صدقة بفعله .
وفى الكشاف : (٦) الصَّدِيقُونَ : أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كآبى بكر الصديق رضى الله عنه - وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم .

وفى الدر المصون : (٧) "وصديقه" تأنيث "صديق" وهو بناء مبالغة كـ "فَعَالٌ" و "فَعُولٌ" إلا أنه لا يعمل عمل أمثلة المبالغة فلا يقال : زيد

(٨) انظر الدر المصون ٤٢٧/٢ .

(١) الإسراء / ٨٠ .

(٢) انظر البحر ١٢٢/٨ .

(٣) انظر الدر المصون ٤١٥/٤ .

(٤) المائدة / ٧٥ .

(٥) انظر المفردات ص ٢٨٠ .

(٦) انظر الكشاف ٥٣٠/٣ .

(٧) انظر الدر المصون ٥٨٤/٢ .

شَرِيبُ الْعَسَلِ " وإن كان القياس إعماله وهل هو من " صَدَقَ " الثلاثي " أو من صَدَقَ مضعفاً ؟ القياس يقتضى الأول ، لأن أمثلة المبالغة تطرد من الثلاثي دون الرباعي ، فإنه لم يجيء منه إلا القليل . وقال الزمخشري . أنه من التصديق وكذا ابن عطية ، إلا أنه جعله محتملاً . وهذا واضح لقوله :

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا " فقد صَرَّحَ بالفعل المسند إليها مضعفاً .
ومما جاء على صيغة فَعِيلٍ قوله تعالى " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرُهْبَانًا " ^(١) في المفردات : الْقَيْسَ وَالْقَيْسَى : الْعَالَمُ الْعَابِدُ مِنْ رِعْوُسِ النَّصَارَى ، وَأَصْلُ الْقَيْسِ تَتَبَعَ الشَّيْءَ وَطَلَبَهُ بِاللَّيْلِ يُقَالُ : تَقَسَّسْتُ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّيْلِ أَيْ : تَتَبَعْتُهَا وَفِي الْبَحْرِ : ^(٢) الْقَيْسُ : بَفَتْحِ الْقَافِ - تَتَبَعَ الشَّيْءَ وَقَسَّيْسَ عَلَى فَعِيلٍ وَهُوَ مِثَالُ مَبَالِغَةِ كَيْ صَدِيقٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ .

ويقال : قَيْسُ الْأَثَرِ : وَقِصَّةٌ أَيْضاً . وَالْقَيْسُ : رَئِيسُ النَّصَارَى فَيُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَجَمْعُهُ :

قُسُوسٌ سُمِّيَ بِالمصدر لَتَتَبَعَهُ الْعِلْمُ وَالدِّينُ وَكَذَلِكَ الْقَيْسِيُّ ، وَزَعَمَ ابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّ الْقَيْسَ : بَفَتْحِ الْقَافِ وَكسرها - وَالْقَيْسِيُّ اسْمُ أَعْجَمِيٍّ عَرَبٍ . وَفِي سَبِيحِيَّةٍ : ^(٣) وَأَمَّا الْفَعِيلُ فَنَحْوُ : الشَّرِيبِ وَالْفَسْيِيقِ نَقُولُ : شَرِيبُونَ "فَسْيِقُونَ"

^(١) المائدة / ٨٢ .

^(٢) انظر البحر ٣/٤ .

^(٣) انظر الكتاب ٢١٠/٢ .

ومثله قوله تعالى "يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَقْبَيْنَا" ^(١) في الكشف
أى أيها البليغ في الصديق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف
صدقه فى ^(٢) أى : تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول .
وفى السمين الحلبي : ^(٣) و "الصديق" بناء مبالغة كالشريب .
ومثله قوله تعالى "أولئك هم الصديقون" ^(٤) قال صاحب الدر
المصون : ^(٥) والصديق "مثال مبالغة ولا يجيء إلا من ثلاثي غالبا ،
قال بعضهم : وقد جاء كمسيك من أمسك ، وهو غلط ، لأنه يقال :
مسك ثلاثيا فمسيك منه .

ما جاء على فَعِل

ومما ورد فى كتاب الله عز وجل على صيغة "فَعِل" قوله تعالى :
وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ^(٦)

فى النشر : ^(٧) "واختلفوا فى "حاذرون" فقرأ الكوفيون وابن ذكوان
بألف بعد الحاء ... وقرأ الباكون بغير ألف "وفى البحر : ^(٨) وقرأ
بألف السبعة "حذرون" من غير ألف وهو المتيقظ ... وقال أبو
عبيدة: رجل حاذر ، وحذر ، وحذر بمعنى واحد وذهب سيبويه إلى أن

^(١) يوسف / ٣٦ .

^(٢) انظر الكشف ٣٢٤/٢ القرطبي ١٣٣/٩ .

^(٣) انظر الدر المصون ١٨٩/٤ .

^(٤) الحديد / ١٩ .

^(٥) انظر الدر المصون ٢٧٨/٦ .

^(٦) الشعراء / ٥٦ .

^(٧) انظر النشر ٣٣٥/٢ .

^(٨) انظر البحر ١٨/٧ .

"حذراً" يكون للمبالغة ، وأنه يعمل كما يعمل حاذر فينصب
المفعول به ... وقد نوزع في ذلك . ويقول صاحب الدر المصون (١):
قوله "حذرون" قرأ الكوفيون وابن ذكوان "حاذرون" بألف والباءون
"حذرون" بدونها فقال أبو عبيدة : هما واحد يقال : رجل حذِرٌ وحَذِرٌ
وحَاذِرٌ بمعنى .

وقيل : بل بينهما فرقُ فالْحَذَرُ المتيقظ والحاذر الخائف وقيل : الحَذِرُ
المخلوقُ مَجْبُولٌ على الحَذَرِ والحاذِرُ ما عرض فيه ذلك وقيل : الحَذِرُ
المُتَسَلِّحُ أى : له شوكة سلاح . وأنشد سيبويه في إعمال حَذِرٌ على
أنه مِثَالُ مَبَالِغَةٍ مَحْوُلٌ من حاذر

حَذِرُ أَمْوَرًا لَا تُضِيرُ وَأَمِنْ ما ليس مُنْجِيَةً من الأقدار . (٢)
وقد زعم بعضهم أن سيبويه لما سأل هل يحفظ شيئاً في إعمال فَعِلٌ
صنع له هذا البيت فعيب على سيبويه كيف يأخذ الشواهد الموضوعّة
. وهذا غلط فإن هذا الشخص قد أقرّ على نفسه بالكذب فلا يقدح
قوله في سيبويه والذي أدعى أنه صنع البيت هو الأخفش
وحذِر يتعدى بنفسه قال تعالى " يحذر الآخرة " وقال العباسُ بن
مِرْدَاس :

وإِنِّي حَازِرٌ أُنْمِي سِلَاحِي إلى أَوْصَالِ ذِيَالِ مَتَبِ . (٣)
وقرأ ابن السميع وابن أبي عمّار "حاذرون" بالبدال المهملة من
قولهم: وعين حذره عظيمة وقيل : الحادر القوى الممتلئ وحكى :
رجل حاور أى : ممتلئ غيظاً

(١) انظر الدر المصون ٢٧٣/٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٣) انظر الدر المصون ٢٧٤/٥ .

ورجل حادر أى : أحق كأنه ممتلئ من الحمق قال الشاعر :

أحب الغلام السوء من أجل أمه وابغضه من بغضها وهو حادر^(١).

ويقال أيضاً : رحيل حذر بزنه يقط مبالغة فى حادر .

وفى البرهان للزركشى : (٢) وأما فعل فكقوله تعالى : " وإنا لجميع حاذرون " (٣) وقوله تعالى

" كذاب أثير " (٤) قرن فعلاً بفعل " وفى الدر المصون : (٥) " الأثير " البطر يقال :

أثير يأثير أثيراً فهو أثير ، كقرح ، وآثير كضارب ، وأثيران كسكران ، وأثارى كسكارى . ومما ورد على صيغة فعل قوله تعالى

" بل هم قوم خصمون " (٦) فى الكشف : (٧)

لد شداد الخصومة . وفى البحر : (٨) شديد الخصومة واللجاج و

" فعل " من أبيئة المبالغة .

ومما ورد على صيغة " فعل " قوله تعالى : " إن شأئك هو الأثير " (٩)

فى البحر . (١٠) قرأ الجمهور شأنك وابن عباس شأنك بغير ألف .

فقليل : مقصور من شأنى ، كما قالوا : بر فى بار ويجوز أن يكون

(١) انظر البحر ١٨/٧ والدر المصون ٢٧٤/٥ .

(٢) انظر البرهان ٥١٤/٢ .

(٣) الشعراء ٥٦ .

(٤) القمر ٢٥ .

(٥) انظر الدر المصون ٢٢٩/٦ .

(٦) الزخرف ٥٨ .

(٧) انظر الكشف ٢٦٠/٤ .

(٨) انظر البحر ٢٥/٨ .

(٩) الكوثر ٣ .

(١٠) انظر البحر ٥٢٠/٨ .

بناءً على "فعل" وهو مضاف للمفعول ، إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال وإن كان بمعنى الماضي فتكون إضافية لا من نصب على مذهب البصريين ، وقد قالوا :

حَذَرُ أُمُوراً لَا تَضِيرُو آمَنَ ^(١)

أَتَانِي فِي أَنَّهُمْ مَرْفُونٌ عِرْضِي ^(٢)

فلا يستو حسن أن يكون مضافاً للمفعول .

ما جاء على فعله

ورد في البرهان للزركشي : ^(٣) وأما فَعَلَ فَيَكُونُ صِفَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى " أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ " ^(٤)

اللبد : الكثير وقوله تعالى " إِنِّهَا لِأَخْذَى الْكَبَرِ " ^(٥) ويكون مصدراً كهدى وثقى ويكون معدولاً عن أفعل من كذا كقوله تعالى " وَأَخْرُ مُنْشَاهَاتُ " ^(٦) وقوله تعالى " فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ " ^(٧) كما قال : " أَنْتُمْ لَتَنْتَهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى " ^(٨)

^(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

^(٢) سبق تخريجه ص ٣٠ .

^(٣) انظر البرهان ٥١٥/٢ .

^(٤) البلد / ٦ .

^(٥) المدثر / ٣٥ .

^(٦) آل عمران / ٧ .

^(٧) البقرة / ١٨٤ .

^(٨) الأنعام / ١٩ .

وقال السمين الحلبي ^(١) في الآية الأولى " اللبَّدة " واللبَّدة :
 لشئء المتلبَّد . أى : المترابك بعضه على بعض ومنه لبَّدة الأسد
 واللبد جمع لبود ونحو صبور وصبر وهو بناء مبالغة أيضا .
 ومما ورد على فعله " قوله تعالى " كلا لينبذن فى الحطمة . وما
 أدراك ما الحطمة " ^(٢)

فى الكشف : فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ،
 يقال للأكل : إنه لحطمه وكذلك قوله تعالى " ويل لكل همزة لمزة "
 فى المفردات ^(٣) اللمز : الاغتياب وتتبع المعاب ورجل لمار ولمزة :
 كثير اللمز . وفى الكشف : ^(٤) الهمزة : الكثير الهمز ، واللمز : الطعن
 يقال : لمزة : طعنه ، والمراد : الكسر أعراض من الناس والغض
 منهم واغتيابهم والطعن فيهم . وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه
 قد ضرى بها ، ونحوها : اللعنة والضحكة . وفى البحر : ^(٥) فعله من
 أبينة المبالغة .

ويقول ابن خالويه : ^(٦) " والهاء فى همزة دخلت للمبالغة فى اللمز ،
 كقولهم : رجل همزة لمزة أى : عيَّاب معْتَاب ورجل فروقة صخابة
 جخابة : كثير الكلام والخصومات نقاقة مهذارة ، هلباجة أى :
 الطويل الضخم الأحمق الكثير الفضول ، الكثير الأكل السيئ الأدب .
 وقال السمين الحلبي : ^(٧) همزة " أى : كثير الهمز ، وكذلك اللمز

^(١) انظر الدر المنون ٣٩٦/٦ .

^(٢) الهمة / ٤ ، ٥ .

^(٣) الهمة / ١ .

^(٤) انظر المفردات ص ٤٥٨ .

^(٥) انظر الكشف ٧٩٤/٤ - ٧٩٥ .

^(٦) انظر إعراب ثلاثين سورة ص ١٦٢ .

^(٧) انظر الدر المنون ٥٦٨/٦ .

الكثير اللمز والعامّة على فتح ميمها على أن المراد : الشخص الذي كثر ذلك الفعل قال زياد الأعجم
تُدلى بوْدَى إذا لا قيتنى كَذِباً وإن أعِيبَ فأنت الهامزُ اللمزة . (١)
وقرأ الباقر بالسكون . وهو يهمز ويلمز : أى : يأتى بما يهمز به ويلمز كالضحكة لمن يكثر الضحك والضحكة لمن يأتى بما يضحك منه وهو مطرد . أعنى أن فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل ، وبسكونها لمن يكون الفعل بسببه .
ومما ورد على "فعل" قوله تعالى "وعبد الطاغوت" (٢) فى البحر : (٣)
وقرأ عبدالله فى رواية و عبد " على وزن حطم وهو بناء مبالغة .
وفى الدر المصون : (٤) وقرأ ابن مسعود فى رواية علقمة : "وعبد الطاغوت" بضم العين وفتح الباء والدال وتوجيهها : أنه بناء مبالغة كحطم ولبد ، وهو اسم جنس مفرد يراد به الجمع .
ما جاء على فعل
ومما ورد على صيغة "فعل" فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى "عتل" بعد ذلك زعيم (٥)
فى المفردات : العتل : الأخذ بمجامع الشئ وجره بقهر كعتل البعير ، والعتل : الأكل المنوع الذى يعتل الشئ عتلا .

(١) المادة / ٦٠ .

(٢) المادة / ٦٠ .

(٣) انظر البحر ٥١٩/٣ .

(٤) انظر الدر المصون ٥٦١/٢ .

(٥) القلم / ١٣ .

وفى الكشاف: (١) عتل : غليظ جاف ، من عتله : إذا قاده بعنف
وغلظة وفى البحر : (٢) العتل : الشد يد الخصومة بالباطل .

ما جاء على فِيعُول

ومما ورد فى القرآن الكريم على صيغة فِيعُول : قوله تعالى " الله لا
إله إلا هو الحى القيوم " (٣) قيوم : وزنه : فِيعُول ، وأصله : فِئوومُ
من صيغ المبالغة (٤)

وقال السمين الحلبي : (٥) والقيوم : فِيعُول من قام بالأمر يقوم به إذا
دبره .
فال أمية : (٦)

لَم تَخْلُقِ السَّمَاءَ وَالتَّجْوُمَ وَالشَّمْسُ مَعَهَا قَمَرُ يَعُومُ
قَدْرَهُ مُهَيَّمَنُ قَيُوم وَالْحَشَرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَظِيمُ

وأصله : فِئوومُ ، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون
فقبلت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء فصار قَبُومًا . وعدَّ بعضهم
فِيعُولًا من صيغ المبالغة كضَرُوبٌ وضَرَابٌ .

ما جاء على مِيعِيل

ومما ورد على "مِيعِيل" فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى " وعلى
الذين يُطِيقُونَهُ

(١) انظر المفردات ص ٣٢٥ .

(٢) انظر الكشاف ٥٨٧/٤ .

(٣) انظر البحر ٣٠٥/٨ .

(٤) البقرة / ٢٥٥ .

(٥) انظر البحر ٢٧٧/٢ الجمل ٢٠٧/١ .

(٦) انظر الدر المنون ٦١٣/١ القرطبي ١٧٧/٣ .

فِدْيَةُ طَعَامٍ مِسْكِينَ" ^(١) وقوله تعالى " فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا " في المفردات: ^(٢) والمِسْكِين " ^(٣) هو الذى لا شىء له ، وهو أبلَغ من الفقير .

ويقول ابن خالويه : ^(٤) فَمِسْكِينٌ مَقْعِيلٌ " من السكون وهو تواضع الحال وكذلك المسكنة الذَّلَّ والخضوع . وقال بعضهم : المصدر منه تَمَسَّكَ الرجل يَتَمَسَّكُنْ تَمَسَّكُنَا فهو مِسْكِينٌ ، كما يقال ، تَمَذَّرَ الرجل يَتَمَذَّرَعُ إذا لبس المِذْرَعَةَ وتَمَذَّلَ من المنديل . قال سيبويه . امرأة مِسْكِينَةٍ شاذ كما لا يقال : امرأة مِغْطِيرَةٍ .

ها جاء على شغلى

ورد فى البرهان ^(٥) وأما فعلى فيكون اسماً ، كالشورى والرجعى قال تعالى "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ وَالرَّجْعَى" ^(٦) وقال تعالى " وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا " ^(٧) ويكون صفة كالحسنى فى تأنيث الأحسن والسوءى فى تأنيث الأسوأ ، قال تعالى " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أسَاءُوا السَّوْءُ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ "

والخلاصة من هذا المبحث وهو صيغ المبالغة فى القرآن الكريم : أن صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له

^(١) البقرة / ١٨٤ .

^(٢) الجادلة / ٤ .

^(٣) انظر إعراب ثلاثين سورة ص ١٨٦ .

^(٤) انظر البرهان للزركشى ٥١٥/٢ .

^(٥) الملق / ٨ .

^(٦) التوبة / ٤٠ .

^(٧) الروم / ١٠ .

وصفات الله متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها ، وأيضاً فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك .

وأن المبالغة فى " الرحمن والرحيم " مختلفة فمبالغة "فعلان" من حيث الامتلاء والغلبة ومبالغة "فعليل" من حيث التكرار والوقوع بمجال الرحمة ، والصحيح أن الرحمن أبلى من الرحيم ولهذا لا يجوز التسمية به ، وأنه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة ، ولأن الأدلة التى استدلت بها القائلون بأن "رحيماً" أبلى من الرحمن رُدَّ عليها بما ذكره الزمخشري فى الكشف بأنه ذكر الرحيم "ليكون ، كاللثمة والريث ليتناول ما دق منه ولطف وأن "رحماناً" الذى وسعت رحمته كل شىء فى يجوز أن يقال لغير الله رحماناً .

وأن أكثر الصيغ وقوعاً فى القرين الكريم صيغة "فَعَّالٌ" نحو غَفَّارٌ ، ومَنانٌ ، وتَوَّابٌ ، وهَبَّابٌ . وأن من المشكل قوله تعالى " وما ربك بظالم للعبيد " وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم والواقع نفيه وقد أجيب عن ذلك بأحد عشر وجهاً سبق ذكرها .

وأن مما ورد على فَعُولٌ نحو : غفور وشكور ووردود . وأن مما ورد على مِفعَالٌ نحو : مِزار ومِرْصاد ، ومما ورد على فَعِيلٌ نحو : رحيم وسميع وقدير ومما ورد على فَعِيلٌ نحو : صِدِّيق ، قِسْيَسٌ ، وقد سبق أن المجمع اللغوى القاهرى أجاز القياس على هذه الصيغة لكثرة ما ورد منها فى الاستعمال اليومى نحو ، سَكَّير ، وشَرَّيب وكان على المجمع اللغوى أن يستأنس بما ورد فى القرآن الكريم لا ماورد فى الاستعمال اليومى . وأن ابن قتيبة قد أجاز القياس عليها فى كتابه أدب الكاتب وأن ما

جاء على فَعَلَ نحو : حذر وقد سبق أن فريقاً من العلماء نازع
سيبويه في إعمال هذه الصيغة بأنها لازمة وطعنوا فيما استدل
به أبيات شعرية وسبق أن رأى سيبويه هو الصحيح لأدلة ذكرت قبلي
ذلك .

وأن ما جاء على فَعَلْ نحو : هَمَزَ لَمَزَ لِيَدُ كَبُرَ ، وأن ما جاء على
فَعَّلْ نحو : عَتَّلَ ، وأن ما جاء على فيعول نحو : قَيَّومَ ، وأن ما ورد
على مَفْعِلٍ نحو : مَسْكِينٍ وأن ما جاء على فَعَّلَى نحو : رجعى
وشورى .

وبناء على ما تقدم فيكون مجموع صيغ المبالغة الواردة في القرآن
الكريم اثنتى عشرة صيغة . ولعل هذا ما استند إليه ابن خالويه أول
البحث .



المبحث السادس

اشتراك بعض الصيغ بين المبالغة وغيرها

صيغة "فَعَالٌ" بين المبالغة والنسب

سبق القول أن أشهر أوزان المبالغة هي صيغة "فَعَالٌ" وأنها أكثر الصيغ وقوعاً في القرآن الكريم وقد تقدم التمثيل لذلك ، وأنها أكثر الصيغ استعمالاً في الأساليب نحو : ما أعظم الصديق إذا كان غير قَوَالٍ سوءاً ولا فَعَالٍ إساءة .

وهذه الصيغة مع استعمالها في المبالغة قد تكون للنسب أحياناً فهي صيغة مشتركة بين صيغ المبالغة والدلالة على النسب فقد كَثُرَ في الأساليب الفصيحة المسموعة استعمال صيغة فَعَالٍ للدلالة على "النسب" - بدلاً من يائه - وكثير هذا في الحِرَف فقالوا : حَدَادٌ لِمَنْ حِرْفَتُهُ الْحِدَادَةُ " وَتَجَارٌ لِمَنْ حِرْفَتُهُ "النجارة" وكذا : لِبَانٌ وَيَقَالُ وَعِطَارٌ ونحوها من كل منسوب إلى صناعة . والأحسن الأخذ بالرأى القائل بقياس هذا في النسب إلى الحِرَف ، لأن الكثرة الواردة منه تكفي للقياس عليه وجعلوا من استعمالها في النسب قوله تعالى " وَمَا رِبَكُ يَظْلَمُ لِلْعَبِيدِ " ^(١) أي : بمنسوب إلى الظلم ، وحجتهم أن صيغة فَعَالٍ هنا لو كانت للمبالغة وليست للنسب لكان النفي منصباً على المبالغة وحدها ، فيكون المعنى : وما ريبك بكثير الظلم ، فالمنفى هو الكثرة وحدها دون الظلم الذي ليس كثيراً . وهذا معنى فاسد ، لأن الله لا يظلم مطلقاً لا كثيراً ولا قليلاً .

ومثله قوله تعالى " وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ " ^(٢) في العكبري ^(٣) : فإن قيل : بناء فَعَالٍ " للتكثير ، ولا يلزم من نفي الظلم

^(١) نضت / ٤٦ .

^(٢) آل عمران / ١٨٢ .

^(٣) العكبري ٩٠/١ والدراسات ٥٦٨/٧ .

الكثير نفى الظلم القليل ، فلو قال : "بظالم" لكان أدل على نفى

الظلم قليله وكثيره فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن فعلاً قد جاء لا يراد به الكثرة كقول طرفه :

ولسنتُ بحلال التِّلَاع مخافة

الثانى : أن ظلاماً هنا للكثرة لأنه مقابل العباد وفى العباد كثرة فإذا

قوبل بهم الظلم كان كثيراً .

الثالث : إذا انتقى الظلم الكثير انتقى الظلم القليل ضرورة .

ووجه رابع : وهو أن يكون على معنى النسب ، أى : لا ينسب إلى

الظلم فيكون مثل بزّار وعطار .

ويقول صاحب التبيان فى تصريف الأسماء وهو يتحدث عن أن صيغة

" فعَّال " تأتى للدلالة على النسب وخلاف العلماء فى قياسية هذه

الصيغة فى النسب فيقول : تحت عنوان : "النسب بغير ياء"

للعرب منهج آخر فى النسب غير هذا المنهج الشائع المطرد وذلك

باستعمال بعض الصيغ لتدل عليه النسبة بالياء ، فقد استعملوا صيغة

فَعَّال بمعنى : ذى كذا من غير أن يكون مبالغة اسم الفاعل كعَطَّار

وبزَّار وجَمَّال وصيغة فاعل بمعنى ذى كذا من غير أن يكون اسم

فاعل مثل : لابن وتامر ، ودارع قال النحاة : إنها فى المعنى

المذكور بمعنى النسبة ، لأن صاحب الشئ منسوب إلى ذلك الشئ

، ولأنه قد جاء فعَّال والمنسوب بالياء بمعنى واحد فقالوا : بَنَى

وبَنَات ، لبائع البت وهو الكساء . ومن ذلك طاعم وكاس فى قول

الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى
(١) ، قال الخليل : قالوا : طاعم كاس على النسبة أى : هو ذو كسوة
وذو طعام وهو مما يذم به أى : ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس .
كانه قال : حسبك أن تأكل وتلبس .

ولما كان فعال فى الأصل للمبالغة فى اسم الفاعل يدل على التكثير
استعمل فى النسب فى صاحب الشيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه
ويلزمه بوجه من الوجوه ببيع أو صنعه أو القيام على حالة مثل :
لبان لبائع اللبن ، ولبائع البز باز ، وبائع العطر عطار وصانع
السيوف سياف ، ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمال .

ذهب برحستر اشر فى محاضراته التطور النحوى إلى أن اللغة العربية
تأثرت فى بناء فعال فى النسب باللغة الآرامية نحو : بخار وطباخ
وأن أقدم الألفاظ معرب من الآرامية وهو بخار ثم قاس العرب عليه .
وليس له من دليل على هذا إلا وجود نجار فى اللغة الآرامية بينما
يوجد عشرات الألفاظ فى العربية على وزنه ، ولا شك أن هذا
تعسف. (٢)

وأما فاعل فنستعمل فى صاحب الشيء من غير ملازمة ولا معالجة
مثل : تامر لمن عنده تمر ، ولابن لمن عنده لبن ، قال الحطيفة :

(١) من البسيط والشاهد قوله "الطاعم الكاسى" حيث جاء للنسبة ، والمعنى ذو كسوة وذو طعام .
وانظر (ديوانه ص ٥٤ والأزجية ص ١٧٥ خزائن الأدب ٢٩٩/٦ شرح شواهد الشافعية ص ١٢٠
شرح شواهد المغنى ٩١٦/٢ شرح المفصل ١٥/٦ لسان العرب - كما شرح الأشوش ٤٤/٣ شرح
شافعية ابن الحاجب ٨٨/٢ التبيان ص ٢٧٥ المعجم ٤٦٨/١ ، المقتضب ١٦٣/٣ .
(٢) انظر التبيان ص ٢٧٥ .

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّنِيفِ تَامِرٌ^(١)

أَمَّا بَائِعُ اللَّبَنِ أَوْ التَّمَرِ فَيُقَالُ لَهُ : تَبَّانٌ وَتَمَّارٌ ، وَيُقَالُ لِصَاحِبِ الدَّرُوعِ ، دَارِعٌ ، وَلِصَاحِبِ النَّبْلِ : نَابِلٌ ، أَمَّا الرَّامِي بِالنَّبَالِ فَيُقَالُ لَهُ : نَبَّالٌ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَلَيْسَ بِذِي رُمَحٍ فَيَطْعُنَنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالٍ^(٢)
وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ اللَّفْظَانِ جَمِيعاً كَسَيَّافٍ وَسَائِفٍ ، وَتَرَّاسٍ وَتَارِسٍ ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ كَقَوَّاسٍ - لَمَنْ يَبْرِي الْقَوْسَ .

وَقَدْ أَسْتَعْمَلَ الْعَرَبُ فِي النِّسْبِ عَلَى قَلَّةٍ - صَيْغاً أُخْرَى ، فَمَنْ صَيَّغَ الْمِبَالِغَةَ : فَعِلَ اسْتَعْمَلُوهُ فِي الْجَوَامِدِ فَقَالُوا : رَجُلٌ نَهْرٌ ، لِصَاحِبِ الْعَمَلِ نَهَاراً ، وَمَنْ غَيَّرَ الثَّلَاثِيَّ جَاءَ مِثْلُ : مَرْضَعٍ ، وَمِطْفَلٍ ، وَمَنْقَطَرٍ ، وَالَّذِي يَدُلُّ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الصَّيْغِ النِّسْبَةُ ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ اسْمُ الْفَاعِلِ ، وَلَا الْمِبَالِغَةُ فِيهِ أَحَدُ أُمُورٍ :

الأول: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِعْلٌ وَلَا مَصْدَرٌ / مِثْلُ : نَابِلٌ ، نَبَّالٌ ، وَمَكَانٌ أَهْلٌ ، ذُو أَهْلٍ

(١) البيت من مجزوء الكامل والشاهد فيه قوله "لابن" وتامر" في نسبتها إلى اللبن والتمر ولم يجريا على فعل . وقيل : إنما هو جار على فعله يقال : لبنت القوم وعمرهم : سيقتهم اللبن وأطعمتهم التمر . انظر ديوانه ص ٣٣ أدب الكاتب ص ٣٢٧ الخصائص ٢٨٢/٣ شرح المفصل ١٣/٦ المتنضب ١٦١/٣ الكتاب ٣٨١/٣ لسان العرب - لين - ويلاتسية في وصف الملبأ ص ٧٢ الأشعري ٤٤/٣ الصاحبي ص ١٨١ المعجم ٢٩٩/١ .

(٢) من الطويل والشاهد فيه : قول "نَبَّالٍ" حيث بناء على "فَعَالٌ" والقياس : "نَابِلٌ" أي : ذُو نَبِيلٍ ولكنه أجراه بجرى صاحب الصفة ، كما يقال : نَبَّالٌ وسَيَّافٌ . انظر ديوانه ص ٣٣ . شرح شواهد المعنى ٣٤١/١ نسبة ٣٤١/١ أوضح المالك ٣٣٩/٤ شرح الأشعري ٧٤٥/٣ مغنى اللبيب ١١/١ المعجم المفصل ٧٣٨/٢ .

الثاني: أن يكون له فعل أو مصدر، لكنه بمعنى أسم المفعول كماء دافق ، وعيشه راضية، أو يكون مؤنثا مجردا من التاء كحائض وطالق ، فلو كان المقصود منها أسم الفاعل للحقتها التاء أو يكون جاريا إلى المعنى الذى تضمنه للمبالغة مثل : عز عزيز وذلل ذليل ، وشعر شاعر ، ونصب ناصب ، فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه أسم صاحب ذلك المعنى مبالغة ، إذ العز والذلل والشاعر ، والنصب ، صاحب العز والذل والشعر و النصب (١)

هل الصيغ المذكورة قياسية : وأكثر هذه الصيغ استعمالا فعال ، ومع كثرتها يرى سيبويه (٢) أنها غير مطردة ، وليست قياسية ، قال فى "فعال" : وزا أكثر من أن يحصى ، وليس فى كل شىء قبل هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، ولا لصاحب الشعر شاعر ، ولا لصاحب الدقيق دقاق . ويرى المبرد (٣) أن صوغ فعال للنسب قياس ، وقال : وكل من رأينا ممن ترضى عربيته يقول لصاحب البر : برار ، حتى صار لكثرة استعماله لا يحتاج فيه إلى حجة من شعر ولا غير . ولعل الذى منع سيبويه من القياس خوف اللبس فلا يقال : برار لبائع البر لقباسه بما اشتق من البر ، ولا لبائع الفاكهة فكاه لالتباسه بما اشتق من الفكه بمعنى التفكه ، ولا لصاحب الشعر شاعر لالتباسه بما اشتق من الشعر . والعلماء وخاصة المتأخرين يؤيدون رأى المبرد ، وقد أخذ المجمع اللغوى به فقرر : أنه يصاغ فعال قياسا للدلالة على الاحتراف أو

(١) انظر شرح الشافية للرضى ٨٥/٢ والبيان ص ٢٧٦

(٢) انظر الكتاب ٣/٢٨١ ، ٣٨٢ .

(٣) انظر المتضبط للمبرد هامش ١٦١/٣ .

ملازمة الشيء ، فإذا خيف اللبس بين صانع الشيء وملازمة كانت صيغة فعال للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره فيقال : زجاج لصانع الزجاج ، وزجاجى لبائعه .^(١)

وأرى موافقة رأى المبرد والمتأخرين فى قياسية صيغة فعال للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء ما دام اللبس قد أزيل بأن يصاغ فعال لصانع الشيء وأن يكون النسب بالياء لغيره كما مثلوا بـ زجاج ، وزجاجى لبائعه وينقل النص الوارد فى كتاب سيبويه تزداد المسألة وضوحاً . فيقول سيبويه^(٢) " هذا باب من الإضافة تحذف فيه ياءى الإضافة وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله ، أو ذا شيء . أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون "فعلاً" ، وذلك قولك لصاحب الثياب : ثوباً ولصاحب العاج : عوَّاجاً ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمال ، ولصاحب الحمر التى يعمل عليها : حمَّار ، وللذى يعالج الصرف : صراف . وإذا أكثر من أن يحصى . وربما ألحقوا ياءى الإضافة كما قالوا : البتى ، أضافوه إلى البتوت ، فأوقعوا الإضافة على واحد وقالوا : التبات .

وأما ما يكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنه مما يكون " فاعلاً " وذلك قولك لذى الدرع : دارعٌ ولذى النبل : نابا ، ولذى النشاب ناشبٌ ولذى الثمر :

تامر ولذى اللبن : لابنٌ قال الحطيئة :

فغررتنى وزعمت أنك لابنٌ فى الصيف تامر .^(٣)

^(١) انظر مجلة الجمع اللغوى ١٥١/١ البيان ص ٢٧٧ .

^(٢) انظر الكتاب ٣٨١/٣ - ٣٨٢ بصرف

^(٣) سبق تخريجه والحديث عنه ص ١٣٣ .

وتقول لمن كان شيء من هذه الأشياء صيغته : لَبَّانُ ، وتَمَّارُ
ونبال ، وليس في كل شيء من هذا قيل هذا . ألا ترى أنك لا تقول
لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، ولا لصاحب
الشعير : شعار ، ولا لصاحب الدقيق : دقاق .

وتقول : مكان أهل ، أى : ذو أهل ، وقالوا لصاحب الفرس : فارس .
وقال الخليل : إنما قالوا : عيشة راضية وطاغيم وكاسى على ذا أى :
ذات رضا وذوكسوة وطعام ، وقالوا : فاعل لذى الفعل . وقالوا :
بغال لصاحب البغل شبهوه بالأول - أى : بصاحب الصنعة ، والمراد
هنا المالك - حيث كانت الإضافة لأنهم يشبعون الشيء بالشيء وإن
خالفه . وقالوا الذى السيف سياف ، وللجمع : سيافه . وقال أمرؤ
القيس :

وليس بذى رمح قيطعنى به وليس بذى سيف وليس نبال .^(١)
يريد : وليس بذى نبل . فهذا وجه ما جاء من الأسماء ولم يكن له
فعل وهذا قول الخليل " فمن يتأمل نص سيبويه يجد أنه عبر عن
النسب بالإضافة وعن ياء النسب بأنها ياء الإضافة وأن الذى يأتى
على "فعال" فى النسب هو ما يكون صاحب شيء يعالجه نحو : عواج
لصاحب العاج ، وثواب لصاحب الثياب وأما ما يكون صاحب شيء
وليس بصنعه يعالجه فإنه مما يكون على "فاعل" وذلك نحو قولك :
لذى الدرع دارع ولذى النبل نابل وتقول لمن كان شيء من هذه
الأشياء صناعته : لَبَّانُ وتَمَّارُ ونبال - ثم بين سيبويه أن ذلك ليس
قياسا فقال : "وليس فى كل شيء من هذا قيل هذا . ألا ترى أنك لا

^(١) سبق تخريبه والحديث عنه ص ١٢٣ .

تقول : لصاحب البر : برّار ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، ولا
لصاحب الشعير شّعار ، ولا لصاحب الدقيق دقّاق .

وبين سيبويه أن الذى يدل على أن هذه الصيغة أى : فعّال للنسب
وليس للمبالغة فهذا وجه ما جاء من الأسماء ولم يكن له فعل أى :
أن الدليل أن لا يكون له فعل ولا مصدر مثل : نابل وبغال ومكان أهل
ذو أهل ، أو يكون له فعل أو مصدر لكنه بمعنى اسم المفعول كماء
دافق وعيشه راضية .

وقد سبق أن صيغة "فعل" تأتى للمبالغة وإن كان عملها أقل من
الصيغ الثلاث وهى فعّال ومفعّال وفَعُول وكذلك صيغة "فَعِيل" عملها
قليل هذا عند سيبويه أما أكثر العلماء فقد عارضوا سيبويه فى إعمال
"فَعِيل" وفعل للمبالغة وسبق أنه ثبت أن مذهب سيبويه هو الصحيح
لأدلة مضى الحديث عنها . وإذا كانت صيغة "فعل" قد أتت للمبالغة
فإنها كذلك جاءت للنسب وتحدث سيبويه ^(١) عن هذه المسألة فقال :

"وزعم الخليل أن فعولا ، ومفعّالا ، ومفعّلا ، نحو : قوُول ومقوُول
إنما يكون فى تكثير الشيء وتشديده والمبالغة فيه ، وإنما وقع فى
كلامهم على أنه مذكر . وزعم الخليل أنهم فى هذه الأشياء كأنهم
يقولون : قولى وضربى ويستدل على ذلك بقولهم : رجل عمل وطعم
وليس ، فمعنى ذا كمعنى قوُول ومقوُول فى المبالغة ، إلا أن الهاء
تدخله ، بقول : تدخل فى فعل فى التانيث .

وقالوا : نهر ، وإنما يريدون نهارى فيجعلونه بمنزلة عمل وفيه ذلك
المعنى وقال الشاعر :

^(١) انظر الكتاب ٣/ ٣٨٤ - ٣٨٥ بتصرف .

لست بليلي ولكني نهر لا أدلج الليل ولكن أبتكر^(١).

فقولهم : نهر في نهاري بدل أن عملا كقوله : عملي ، لأن في عمل من المعنى ما في نهر ، وقول كذلك لأنه في معنى قولي . وقالوا : رجل حرج ورجل سته كأنه قال : جرى واستى . فهذا وجه ما كان من الفعل ولم يجز على فعله . وقالوا : مفعال ومفعيل قل ما جاءت الهاء فيه ، ومفعيل قد جاءت الهاء فيه كثيرا نحو : مطعن ومدعس^(٢) ، ويقال : مصك^(٣) ومصك ومصكة ، نحو ذلك "

فسيبويه في هذا النص بين أن "فعل" كما جاءت للمبالغة نحو عمل وحذر في قول الشاعر :

حذر أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار^(٤).

جاءت كذلك للنسب فقالوا : نهر يريدون : نهاري . وأن صيغة مفعال ومفعيل كما جاءت للمبالغة نحو قولهم : إنه لمنحار بوائكها ، ونحو مسكين .

جاءت كذلك للنسب في قولهم : امرأة معطار^(٥) أي : ذات عطر ومفعيل كقولهم ناقة محضير ، أي : ذات حضر وهو الجري . ومفعال كما جاءت للمبالغة والنسب جاءت كذلك اسما للآله نحو : مفتاح ومنشار وسوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله ويتحدث المبرد

(١) من الرجز والشاهد في قوله "نهر" حيث بناه على "فعل" وهو يريد النسب لا المبالغة وهو بلا نسبة في أوضح المالك ٣٤١/٤ الأخوين ٤٥/٣ التصريح ٣٣٧/٢ الكتاب ٣٣٧/٣ الكتاب ٣٨٤/٣ لسان العرب ثمر - ليل - عمدة الحفاظ ص ٩٠٠ المقرب ٥٥/٢ المعجم المتفصل ١١٥٦/٣ .

(٢) المدعى : الروح يدعى به . وانظر اللسان - دعي .

(٣) للمصك : القوي الشديد من الناس انظر اللسان - صك .

(٤) سبق تحريجه ص ٢٩ .

(٥) انظر شرح الألفية للمرادي ١٥٤/٥ .

فى المقتضب عن هذه المسألة وهى أن صيغة "فَعَال" كما جاءت للمبالغة جاءت كذلك للنسب فقال : "هذا باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل من النسب على ما تدلّ عليه الياء . وذلك قولك لصاحب الثياب : ثَوَابٌ ولصاحب العِطَر : عَطَارٌ ، ولصاحب السَبَر : بَرَّازٌ وإنما أصل هذا لتكرار الفعل كقولك : هذا رجل ضَرَّابٌ ، ورجل قَتَّالٌ ، أى يكثر هذا منه ، وكذلك خِيَّاطٌ ، فلما كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصَّتَف فعلوا به كذلك ، وإن لم يكن منه فِعْلٌ ، نحو : بَرَّازٌ ، وعَطَّارٌ : فإن كان ذا شىء ، أى : صاحب الشىء بُنِيَ على فاعِلٍ " كما بُنِيَ الأول على "فَعَال" فقلت : رجل فارس أى : صاحب فرس ورجل دارع ، ونابل ، وناشب ، أى هذا أَلته قال الشاعر :

وغررتنى وزعمت أنك لابن بالصيف تامر^(١).

فأما قوله :

وليس بذى رمح فيطغثنى به وليس بذى سيف بُنْبَال^(٢)
فإنه كان حقه أن يقول : وليس بنابل ، ولكنه كثر ذلك منه ومعه .
وأعلم أن قولهم : عِيشَتُهُ راضية^(٣) "ورجل طاعم" كاس إنما هو على ذا معناه :

عيشه فيها رضا ، ورجل له طعام وكسوة ، وكذلك امرأة قَتُول ، ورجل قَتُول وامرأة مِغْطَار فهذا على ما وصفت لك وحينما قال سيبويه^(٤) عن "فَعَال" وذا أكثر من أن يحصى ، ثم منع القياس فقال

(١) سبق تخريجه ص ١٣٣ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٣ .

(٣) الحاققة ٢١/ القارعة ٧/ .

(٤) انظر الكتاب ٣/ ٣٨٢ .

: " وليس في كل شيء من هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، ولا لصاحب الشعير : شقار ، ولا لصاحب الدقيق دقاق " ونقد المبرد ^(١) كلام سيبويه هذا بقوله : " قال محمد : وكل من رأيناه ممن ترضى عريبته يقول لصاحب البر : برار حتى صار لكثرة استعماله لا يحتاج فيه إلى حجة من شعر ولا غيره "

ورد ابن ولاد ^(٢) بقوله : " ليس في هذه المسألة غير الدعوى ، وليست ها هنا حجة وذلك أنه ردّ دعوى بدعوى ، لأن سيبويه قال : لا يُقال هذا ، كأنه لم يسمعه من العرب ، فادّعى محمد أنه يُقال ولم يأت بحجة ، وادّعى ذلك في زمن من يؤخذ بلغته ويرجع إلى قوله ويستشهد بأنكره سيبويه في زمن من يؤخذ بلغته ويرجع إلى قوله ويستشهد بلفظة ويمتنع ، من التكلم بما امتنع منه فالنفس إلى الدعوى الأولى أسكن فيها وبها أوثق لا سيما إذا أضفنا ذلك إلى أنا لم نسمعه من عالم ولا من عربي "

قال أحمد : ما سمعت أحداً مردود القول فضلاً عن متبع القول نسب يانع البر فيقول : برار ، ولو سمعته في هذا الوقت لما كان سماعة حجه على أن قولى أيضاً لم نسمعه دعوى كادعاء الراد والمردود عليه ، ولعله أن يكون قد سمعه من عوام أهل مصر من الأمصار لا يؤخذ بلغتهم وهذا نوع من الكلام لا فائدة فيه أكثر من أن تتلقى من عالم موثوق بقوله فيؤخذ ذلك منه ويقبل تقليداً .

وقد حكى سيبويه في هذا الباب أنه لا يقال : لصاحب الفاكهة فكاه : ، وهذا مستعمل في أكثر الأمصار التي شاهدناها ، وليس ذلك

^(١) - انظر المقتضب ١٦١/٣ .

^(٢) - الأنصار ص ٢١٣-٢١٤ .

بحجة ، وأحسب أن محمدا سمع برارا على نحو هذا ، ولم
يتعمد المخالفة ، إلا أنه احتج بلغة من لا يحتج بمثله. وقد ذكر ابن
سيدة فى المخصص كثيرا من الفاظ النسب التى جاءت على "فاعل"
والتى جاءت على فعل أذكر طرقا منها:

رجل ناعل ^(١) ، مشاحم ^(٢) رجل لآء ولأل : صاحب ^(٣) لؤلؤ.
قطن حليج : محلوج وصانعه ^(٤) الحلاج، رجل نجاد ^(٥) : الذى يعالج
الفرس والوسائد بحشوها ويخبطها ، لحام ^(٦) : بائع اللحم. رأسى ^(٧) :
بائع الرؤوس ، شحام ^(٨) : يبيع الشحم ، الخباز ^(٩) ، فواس
وتراس ^(١٠) ، الكلاب ، الذى يعلم الكلاب. الصقار : معلم الصقور ^(١١) ،
رجل بياض : يبيع البيض ^(١٢) ، السفان ^(١٣) : ملاح السفينة ، الطيكان :
صانع الطين وحرفته الطيانية ، الخشاب : بائع الخشب . الحناط ^(١٤) :
بائع الحنطة. الخلال : بائع الخل وصانعه ، الزجاج ، الخواص : صانع

^(١) ١١/١٤

^(٢) ١٤/٥

^(٣) ١٤/٥

^(٤) ٧٠/٤

^(٥) ٧٥/٤

^(٦) ١٤٠/٤

^(٧) ١٤٣/٤

^(٨) ٤/٥

^(٩) ٦/٥

^(١٠) ٣٧/٦

^(١١) ٨٠/٨

^(١٢) ١٢٥/٨

^(١٣) ٣٣/١٠

^(١٤) ١٨/١١

الخصوص^(١) ، الطسّاس: بائع الطسوس وحرفته الطساسسة^(٢) ،
رجل ثمار - لبّان ، سمّان ، فكّاه. الطحّان^(٣) وحرفته الطحانة.

ثم يتحدث الإمام الرضى فى شرحه على الشافية لابن الحاجب وهو يذكر الفرق بين فاعل وفَعَال الوصفين وفاعل وفَعَال الدالين على النسب. يقول ابن^(٤) الحاجب: " وكثُر مجيئ فَعَال فى الحرف كَبَنَاتِ وَعَوَاجِ وَتَوَابِ وَجَمَالِ ، وجاء فاعل أيضا بمعنى ذى كذا كَتَامِرِ وَلابِنِ وَذَارِعِ وَنَابِلِ ، ومنه عيشة راضية وطاعم كاس " يقول الرضى^(٥): أقول: اعلم أنه يجيء بعض ما هو على فَعَال وفاعل بمعنى ذى كذا من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه ، كما كان اسم الفاعل نحو: غافر وبناء المبالغة فيه نحو: غَفَّار ، بمعنى ذى كذا ، إلا أن فَعَالًا لما كان فى الأصل لمبالغة الفاعل ففَعَال الذى بمعنى ذى كذا لا يجيء فى صاحب شىء يزاول ذلك الشىء ويعالجه ويلزمه بوجه من الوجوه ، إمّا من جهة البيع كالبِقَال ، أو من جهة القيام بحالة كالأَجْمَالِ والبِقَال ، أو باستعماله كالسَيِّاف ، أو غير ذلك ، وفاعل يكون لصاحب الشىء من غير مبالغة ، وكلاهما محولان على اسم الفاعل وبناء مبالغته يقال: لابن لصاحب اللبن ، وللبّان لمن يزاوله فى البيع أو غيره ، وقد يستعمل فى الشىء الواحد اللفظان جميعاً كسَيِّافٍ وسائِف ، وقد يستعمل أحدهما دون صاحبه كفَوَّاسٍ وتَرَّاسٍ وفَعَال فى

(١) ٧٩/١١

(٢) ٢٥/١٢

(٣) ٥٠/١٢

(٤) انظر شرح الشافية ٨٤/٢

(٥) انظر شرح الكافية ٨٥-٨٤/٢

المعنى المذكور أكثر استعمالاً من فاعل وهما مع ذلك مسموعان ليسا بمطردين ، فلا يقال البر: برار ، ولا لصاحب الفاكهة: فكه ، قال النحاة: إنهما فى المعنى المذكور بمعنى النسبة ، لأن ذا الشيء منسوب إلى ذلك الشيء ، وأيضاً جاء فعال والمنسوب بالياء بمعنى واحد كبنى وبتات لبائع البيت ، وهو الكساء. ثم يتحدث الرضى^(١) ويذكر الفرق بين فعال فى المبالغة والنسب فيقول : " ويعرف أنه ليس باسم فاعل ولا للمبالغة فيه : إما بأن لا يكون له فعل ولا مصدر كنبال ويغال ، ومكان أهل : أى : ذو أهل ، أو بأن يكون له فعل ومصدر لكنه إما بمعنى المفعول : كما دافق وعيشة راضية وإما مؤنث مجرد عن التاء: كحائض وطالق . وقالوا فى نحو: مرضع ومطلق والسماء منفطر به : إنه على معنى النسبة لهذا أيضاً ، وهذا يقدر فى قولهم : إن ما هو بمعنى النسبة من المجرد عن الياء إما على فعال أو فاعل فقط ، وإما جار على ما نضمنه على وجه المبالغة نحو : عز عزيز وذلل ذليل وشعر شاعر ، وموت ماعة ، وهم ناصب فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه إسم صاحب ذلك المعنى مبالغة ، إذ العزيز والذليل والشاعر والماتت والهام صاحب العز والذل والشعر والموت والنصب ، كما يطلق على صاحب المعنى اسم ذلك المعنى مبالغة نحو: رجل صوم وعدل "

ثم يتحدث الرضى^(٢) فى موضع آخر ويقول إن صيغة فعل كما جاءت للمبالغة نحو: رجل حذر جاءت كذلك للنسب نحو: رجل نهر

(١) انظر شرح الكافية ٨٥/٢

(٢) انظر شرح الشافية ٨٨/٢

لصاحب العمل بالنهار يقول : " وكما استعملوا فعلا لما كان فى الأصل للمبالغة فى إسم الفاعل فى معنى ذى الشئ الملزم له استعملوا فعلا أيضا ، وهو بناء مبالغة اسم الفاعل ، نحو : عمل للكثير العمل وطعن ولبس ولسن فى معنى النسبة ، فاستعملوه فى الجوامد نحو : رجل نهر لصاحب العمل بالنهار ، ورجل حرح وسسته بمعنى : حرى واستى : أى : الملازم لذلك الشغل ، فعلى هذا ليس معنى النسب مقصورا على فاعل وفعال ، بل يجيء عليه اسم الفاعل من الثلاثى وغيره ونحو : مرضع ومنقطر ، ويجيء من أبنية مبالغة اسم الفاعل فعال وفعل ، قال الخليل : وقالوا طاعم كاس على ذا : أى على النسبة : أى هو ذو كسوة وذو طعام ، وهو مما يذم به ، أى ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس قال الحطينة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى^(١)

ويقول ابن عصفور فى شرح جمل^(٢) الزجاجى : وهو يتحدث عن النسب بغير ياء :

" وقد يجيء على فاعل وذلك موقوف على السماع نحو : رامح ، وتابل ، ودارع ، ولاين ، وثامر ، وسائف ، وقد يجيء على فعال وذلك موقوف على السماع نحو : عطار وخياط وبزاز ، وقد يكون هنا الإسم الذى ينسب إليه فعل وذلك نحو : نهر فى قول الشاعر :

^(١) سبق تخريجه ص ١٣٢ .

^(٢) انظر شرح جمل الزجاجى ٣١٠ ، ٣٠٩/٢

لست بليلى ولكنى نهر لا أدلج الليل ولكن أبتر^(١)

وقد يجىء النسب على مفعال كمرأة معطار وعلى مفعيل نحو :
ناقاة مخطير وعلى مفعول نحو : امرأة مدعس وذلك قليل " وسبق أن
مفعال تأتى للمبالغة نحو : منهار بوائكها.

وإن مفعيل تأتى كذلك للمبالغة نحو : مسكين فهما من الصيغ
المشتركة بين المبالغة والنسب .

وقال الزمخشري فى المفضل^(٢) : " وقد بينى على فعال وفاعل
ما فيه معنى النسب من غير إلحاق الياعين كقولهم بتات وعواج
ثواب وحمال ولابن وثامر ودارع ونابل والفرق بينهما أن فعلا لذى
صنعة يزاولها ويديمها وعليه أسماء المحترفين وفاعل لمن يلبس
الشيء فى الجملة وقال الخليل : إنما قالوا : عيشة راضية أى : ذات
رضى ورجل طاعم كاسى على ذا " قال ابن يعيش فى شرح
المفضل^(٣) : " اعلم أنهم قد نسبوا على غير المنهاج المذكور وذلك
لأن لم يأتوا بباء النسبة لكنهم يبنون بناء يدل على نحو مليل عليه
باء النسبة وهو قولهم لصاحب البتوت وهى الأكسية وأحدها بت بتات
" ولصاحب الثياب "ثواب" ، ولصاحب البرزاز ، ولصاحب العاج
عواج ، ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمال ، ولصاحب الحمير
التي ينقل عليها حمار ، وللصيرفى صرّاف وهو أكثر من أن يحصى
كالنقاش وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير

(١) سبق تحريجه ص ١٣٨

(٢) انظر فى شرح المفضل لابن يعيش ١٢/٦

(٣) انظر شرح المفضل لابن يعيش ١٢/٦

الفعل إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجعل له البناء الدال على التكاثر وهو فَعَّال بتضعيف العين لأن التضعيف للتكاثر ، وما كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أتوا بها على فاعل وذلك لأن فاعلا هو الأصل وإنما يعدل عنه إلى فَعَّال للمبالغة فإذا لم ترد المبالغة جيء به على الأصل لأنه ليس فيه تكثير قالوا لذى الدرع "دارع" ولذى النبل "نابل" ولذى النشاب "نابل" ولذى اللبن والتمر "لابن وثامر" قال الحطيفة :

وغررتنى وزعمت أنك لابن فى الصيف ثامر^(١)

ثم يقول ابن يعيش^(٢) : " وهذا القبيل وإن كان كثيراً واسعاً فليس بقياس بل يتبع فيه ما قالوه ولا يتجاوز فلا يقال لبائع البر برار ولا لصاحب الفاكة فكاه ولا لصاحب الشعير شَعَّار ولا بائع الدقيق دَقَّاق وإنما يقال دقيقى وقد قيل : دَقَّاق ومثل ذلك الكسائى نسب على قياس النسب والفراء على قياس البَزَّاز والعطَّار "

ويقول أبو حيان^(٣) فى ارتشاف الضرب : واستغنوا غالباً عن ياء النسب بالبناء على فَعَّال من لفظ المنسوب إليه فى الحرف والصنائع قالوا : خَبَّاز وقرَّاز وبَنَّاو وزَجَّاج وعَوَّاج ولَّال وقالوا زَجَّاجى وعَاجى ولؤلؤى وبَزَّاز وبَقَّال وخياط وتَجَّار وجَمَّال لمن أول العمل بالجمال وعَطَّار وبَنَّاو لبائع البتوت وهى الأكسية ، وقالوا : عِطْرى وبَتى . وبالبناء على فاعل لصاحب الشيء وإن لم يعالجه

(١) سبق تخريجه ص ١٣٣ .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٥/٦

(٣) انظر ارتشاف الضرب لأبى حيان ٢٩١/١ ، ٢٩٢ .

قالوا : لآبن ولاحم وتامر وكاسى ورامح ونابل ودارع وفارس
وسائف وناشب وناعل وحاذ ، وقد يقوم مقام فاعل فعال قالوا : نبال
وكلاب وسياف وتراس وتقال لصاحب ما اشتق ذلك منه كما تقول
مقام فعال فاعل قالوا : حائك فى حواك ، وقد يقوم غير فاعل وفعال
مقامهما قالوا : امرأة معطار أى : ذات عطر وفاقة مخضو أى : ذات
خضر .

ومذهب سيبويه^(١) أن هذا وإن كثر لا ينقاس قال لا تقول
لصاحب الدقيق دقاق ولا لصاحب الفاكهة فكاه ولا لصاحب البر برار
ولا لصاحب الشعير شعار " والميرد^(٢) يقيس هذا .

واستغنوا أيضاً عن ياء النسب بالبناء إسماعلى وزن فعل من
المنسوب إليه قالوا رجل طعم ولبس وعمل ونهر المعنى : ذو كذا
وقالوا : رجل حرى وحرى إذا كان يألف ذلك وهذا كله موقوف على
السماع " .

وسبق أن بناء فعل يأتى للمبالغة نحو : رجل حذر ، وأن فعال
يأتى للمبالغة نحو : غفار وأن مفعال يأتى للمبالغة نحو : منحار
يوائكها وسوف يأتى إن شاء الله أنه يرد كذلك إسماعلى للألّة نحو :
منشار ومفتاح فقد ترددت هذه الصيغة بين المبالغة والنسب والآلة .

(١) انظر الكتاب ٣/٣٢٨، ٣٣٥

والإمام السيوطي في الهمع ^(١) جعل فعال في الإغناء عن
 ياء النسب من الشواذ فقال وهو يتحدث عن شواذ النسب ومنها : "
 الإغناء عن ياء النسب بصوغ فعّال من الحرفة : كخبّاز وقزّاز ،
 وسقاء وزجاج وبزاز وبقال وخبّاط ونجار . وبصوّغ فاعل وقِعِل
 بمعنى صاحب الشيء كتامر ولابن ، ونابل أي : صاحب تمر ولبن
 ونبل وطعم ولين ، وعَمِل أي : صاحب طعام ، ولبن وعمل . وقد
 يقام فعّال مقام فاعل كنبّال بمعنى : نابل أي : صاحب نبل ، وخرَج
 عليه قوله تعالى " وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " ^(٢) أي : بذى ظلم . وقد يقلم
 فاعِل مقام فعّال : كحائك في معنى حوّاك ، لأن الحياكة من الحرف
 وقد يقام غيرهما مقامهما نحو : امرأة مِغْطَار أي : ذات عطر ،
 وناقّة مِحْضِير أي : ذات حُضْر وهو ارتفاع الناقّة أو الفرس في
 عدوه .

وكل هذا منوقوف على السّماع ولا يقاس شيء منه وإن كان قد
 كثر في كلامهم قال سيبويه ^(٣) : فلا يقال لصاحب البر : بَرّار ، ولا
 لصاحب الشعير : شَعّار ، ولا لصاحب الدقيق : دَقّاق ، ولا لصاحب
 الفاكهة : فَكَاه . والمبرد ^(٤) يقيس باب فاعل وفعّال لأنه في كلامهم
 أكثر من أن يحصى .

^(١) انظر للمقضب ١٦١/٣

^(٢) انظر المح ٣٧٠/٣

^(٣) فصلت ٤٦

^(٤) انظر الكتاب ٣٣٥/٣

^(٥) انظر للمقضب ١٦١/٣

ويقول المرادى^(١) وهو يشرح قول ابن مالك :

ومع فاعل وفعل فعلٌ فى نسب أغنى عن اليا فقبل

يستغنى عن ياء النسب غالبا بصوغ فاعل إن قصد صاحب
الشيء كقولهم : لابن وتامر أى : صاحب لبن وتامر ، وبفعال إن
قصد الإحتراف كقولهم : بزاز وعطار ، وقد يقوم أحدهما مقام الآخر
، فمن قيام فاعل مقام فعال قولهم حائل فى معنى : حواك لأنه من
الحرف ومن عكسه قول امرىء القيس :

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بنبال^(٢)

أى : وليس بذى نبل قال المصنف : وعلى ذلك حمل المحققون
قوله تعالى " وما ربك بظلام للعبيد " ^(٣) أى : بذى ظلم . وقد يؤتى
بياء النسب فى بعض ذلك ، قالوا : لبياع العطر ولبياع البتوت وهى
الأكسية عطار وعطرى وبتات وبتى . وقد يستغنى عن ياء النسب
بفعل بمعنى صاحب كذا ، كقولهم : رجل طعم ولبس وعمل بمعنى ذى
طعام وذى لباس وذى عمل أنشد سيبويه :

لست بليلى ولكنى نهر^(٤)

أى عامل بالنهار . تنبيهان :

^(١) انظر شرح الألفية للمرادى ١٥٤-١٥١/٥

^(٢) انظرى المقتضب ١٦١/٣

^(٣) فصلت ٤٦/

^(٤) سبق تخريجه ص ١٣٨

الأول : قد يستغنى عن ياء النسب بمِفعَل كقولهم : امرأة
مِغْطَار أى : ذات عِطر ومِفعِل كقولهم ناقةٌ مِخْضِير أى : ذات حُضْر
وهو الجرى .

الثانى : هذه الأبنية غير مقيسة ، وإن كان بعضها كثيراً هذا
مذهب سيبويه قال : لا يقال لصاحب البر: بَرار ، ولا لصاحب الشعير
: شَعَار ، ولا لصاحب الدقيق : دَقَّاق ، ولا لصاحب الفاكهة : فكَاه .
والمبرد يقيس هذا . وقد ذكر الأشمونى^(١) فى شرحه على الألفية مثل
ما ذكر المرادى ويتبعه حتى فى التنبيهات .

ويقول المكودى فى شرحه^(٢) على الألفية " ثم اعلم أن النسب
يكون بالياء المشددة المذكورة كما تقدم ويكون بأوزان نبيه عليها
بقوله :

ومع فاعل وفَعَّال فَعِلَ فى نَسَبٍ أغنى عن اليا فَعِّلَ

فذكر ثلاثة أوزان : الأول : فاعل بمعنى صاحب كذا نحو :
تامر ولابن وكاسى أى صاحب تمر وصاحب لبن وصاحب كسوة ،
الثانى فَعَّال فى الحرف غالباً نحو : حَدَّاد وَفَرَّاز وفَعِل بمعنى صاحب
كذا نحو : طَعِمَ وليسَ بمعنى ذى طعام وذى لباس وفى حاشية
السجاعى^(٣) على ابن عقيل : " ثم إن أمثلة فَعَّال كثيرة ومع كثرتها

^(١) انظر الأشمونى ٢٠٠/٤

^(٢) انظر المكودى ص ٢١٧

^(٣) انظر حاشية السجاعى على ابن عقيل ص ٢٦٣، ٢٦٤

فهى غير مقيسة فلا يقال لصاحب الدقيق دقاق ولا لصاحب
الفاكهة فكاه .

وفى حاشية الخضرى ^(١) على ابن عقيل: " وهذه الصيغ غير
مقيسة عند سيبويه وإن كان بعضها فلا يقال : دقاق وفكاه وبرار
لبياح الدقيق والفاكهة والبر قياسا على ما سمع من نحو عطار وبقال
والمبرد يقيسه .

وفى شرح التصريح ^(٢) : " وقد يستغنى عن ياعى النسب بصوغ
المنسوب إليه على فعال وذلك غالب فى الحرف كبرار ونجار وعواج
وعطار لביاح العطر ومن غير الغالب قول امرئ القيس ^(٣) :
وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس ينبال .

أى : بذى نبل بدليل ما قبله فاستعمل فعال فى غير الحرف
بمعنى ذى كذا وحمل عليه قوم من المحققين كما قال ابن مالك (وما
ربك بظلام للعبيد) ^(٤) أى بذى ظلم والذى حملهم على ذلك أن التفتى
منصب على المبالغة فيثبت أصل الفعل والله تعالى منزه عن ذلك ،
وأمثلة فعال كثيرة ومع كثرتها فقال سيبويه غير مقيسة فلا يقال
لصاحب البر : برار ، ولا لصاحب الشعر : شعار ، ولا لصاحب
الدقيق : دقاق ، ولا لصاحب الفاكهة : فكاه . والمبرد يقيس هذا ، أو
يصوغ المنسوب إليه على فاعل أو فعل بمعنى ذى كذا فالأول كئامر

^(١) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل ١٧٥/٢

^(٢) انظر شرح التصريح ٣٧٧/٢

^(٣) سبق تخريجه ص ١٢٣

^(٤) فصلت ٤٦/

أى : ذى تمر ولابن أى : ذى لبن وطاعم أى ذى طعام .
والثانى : كقطع أى : ذى طعام ولبن أى : ذى لبن ونهر أى :
ذى نهار . قال الراجز :

لست بليلى ولكنى نهر لا أدلج الليل ولكنى أبكر^(١)

أنشده سيبويه فى كتابه ولكنى نهارى أى : عامل بالنهار .

مفعال بين المبالغة والنسب والآلة

سبق القول أن من أشهر أوزان صيغ المبالغة فعال وسبق
الحديث عنها بين المبالغة والنسب وأن من أشهر الأوزان صيغة
مفعال وأنها تأتى للمبالغة نحو : منحار بوائكها - وأرسلنا السماء
عليهم مدرارا وأنها تأتى كذلك للنسب نحو قولهم : امرأة معطار أى
ذات عطر ، وتأتى كذلك هذه الصيغة اسما للآلة وقد عرف اسم
الآلة شمس الدين الكيشى^(٢) (٦١٥-٦٩٥هـ) فقال :

وهى ما كانت واسطة فى إيصال فعل الفاعل إلى المنفعل
وتجىء على مفعول ، ومفعلة ومفعال كالمقبض والمكسحة والمقراض
، وما جاء منها مضموم العين كالمسعط والمنخل فقد قال سيبويه :
لم يذهبوا بها مذهب الفعل ، ولكنها جعلت أسماء لهذه الأوعية ولا
تعمل أصلا ، لأنها بمعنى الوعاء المضاف إلى المصدر .

(١) سبق تخريجه ص ١٣٨

(٢) انظر الإرشاد إلى علم الإعراب للكيشى ص ٢١٢

أكثر ، فالقرينة وحدها هي التي تتحكم في التوجيه هنا أو هناك ، ففي مثل : تخيرت للخشب الجزل منشارا قويا يمزقه تكون صيغة مفعول " إسم آلة " بخلافها في مثل : ما أعجب فلانا في التحدث عن نفسه ، ونشر أخباره ، وانتهاز الفرص للإعلان عن شئونه !! إنه جدير بأن يسمى : منشارا - فإنها صيغة مبالغة في النشر . ومثل كلمة " مذيع " فقد يراد منها الآلة الصماء التي تستخدم في نقل الأخبار المذاعة . وقد يراد منها الشخص المتكلم في تلك الآلة . فمثال الحالة الأولى تدل عليها القرينة : توقف المذيع لخلل في أسلاكه . ومثال الثانية تدل عليها القرينة أيضا : ما أفصح المذيع ، وما أعذب صوته ، لم يتلجلج ولم يتردد ، ولم يشوه كلامه بلحن أو خطأ مع أنه كان يرتجل بغير إعداد .

وإطلاق " المذيع " علي الآلة الصماء التي تستخدم في نقل الأخبار وعلى الشخص المتكلم في هذه الآلة ويفرق بينهما بالقرائن كما سبق هذا من الوجهة اللغوية وقد جرى العرف اليوم علي تسمية الآلة " بالمذيع وتسمية الشخص " بالمذيع ^(١) .

ومما ورد علي مفعول وهو اسم آلة في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) ^(٢) في المفردات ^(٣) : المثقال ما يوزن به ، وهو من الثقل وذلك اسم لكل سنج . وفي

(١) انظر البحر الرائق ٣/٣٤٤، ٣٣٥

(٢) النساء / ٤٠

(٣) انظر مفردات الراغب ص ٨٦

البحر^(١): المثلقال : مفعال من الثقل ومثلقال كل شيء وزنه ولا
تظن أنه الدينار لا غير . وفي الدر المصون^(٢): والمثلقال : قدر من
الأقدار جعل معيارا لهذا القدر المخصوص .

ومثله قوله تعالى " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
فى زجاجة " ^(٣) فى المفردات ^(٤) ويقال للسراج : مصباح ،
والمصابيح : أعلام الكواكب وفى الكشف^(٥) : مصباح : سراج ضخم
ثاقب . ومثله قوله تعالى (من الله ذى المعارج) ^(٦) فى المفردات^(٧):
المعارج المصاعد وفى البحر^(٨): وقرأ الجمهور ومعارج جمع معرج
ومعارج جمع معراج وهى المصاعد إلى العللى أو المعارج : لغة
الدرج ، وهنا إستعارة ، قال ابن عباس فى الرتب والفواضل
والصفات الحميدة ... وقال الحسن : هى المراقى إلى السماء ومثله
قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) ^(٩) فى المفردات ^(١٠) : المفتاح
والمفتاح ما يفتح به وجمعه مفاتيح ومفتاح .. وقيل : بل على
بالمفاتيح الخزائن نفسها .

^(١)نظر البحر ٢٥٠/٣

^(٢)نظر الدر المصون ٣٦٤/٢

^(٣)النور/٣٥

^(٤)نظر للمفردات ص ٢٧٧

^(٥)نظر الكشف ٢٤١/٣

^(٦)للمعارج ٣/

^(٧)نظر للمفردات ص ٣٣٢

^(٨)نظر البحر ١٥/٨

^(٩)الأنعام / ٥٩

^(١٠)نظر المفردات ص ٣٧٣

وفى الكشف^(١): المفاتيح : جمع مفتاح ، وهو المفتاح ،
وقرىء مفاتيح ، وقيل : جمع مفتاح - بفتح الميم - وهو المخزن -
وفى العكرى^(٢): هو جمع مفتاح والمفتاح: الخزانة فأما ما يفتح به
فهو مفتاح وجمعه مفاتيح. وفى البحر^(٣) جمع مفتاح - بكسر الميم
وهى الآلة التى يفتح بها ما أغلق . قال الزهراوى : ومفتاح أفصح
من مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفاتيح ، لأنه يجوز فى مثل هذا
ألا يؤتى بالياء قالوا : مصايح ومحارب وقرقر فى جمع مصباح
وقرقرور وقيل : جمع مفتاح بفتح الميم ويكون للمكان أى : أماكن
الغيب ومواضعها ويؤيده ما روى عن ابن عباس أنها خزائن المطر
والنبات ونزول العذاب .

وقال السمين الحلبى^(٤): وقوله " مفاتيح " فيه ثلاثة أقوال :

أحدها أنه جمع مفتاح بكسر الميم والقصر مع فتح التاء - وهو
الآلة التى يفتح بها نحو منجل ومنجل . والثانى أنه جمع مفتاح :
بفتح الميم وهو المكان ، ويؤيده تفسير ابن عباس : هى خزائن
المطر .

والثالث : أنه جمع مفتاح : بكسر الميم والآلة ، وهو الآلة
أيضا ، إلا أن هذا فيه ضعف من حيث أنه كان ينبغى أن تقلب ألف
المفرد ياء ، فيقال : مفاتيح كدنانير ، ولكنه قد نقل فى جمع

(١) انظر الكشف ٣١/٢

(٢) انظر العكرى ١٣٧/١

(٣) انظر البحر ١٤٤/٤

(٤) انظر الدر المصون ٧٨/٣

مِصْبَاح: مَصَابِيح وفي جمع مِخْرَاب مَخَارِب . ومثله قوله تعالى
(فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأَلَيْكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ)^(١) جمع ميزات أو موزون

وفي الدر المصون^(٢) و " موازين " فيها قولان : أحدهما : أنها
جمع " ميزان " الآلة التي يوزن بها ، وإنما جُمِعَ لأنَّ كلَّ إنسان له
ميزان يخصه علي ما جاء في التفسير ، أو جُمِعَ باعتبار الأعمال
الكثيرة ، وعبر عن الحال بالمحل .

والثاني : أنها جمع موزون وهي الأعمال ، والجمع حينئذ ظاهر



^(١) الأعراف / ٨

^(٢) انظر الدر المصون ٢٣٦/٣ الكشف ٨٩/٢

فعيل بين المبالغة والصفة المشبهة

سبق الحديث فى المبحث الثالث عن خلاف العلماء فى أعمال
فعيل وفعل من أمثلة المبالغة وأن سيبويه أجاز إعمال " فعيل " وأن "
فعل " أقل من " فعيل " بكثير ومنه نحو : قدير وعليم ورحيم لأنه
يريد المبالغة فى الفعل ، وأن المبرد لم يجز ذلك وقال : وأما ما كان
علي " فعيل " نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيبويه النصب فيه ولا
أراه جائزا ، وذلك أن " فعيلًا " إنما هو إسم الفاعل من الفعل الذى لا
يتعدى فما خرج إليه من غير ذلك الفعل فمضارع له ملحق به .
والفعل الذى هو لـ " فعيل " فى الأصل إنما هو ما كان علي " فعل "
نحو : كرم فهو كريم وشرف فهو شريف وظرف فهو ظريف فما
خرج إليه من باب علم وشهد ورحم فهو ملحق به . فإن قلت : راحم
، عالم ، شاهد فهذا اسم الفاعل الذى يراد به الفعل . وسبق بالأدلة
أن الصواب فى جانب سيبويه حيث أيده فى رأيه ابن عصفور فى
شرح جمل الزجاجى وابن يعيىش فى شرح المفصل وابن مالك فى
شرح التسهيل . ودافع عنه ابن ولاد التميمى فى كتابه الإقتصار
لسيبويه علي المبرد .

وبالتأمل فى صيغ وأوزان الصفة المشبهة وجد أن صيغة " فعيل " كما وردت للمبالغة وردت كذلك من بين أوزان الصفة المشبهة . وينبغى قبل أن أبدأ فى بيان صيغة " فعيل " من بين أوزان الصفة المشبهة أن أبدأ بتعريف الصفة المشبهة .

عرف ابن مالك الصفة المشبهة فقال : " هى الملاقية فعلا لازماً ثابتاً معناها تحقيقاً أو تقديراً قابلة للملابسة والتجرد والتعريف والتذكير بلا شرط " احترز بالملاقية فعلاً من نحو : قرشى وقتأت ، ويكون الفعل الذى تلاقيه لازماً من نحو عارف وجاهل ، وبالثابت معناها من نحو : قائم وقاعد ، ونبه بتقدير الثبوت على متقلب ونحوه ، واحترز بقبول الملابس والتجرد من أب وأخ ونحوهما ، وبقبول التعريف والتذكير بلا شرط من أفعل التفضيل .

وإذا كانت الصفة المشبهة مصوغة من فعل ثلاثى فالغالب كونها غير موازنة الفعل المضارع كضخم الجثة ولين العريكة وعظيم المقدار وحسن السيرة ^(١)

وعرفها ابن الناظم فقال الصفة : ما دل على حدث وصاحبه ، والمشبهة باسم الفاعل : منها ما صيغ لغير تفضيل من فعل لازم ، لقصد نسبة الحدث إلى الموصوف به دون إفادة معنى الحدث . فلذلك لا تكون للماضى المنقطع ولا للمستقبل الذى لم يقع ، وإنما تكون للحال الدائم ، وهو الأصل فى باب الوصف . وأكثر ما تكون الصفة المشبهة غير جارية على لفظ المضارع نحو : جميل وضخم

وحسن ملآن وأحمر ، وقد تكون جارية عليه كطاهر وضامر
ومعتدل ومستقيم ، وتمثيله - أى ابن مالك - بطاهر القلب جميل
الظاهر منية علي مجيئها بالوجهين^(١).

وعرفها الكبشى (٦١٥-٦٩٥هـ) فقال : هى المشتقة الغير
جارية علي المضارع نحو : حسن وصعب ، وتعمل بمشابهة الجارى
- وهو اسم الفاعل الجارى علي فعله المضارع المبنى للمعلوم .
لأنها تذكر وتؤنث وتثنى وتجمع كقول : حسن ، حسنة ، حسنات ،
حسنون ، كقولك : ضارب ، ضارية ، ضاريان ، ضاريون^(٢).

وعرفها ابن عصفور (٥٩٧-٦٦٩هـ) فى شرح الجمل فقال
: " الصفة المشبهة باسم الفاعل هى : كل صفة مأخوذة من فعل غير
متعد لأنها إنما شبعت باسم الفاعل المأخوذ من الفعل المتعدى فعملت
عمله ووجه الشبه بينهما أنها صفة كما أن اسم الفاعل كذلك ، وأنها
متحملة للضمير كما أن اسم الفاعل متحمل ضميرا ، وأنها طالبة
للإسم بعدها ، كما أن اسم الفاعل كذلك فتقول : مررت برجل ضارب
زيدا . فلما أشبه من هذه الوجوه عملت عمله^(٣).

وعرف العكبرى (٥٣٨-٦١٦هـ) الصفة المشبهة ويبين
المشابهة بينها وبين اسم الفاعل فقال : " هى كل صفة لا تجرى علي
الفعل مما لا مبالغة فيه ، نحو : حسن وبطل وشديد . ومشابهتها له
فى أنها تثنى وتجمع وتؤنث ، وهى مشتقة كما أنه مشتق فـ :

(١) انظر شرح الألفية لابن الناظم ص ٤٤٤، ٤٤٥

(٢) انظر الإرشاد إلى علم الإعراب للكبشى ص ٢٠١

(٣) انظر شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٦/١

حسن وحسنان وحسنون وحسنات مثل : ضارب وضاربان
وضاريون وضارية وضاريتان وضاربات^(١).

وعرفها المكودي (ت ٨٠٧ هـ) فقال: الصفة المشبهة باسم
الفاعل ما صيغ لغير تفضيل من فعل لازم لقصد نسبة الحدث إلى
الموصوف دون إفادة معنى الحدوث وتتميز من اسم الفاعل
باستحسان جر فاعلها بإضافتها إليه^(٢).

وعرفها ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) فقال : " هي الصفة
المصوغة لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفادة
الحدوث " ^(٣).

ويقول صاحب التبيان في تصريف الأسماء ويعرف الصفة
المشبهة " هي ما اشتق من مصدر فعل لازم لغير تفضيل لقصد نسبة
الحدث إلى الموصوف علي جهة الثبوت " ثم يقول وهو يتحدث عن
ورود الصفة المشبهة من فعل بضم العين : " إذا كان الفعل علي فَعَلْ
- بضم العين - فالغالب أن يأتي الوصف منه علي فَعِيل كظريف
وشريف وفَعَل كقَتْنهم وسَهْل ، ولكثرة هذين البنائين قال بعض
العلماء: " إنهما قياسيان في فَعَل ، وقيل : القياسي هو فَعِيل فقط
وفَعَال نحو شَجَاع وقرأت " ^(٤).

^(١) انظر اللباب للمكودي ٤٤٣/١

^(٢) انظر شرح الألفية للمكودي ص ١٢٠

^(٣) انظر قطر الندى ص ٣-٢

^(٤) انظر التبيان د/ كحيل ص ٧٥، ٧٢

مما سبق يتضح أن الصفة المشبهة تأتي على فعيل إذا كان الفعل على فَعَلَ نحو شرف شريف وظرف ظريف . وقد سبق أنها جاءت من صيغ المبالغة .

ويقول صاحب النحو الوافي : " إن كان الثلاثي اللازم على وزن فَعَلَ - بضم العين - فالصفة المشبهة كثيرة الأوزان ، فقد تكون على وزن فعيل مثل شرف فهو شريف نبيل فهو نبيل قبيح فهو قبيح . أو على وزن فَعَلَ مثل : ضَخَمَ فهو ضَخَمَ شَهْمَ فهو شَهْمَ صَغَبَ فهو صَغَبَ . أو على وزن حَسَنَ فهو حَسَنَ بَطَلَ فهو بَطَلَ ^(١) . فقد بين فيما سبق أن الصفة المشبهة تأتي على وزن " فعيل " إن كان الفعل الثلاثي اللازم على وزن " فَعَلَ " - بضم العين .

ويقول الرضى (ت ٦٨٦هـ) فى شرح الشافية وهو يتحدث عن أوزان الصفة المشبهة: " ويجىء فعيل فيما حقه فَعِلَ كَمَسْقِم ومَرِيض ، وحمل سليم على مريض والقياس سالم . ومجىء فعيل فى المضاعف والمنقوص الئائى أكثر كالطبيب واللبيب والخسيس والثقى والثقى " .

ويقول ابن الحاجب : " ومن نحو : كَرَمَ على كريم غالباً ، وجاءت على خَشِنَ وحَسَنَ وصَغِبَ وصَلَبَ وجَبَانَ وشَجَاعَ ووقور وجُنُبَ " .

أقول : أى الرضى : الغالب فى باب فَعَلَ فعيل ، ويجىء فَعَلَّ بضم الفاء وتخفيف العين مبالغة فعيل فى هذا الباب كثيراً لكنه غير

^(١) انظر النحو الواج ٢٨٧/٣

مطرد ، نحو طويل وطوال ، وشجيع وشجاع".

فابن الحاجب والرضى بينا كذلك أن الصفة المشبهة من فعل بضم العين تأتي على فعيل ويقول أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ففى ارتشاف الضرب : " ويلزم فعيل فى المعنى عن فعل نحو : كبير وسمين وإذا كان على فعل كان بزنة فعيل قياسا نحو : شرف فهو شريف ، وقال ابن مالك : كثر فعيل وفعل فى فعل ، ومن استعمل القياس فيهما عند السماع فهو مصيب ."

ويقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فى مواضع متفرقة^(١) من الكتاب وهو يتحدث عن أوزان الصفة المشبهة وأنها تأتي على "فعيل" وقد سبق أنها من أوزان صيغ المبالغة .

يقول سيبويه : " وقد جاء شيء من هذه الأشياء المتعدية التى هى على فاعل على فعيل حين لم يريدوا به الفعل ، شبهوه بظريف ونحوه ، قالوا : ضرب قدام وصريم للصارم . والضريب : الذى يضرب بالقدام بينهم^(٢) . ويقول فى موضع آخر من الكتاب : " وقد جاء شيء منه على فعيل ، وذلك خصيف ، وقالوا : أخصف وهو إقيس . والخصيف سواد إلى الخضرة^(٣) . ويقول فى موضع آخر " وتجىء الأسماء على فعيل وذلك : قبيح ، ووسيم ، وجميل وشقيح ، ودميم وقالوا : شنع شناعة وهو شنيع وقالوا : نظف نظافة ونظيف ، كصبح صباحة وصبيح^(٤) .

^(١) انظر الكتاب ٧/٤ ، ٢٦ ، ٢٨ - ٣٧

^(٢) انظر الكتاب ٧/٤

^(٣) انظر الكتاب ٢٦/٤

^(٤) انظر الكتاب ٢٩، ٢٨/٤

ويقول فى موضع آخر من الكتاب : " وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا ، قالوا : عَظَمَ عظامه وهو عَظِيمٌ ، وَثَبَلَ ثَبالةً وهو نَبِيلٌ ، وَصَغَرَ صَغارةً وهو صَغِيرٌ " ، وَقَدَّمَ قَدَامً وهو قَدِيمٌ وقالوا : كَثُرَ كثارةً وهو كَثِيرٌ وقالوا سَمِنَ سَمناً وهو سَمِينٌ ، كَبُرَ كبراً وهو كَبِيرٌ وقالوا : غَلِظَ يَغْلِظُ غَلْظاً وهو غَلِيظٌ ، كما قالوا : عَظَمَ يَعْظُمُ عِظْماً وهو عَظِيمٌ .^(١)

وقالوا سَرَعَ يَسْرَعُ سَرَعاً وهو سَرِيعٌ ، وَبَطَأَ يَبْطَأُ وهو بَطِئٌ . وقالوا : شَرَفَ شَرْفاً وهو شَرِيفٌ ، وَكَرَّمَ كَرَمًا وهو كَرِيمٌ . وقالوا رَفِقَ يَرْفِقُ رَفِيقٌ وهو رَفِيقٌ .^(٢)

وبعد هذا العرض لتعريف الصفة المشبهة ولورود صيغة فعيل من فَعَلَ - بضم العين - من بين أوزان الصفة المشبهة إليك بعض الشواهد القرآنية التى وردت فيها صيغة فعيل وهى تحتمل أن تكون صفة مشبهة ، وأن تكون من أمثلة المبالغة . فمما ورد من ذلك قوله تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ)^(٣) فى الكشاف^(٤) : يقال : أَلِمَ فهو أَلِيمٌ كوجع فهو وجِيع .. والألم فى الحقيقة للمؤلم . وفى البحر^(٥) : أَلِيمٌ فعل من الألم ، بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع أو للمبالغة . وفى النهر^(٦) : أَلِيمٌ إما للمبالغة ، ووصف العذاب به مجاز ، وهو من مجاز التركيب ، أو معناه :

^(١) انظر الكتاب ٣١، ٣٠/٤

^(٢) انظر الكتاب ٣٥، ٣٢/٤

^(٣) البقرة / ١٠

^(٤) انظر الكشاف ٦٠/١

^(٥) انظر البحر ٥٣/١ والقرطى ١٣٩/١

^(٦) انظر النهر ٥٨-٥٩

مؤلم ، جاءَ فعيل من أفعَل ، وهو مجاز الإفراد والعكبرى^(١) :
هو قَعِيل بمعنى مُقَعَّل ، لأنه من قولك : أَلِمَ فهو مؤلم .

وفى الدر المصون^(٢) : وألِمَ هنا بمعنى مؤلم كقوله :

وَتَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ يَصْكُ وَجُوهَهَا وَهَجَّ أَلِيمٍ^(٣)

ويجمع على فعلاء كشریف وشرقاء ، وأفعال مثل : شریف وإشراف ، ويجوز أن يكون فعيل هنا للمبالغة مُحَوَّلًا من فَعَلَ - يكسو العين - وعلى هذا يكون نسبة الألم إلى العذاب مجازاً ، لأن الألم حَلَّ بِمَنْ وقع به العذاب لا بالعذاب فهو نظير قولهم : شَغَرَ شَاعِرٍ وَمِمَّا ورد في ذلك قوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(٤) قال الراغب^(٥) : الإبداع : إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا إقتداء .. وإذا استعمل في قول الله تعالى فهو إيجاد شيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله . والبدیع يقال للمبدع نحو قوله : " بدیع السموات والأرض " ويقال للمبدع نحو : ركة بدیع .

وفى الكشف^(٦) : يقال : بدع الشيء فهو بديع .. " بديع السموات " من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، أى : بديع سميأوته وأرضه . وقيل: البديع بمعنى المبدع كما أنه السميع بمعنى

^(١) ينظر المكبرى ١٠/١ دراسات ٩٤/٧

^(٢) انظر الدر المصون ١١٦/١

^(٣) البيت من الوافر لذي الرمة وانظر ديوانه ٦٧٧ الأضداد ٨٤ الدر المصون ١٦/١ والقرطبي

١٣٩/١

^(٤) البقرة/١١٧

^(٥) انظر المفردات ص ٤٩

^(٦) انظر الكشف ١٨١/١

المسمع .

وفى العكبرى^(١) والإضافة هنا محضة ، لأن الإبداع لهما ماض . وفى البحر^(٢) : " هو من باب الصفة المشبهة باسم الفاعل فالمجورور مشبه به لمفعول وأصله الأول بديع سمواته ثم شبه الوصف فأضمر فيه ، منصب السموات ثم جر ما نصب ، وفيه أيضا ضمير يعود على الله تعالى . وقال الزمخشري : هو من إضافة الصفة المشبهة إلى منصوبها والصفة عندنا لا تكون مشبهة حتى تنصب أو تخفض وأما إذا رفعت ما بعدها فليست عندنا صفة مشبهة ، لأن عمل الرفع فى الفاعل يستوى فيه الصفات المتعدية وغير المتعدية وفعل بمعنى مفعول لا ينقاس .

وقال السمين الحلبي^(٣) : " وبديع السموات " من باب الصفة المشبهة أضيفت إلى منصوبها الذى كان فاعلا فى الأصل ، والأصل : بديع سمواته أى : بدعت لمجيئها على شكل فائق حسن غريب ، ثم شبهت هذه الصفة باسم الفاعل فنصبت ما كان فاعلا ، ثم اضيفت إليه تخفيفا ، وهكذا كل ما جاء من نظائره فالإضافة لابد وأن تكون من نصب لئلا يلزم إضافة الصفة إلى فاعلها ، وهو لا يجوز كما لا يجوز فى اسم الفاعل الذى هو الأصل . وقال الزمخشري^(٤) : وبديع السموات من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . ورد عليها

(١) انظر المكبرى ٣٣/١ والقرطبي ٦٠/٢

(٢) انظر البحر ٣٦٤/١

(٣) انظر الدر المصون ٣٥٢/١

(٤) انظر الكشف ٣٠٧/١

الشيخ^(١) بما تقدم ، ثم أجاب عنه بأنه يحتمل أن يريد إلى فاعلها في الأصل قبل أن يشبهه ، وأجاز الزمخشري فيه وجهاً ثانياً : وهو أن يكون بديع بمعنى مبدع كما أن سميعاً في قول عمرو بمعنى مسمع نحو :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(٢) ؟

إلا أنه قال : " وفيه نظر " وهذا الوجه لم يذكر ابن عطية غيره ، وكان النظر الذي ذكره الزمخشري - والله أعلم - هو أن فَعِيلًا بمعنى مَفْعِلٍ غير مقيس وببيت عمرو متأول وعلى هذا القول يكون بديع السماوات من باب إضافة اسم الفاعل لمنصوبه تقديرًا والمبدع : المخترع المنشئ ، والبديع : الشيء الغريب الفائق غيره حسنًا .

ومما ورد من ذلك قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)^(٣) في الدر المصون^(٤) : ويشير ونذير على صيغة فَعِيلٍ ، أما بشير فنقول هو من بشر مخففاً ، لأنه مسموع فيه ، وفَعِيلٍ مطرد من الثلاثي ، وأما " نذير " فمن الرباعي ولا ينقاس عدل مَفْعِلٍ إلى فَعِيلٍ ، إلا أن له هنا محسناً .

وكذلك قوله تعالى (يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ)^(٥) فَعَيْسَل بمعنى

^(١) انظر البحر ٣٦٤/١

^(٢) من الوافر لعمرو بن معد يكرب وانظر أمالي الشجري ٦٤/١ ابن يعيش ٧٣/١ مشكل القرآن ٢٩٧ اللسان - سمع - الدر المصون ٣٥٢/١

^(٣) البقرة / ١١٩

^(٤) انظر الدر المصون ٣٥٦/١

^(٥) يس / ٢٤١

مفعِل وإما للمبالغة من حاكم ، وإما بمعنى النسب أى ذى حكمة
(١) . وقال السمين^(٢) الحلبي يجوز أن يكون بمعنى فاعل أى : الحاكم ،
وأن يكون بمعنى مفعول أى : مُحَكَّم ومنه قوله تعالى : (وَكَفَى بِاللَّهِ
حَسِيباً)^(٣) فى الكشف^(٤) : أى : كافياً فى الشهادة عليكم بالدفع أو
القبض أو محاسباً فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب .

وفى البحر^(٥) : أى : كافياً فى الشهادة عليكم ، ومعناه :
محسباً من أحسبني كذا ، أى : كفاً ، فيكون فعيل بمعنى مفعِل أو
محاسباً أو حاسباً لأعمالكم يجازيكم بها وحسيب " فَعِيل " بمعنى
مفاعل وجليس وخليط ، أو بمعنى " فاعل " حول للمبالغة فى
الحسابات . وبعد هذه الشواهد القرآنية يتضح جلياً أن صيغة " فعيل "
إحتملت وجهين تارة المبالغة وتارة الصفة المشبهة وبعد هذا العرض
إليك أهم النتائج التى إنتهى إليها البحث :

(١) انظر البحر ٣٢٣/٧ الجمل ٤٩٨/٣

(٢) انظر الدر المصون ٣/٤ والقرطبي ٦/١٥

(٣) النساء / ٦

(٤) انظر الكشف ٤٧٦/١ والقرطبي ٣١/٥

(٥) انظر البحر ١٧٤/٣

الخاتمة

١- أن المبالغة : أن تثبت للشئ أكثر مما له ، أو أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد منه حتى يكون أبلى في المعنى الذى قصده ، وهى نوعان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الإستحالة ، ومبالغة بالصيغة وهى صيغ المبالغة ، أو هى صيغ تأتى بدلا من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة فى معنى الفعل وذلك أن صيغة فاعل تحتمل فى دلالتها على الحدث القلة والكثرة . فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث كما أو كيفاً حوِّلت فاعل إلى إحدى هذه الصيغ .

٢- أن المشهور بين العلماء أن هذه الصيغ خمس صيغ وهى: فَعَّالٌ ، مِيقَالٌ ، فَعُولٌ ، فَعِيلٌ ، فَعْلٌ كما قال بذلك سيبويه وابن مالك وابن يعيش والرضى والمرادى والمكودى والصبيمرى والصبان والأشمونى والسجاعى والخضرى وابن عقيل وابن هشام وأن من العلماء من جعلها ثمانى صيغ كالزركشى فى البرهان ، ومنهم من جعلها تسع صيغ كالسيوطى فى الإتيقان ، ومنهم من جعلها إثنى عشر بناء كما نقل السيوطى فى المزهرة عن ابن خالويه فى شرح الفصيح وقد سبقت الإشارة إلى اللبس الذى يفهم من نص المزهرة . وقد وردت فى كتاب الله عز وجل على إثنى عشر بناء ولعل هذا يتفق مع ما ورد عن ابن خالويه ، ومنهم من جعلها سبعة أمثلة كأبى حيان فى إرتشاف الضرب .

٣- أن فائدة أمثلة المبالغة : أنها نوع من الإختصار فاللفظة الواحدة تدل على التكثير والمبالغة ، ولاشك أن قولك : : " ضروب " فيه إيجاز وإختصار من قولك : ضارب وضارب وضارب .

٤- ذهب بعض العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة إلى أن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثى المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب إلى أن الصيغ : فعَّالٌ مفعَّلٌ وفَعُولٌ قياسية لكثرتها وأما غيرها فسماعية ونسب إلى أبى حيان .

٥- أن المجمع اللغوى قرر أن صيغة " فعَّالٌ " تأتى للمبالغة قياسا من الثلاثى المتعدى واللازم وذلك لورود ألفاظ كثيرة من المتعدى واللازم تصلح أساسا للقياس .

٦- أن صيغة فَعِيلٌ كثيرة فى المبالغة وإذا ثبتت كثرتها كان القياس عليها جائزا كما قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب وابن ولاد وابن خروف وأبوحيان ولذلك قال : " وعلى هذا لا يبعد عمله نصبا " وقد جعل المجمع اللغوى القاهرى هذه الصيغة قياسية وليست مقصورة على المجمع كما يرى النحاة الأقدمون .

٧- أن مذهب سيبويه جواز إعمال هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى والمبرد وإعمال فَعِيلٌ وفَعْلٌ وقد سبق بالأدلة أن الصواب هو رأى سيبويه فقد أيدته ابن يعيىش فى شرح المفصل وابن مالك فى شرح التمهيد وابن عصفور فى جمل الزجاجى ودافع عنه ابن ولاد التميمى فى كتابه الإنتصار لسيبويه على المبرد . وفصل الجرمى فأجاز إعمال فعل لأنه على وزن الفعل ، ومنع إعمال فَعِيلٌ ، ومنع الكوفيون إعمال الخمسة ، لأنها لما جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم شيئا ومتى وجدوا شيئا منها قد وقع بعده منصوب أضربوا له فعلا وقد حكم ابن هشام على

مذهب الكوفيين بأنه تعسف وحكم عليه ابن عصفور في شرح
جمل الزجاجي بأنه مذهب فاسد وردّ عليه فيما سبق .

٨- أن صيغ المبالغة قد تبنى من غير الثلاثي أي : من أفعل
نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك ، وحكم هذه الأمثلة عند من
يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاماً وشروطاً وإتفاقاً وإختلافاً إلا ما
ذهب إليه ابن خروف أنه يجوز إعمالها ماضية وإن عريت من " أل "
وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من " أل " إذا كان
ماضياً .

٩- أن المشهور في أمثلة المبالغة أنها لا تتفاوت ولكن ورد
عن العرب أنهم بنوا لمن فعل مرة واحدة فاعلاً كقاتل وضارب ،
ولمن كرر الفعل فَعَالاً كقَتَّلَ ولمن بالغ في الفعل وكان قويا عليه فَعُلَا
نحو : صبور ، ولمن اعتاد الفعل مِفعال كامرأة مذكّار ، وبعضهم قال
: أن ضَرُوبَ لمن كثر منه الضرب ، وفَعَّالَ لمن صار له كالصناعة
ومِفعال لمن صار له كالآلة ، وفَعِيلَ لمن صار كالطبيعة وفَعِلَ لمن
صار كالعاهة .

١٠- أن صيغ المبالغة لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير فلا
تقول : زيد قَتَّلَ عمراً ولا زيد مَوَاتَ ، ويجوز زيد قَتَّلَ الأبطال .

١١- أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز
لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت
للشيء أكثر مما له وصفات الله متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة
فيها وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ،
وصفات الله منزّهة عن ذلك .

١٢- أن المبالغة في " الرحمن " و " الرحيم " مختلفة
فمبالغة " فعّال " من حيث الإمتلاء والغلبة ، ومبالغة " فاعِل " من
حيث التكرار والوقوع بمجال الرحمة والصحيح أن الرحمن أبلغ من
الرحيم ولهذا لا يجوز التسمية به وأنه ورد على لفظ التثنية وكان
البناء تضاعفت فيه الصفة .

١٣- أن أكثر الصيغ وقوعا في القرآن الكريم صيغة " فَعَّال " ^و
نحو غفار وأن من المشكل قول الله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد)
وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم
والواقع نفيه وقد أجيب عن ذلك بأحد عشر وجها سبق ذكرها .

١٤- أن صيغة " فَعَّال " كما وردت في الأسلوب العربي
للمبالغة وردت كذلك للنسب فهي صيغة مشتركة بينهما وهي أكثر
الصيغ إستعمالاً في النسب بدون ياء ومع كثرتها يرى سيبويه أنها
غير مطردة حيث قال في " فَعَّال " وهذا أكثر من أن يحصى وليس في
كل شيء قبل هذا ألا ترى أنك لا تقول لصاحب السبر : برّار ولا
لصاحب الفاكهة : فكّاه ويرى المبرد أن صوغ فَعَّال للنسب قياسي
وقال : وكل من رأينا من ترضى عربيته يقول لصاحب السبر : برار
وقد أخذ المجمع اللغوي برأى المبرد فقرر : أن صيغة فَعَّال تستعمل
قياساً للدلالة على الإحتراف أو ملازمة الشيء فإن خيف اللبس بين
صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فَعَّال للصانع ، وكان النسب بالياء
لغيره فيقال زجاج لصانع الزجاج ، وزجاجي لبائعه . وأن صيغة فَعِّلَ
كما جاءت للمبالغة نحو : عمل وحذر جاءت للنسب فقَالُوا : تَهَيَّرْ
يريدون تَهَارَى .

١٥- أن الذى يبين أن المقصود من هذه الصيغ النسبة وليس المقصود اسم الفاعل ولا المبالغة فيه أحد أمور : منها : أن لا يكون له فعل ولا مصدر مثل نابل ويقال ، ومكان أهل ذو أهل ، الثانى أن يكون له فعل أو مصدر ولكنه بمعنى إسم المفعول كماء دافق وعيشة راضية ، أو يكون مؤنثاً مجرداً من التاء كحائض وطالق ، فلو كان المقصود منها اسم الفاعل للحقتها التاء .

١٦- أن صيغة مفعال كما جاءت للمبالغة نحو : مَنَحَار بوائكها وردت كذلك للنسب نحو امرأة مَغْطَار أى ذات عطر ووردت كذلك للآلة نحو : مِثْشَار والتفريق بين هذه الإستعمالات يكون بالقران اللفظية والمعنوية .

١٧- أن صيغة " فَعِيل " كما وردت للمبالغة وردت كذلك من بين أوزان الصفة المشبهة من " فَعْل " بضم العين نحو : شَرَفَ فهو شريف .

وهناك نصوص يجوز فى صيغة " فَعِيل " أن تأتى فيها للوجهين أى : المبالغة أو الصفة المشبهة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم العظيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د / عادل محمد على الطنطاوى

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية بالمنصورة

أهم المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم :
- ٢- اتخاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر : ابن البناء
الدمياطى صحة على محمد الضياع دور الندوة الجديدة ببيروت
لبنان .
- ٣- الاتفاق فى علوم القرآن للسيوطى مراجعة وتدقيق سعيد
المنذوه دار الفكر ١٩٩٦ م .
- أدب الكاتب لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) شرح أ/ فاعور دار
الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .
- ٤- ارتشاف الضرب لأبى حيان الأندلس تحقيق أ. د / مصطفى
النماس الطبعة الأولى ١٩٨٩ م المدنى .
- ٥- أسرار العربية للآتبارى تحقيق محمد بهجت البيطار -
المجمع العلمى بدمشق - يدون .
- ٦- الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى تحقيق طه عبد الرؤف سعد
مكتبة الكليات الأزهرية طه ١٩٨٥ م ١٤٠٥ هـ .
- ٧- الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق طه عبد الرؤف سعد
مكتبة الكليات الأزهرية طه ١٩٨٥ م ١٤٠٥ هـ .
- ٨- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه - دار المنار
١٩٧٧ م .
- ٩- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى تحقيق د/أحمد قاسم .

- ١٠- الأمالي الشجرية لابن الشجرى دار المعرفة - بيروت
لبنان - يدون .
- ١١- إملأ ما من به له الرحمن للعكبرى ط دار الكتب العلمية
بيروت الأولى ١٩٧٩ م .
- ١٢- الانتصار لسيبويه على المبرد لابن ولاد التميمى (ت ٣٣٢ هـ)
وتحقيق د/ زهير عبد المحسن مؤسسة الرسالة .
- ١٣- أوضح المسالك تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ومحمد
عبد العزيز النجار طبعة الفجالة الجديدة .
- ١٤- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الفكر الثانية عام
١٤٠٣ هـ .
- ١٥- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم - دار التراث .
- ١٦- تأويل مشكل القرآن لابن قلبية (ت ٢٧٦ هـ) شرح أحمد
السيد أحمد صقر - المكتبة العلمية .
- ١٧- التبصرة والتذكرة للصيمرى .
- ١٨- التبيان فى تصريف الأسماء أ د/ أحمد حسن كحيل الطبعة
السادسة ١٩٧٨ م مطبعة السعادة .
- ١٩- التصريح بمصنوع التوطيح للشيخ خالد الأزهرى دار أحياء
الكتب العلمية - عيسى الجلى .
- ٢٠- التعريفات للجرجانى (ت ٨١٦ هـ) تحقيق إبراهيم الأبيارى -
دار الريان للتراث .
- ٢١- تفسير الجلالين بهامش الفتوحات الأهلية ، دار المنار

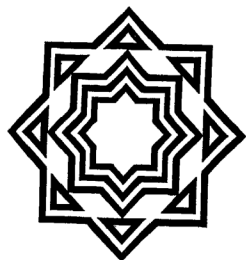
- ٢٢- تفسير السمين الحلبي - الدر المصون في علوم الكتاب
المكنون للسمين الحلبي تحقيق على معوض وآخرين - دار الكتب
العلمية - بيروت لبنان .
- ٢٣- تفسير الطبري (محب جرير الطبري) ط عيسى ١٩٥٩ م .
- ٢٤- تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب العلمية -
الطبعة الخامسة - ١٩٩٦م - ١٤١٧ هـ .
- ٢٥- تفسير الكشاف للزمخشري - دار الفكر للطباعة والنشر -
بدون .
- ٢٦- توضيح المقاصد للمرادي تحقيق د/ عبد الرحمن سليمان
سليمان - ط النائية .
- ٢٧- حاشية الخضري على ابن عقيل ط ١٩٤٠م مصطفى الحلبي .
- ٢٨- حاشية السجاعي (ت ١١٩٧ هـ) على ابن عقيل - المطبعة
الحسينية المصرية .
- ٢٩- حاشية الطبان على الأشموني عيسى الحلبي .
- ٣٠- حاشية الشيخ يسن العلمي على التصريح عيسى الحلبي .
- ٣١- حاشية الشيخ يسن العلمي على الفاكهي الطبعة الأولى
١٩٧١م مصطفى الحلبي .
- ٣٢- خزائن الأدب للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الثالثة
١٩٨٩م مكتبة الخانجي القاهرة
- ٣٣- الخصائص لأبن جنى تحقيق محمد على النجار الهيئة العامة
للكتاب ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م
- ٣٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم د/ محمد عبد الخالق عزيمة -
دار الحديث القاهرة .

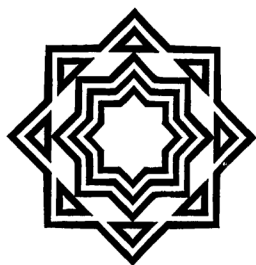
- ٣٥- شرح أبيات المغنى للبغدادى تحقيق عبد العزيز ربلح دار
المأمون للتراث بيروت ١٩٧٩ م .
- ٣٦- شرح ابن عقيل على الألفية تحقيق محمد محى الدين عبد
الحميد ط ٢٠ ١٩٨٠ م دار التراث
- ٣٧- شرح التسهيل لأبن مالك تحقيق عبد الرحمن السيد -هاجر
للطباعة ط الأولى ١٩٩٠ .
- ٣٨- شرح جمل الزجاجة لأبن عصفور تحقيق د/صاحب أبو جناح .
- ٣٩- شرح ثاقبة ابن الحاجب الأستراباذى تحقيق د/محمد الزقزاف
وزميليه دار الكتب بيروت لبنان ١٣٩٥ هـ
- ٤٠- شرح ثنود الذهب لأبن هشام الأنصارى تحقيق محمد محى
الدين عبد الحميد ط ١١ دار الأنصارى .
- ٤١- شرح شواهد المغنى للسيوطى دار مكتبة الحياة بيروت .
- ٤٢- شرح شواهد الشافية تحقيق محمد الزقزاف وزميليه دار الفكر
بيروت ١٩٧٥ .
- ٤٣- شرح قطر الندى دبل الصدى لأبن هشام تحقيق محمد محى
الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ١٩٨٨ م .
- ٤٤- شرح الكافية الشافية لأبن مالك تحقيق د/ عبد المنعم هريدى
جامعة أم القرى دار المأمون ١٩٨٢ م .
- ٤٥- شرح الكافية للرضى الأستراباذى -دار الكتب العلمية -بيروت
- ٤٦- شرح المفصل لأبن يعش -مكتبة المتنبي - القاهرة .
- ٤٧- شرح المكودى ت ٨٠٧ هـ على الألفية ط ٣ ١٩٥٤ م مصطفى
الحلبى .
- ٤٨- القاموس المحيط للفيروز آبادى الهيئة العامة للكتاب .

- ٤٩ - الكامل فى اللغة والأدب تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار نهضة مصر القاهرة .
- ٥٠ - الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ ١٩٨٨ م .
- ٥١ - اللباب فى علل البناء والأعراب للعكبرى تحقيق غازى طليمات
دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م .
- ٥٢ - لسان العرب لأبن منظور الأفرىقى دار المعارف .
- ٥٣ - المزهرة فى علوم اللغة للسيوطى تحقيق محمد ابراهيم أبو
الفضل وآخرين دار التراث .
- ٥٤ - المحتسب لأبن جنى تحقيق على النجدى ناصف وزميليه ط
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩هـ .
- ٥٥ - معانى القرآن للأخفش تحقيق د/ عبد الأمير أمين عالم الكتب ط
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- ٥٦ - معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/ عبد الجليل شلبى دار
الحديث ط الأولى ١٩٩٤ م
- ٥٧ - معانى القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتى دار السرور .
- ٥٨ - معجم شواهد العربية عبد السلام هارون الطبعة الأولى
١٩٧٢ م مكتبة الخانجى .
- ٥٩ - المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية د/إميل يعقوب دار
الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .
- ٦٠ - ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبن الشجرى تحقيق أحمد بهج
دار الكتب العلمية ط ١٩٩٦ م .
- ٦١ - معنى اللبيب عن كتب الأعراب لأبن هشام تحقيق محمد محى
الدين عبد الحميد ط محمد على صبح .

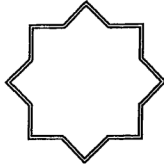
- ٦٢- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ضبطه
محمد خليل عنيانى دار المعرفة ١٩٩٨ م .
- ٦٣- المقتضب للمبرد د/ محمد عبد الخالق عزيمة المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية ١٩٧٩ م .
- ٦٤- المقرب لأبن عصفور الأشبيلي تحقيق أحمد الجوارى الطبعة
الأولى بغداد ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م .
- ٦٥- النجوى الوافى للأستاذ عباس حسن ط دار المعارف الطبعة
الحادية عشر .
- ٦٦- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تحقيق د/ محمد
محيسن مكتبة القاهرة ١٢٩٨هـ .
- ٦٧- النهر الماء لأبى حيان الأندلس ط دار الفكر الثانية ١٤٠٣هـ .
- ٦٨- جمع الهوامع للسيوطى ط الأولى ١٣٢٧هـ الخانجى بمصر
والأستاذة وبتحقيق أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت
الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .







بسم الله الرحمن الرحيم



المماثلة والمخالفة الصوتيتان

يبين

القدماء والمحدثين

إعداد

د. / على سعد عبد الحميد الخولى

مدرس فى قسم أصول اللغة

بالكلية

تمهيد

التطور اللغوي من الظواهر الشائعة بين كل اللغات ، ومن أبوز
مظاهر هذا التطور التطور الصوتي.
فالاصوات اللغوية حين تتجاور -متصلة أو منفصلة- قد يحدث
بينها نوع من التأثير والتأثير .

ومن أبرز نتائج هذا التأثير والتأثير ما أسماه علماء اللغة
المحدثون بالمماثلة والمخالفة الصوتيتين.

وقد تناول بعض اللغويين المحدثين ظاهرة المماثلة بالدراسة دون
أن يحددوا المقصود بهذا المصطلح عند القدماء وعدم تحديد
المصطلح فيه إجحاف بالجهد الذي بذله القدماء في دراسة هذه
الظاهرة ، وكذلك فإن عدم تحديد المصطلح يصيب الدارس للغة
العربية بالحيرة والارتباك.

كما أن بعضاً من هؤلاء اللغويين المحدثين حاولوا أن يفسروا
هاتين الظاهرتين - المماثلة والمخالفة - في ضوء دراسات حولهما
لعلماء من غير العرب دون أن يبرزوا جهد علماء اللغة العرب
القدامى - في كثير من الأحيان- في هذا المضمار مع أن هؤلاء
العلماء من غير العرب -مستشرقين وغير مستشرقين- لم يزدوا
شيئاً ذا بال على ما فعله القدماء ، بل استفادوا الكثير من الدراسات
العربية القديمة ، وكل ما فعلوه - هم ومن جاراتهم من العرب- أنهم
أثروا بمسميات ومصطلحات جديدة للمصطلحات العربية القديمة ، وهذا

الخلاف فى المصطلح يريك القارئ والدارس للتراث العربى القديم والحديث.

هذا ، وإذا كانت اللغات كلها تشترك فى مبادئ عامة فمما لا شك فيه أن لكل لغة استقلاليتها فى بعض المبادئ، وعلى ذلك فإن تفسير المماثلة والمخالفة الصوتيتين فى اللغة العربية فى ضوء لغات أخرى تفسير غالباً ما يكون غير صائب.

وفى هذا البحث سأقدم دراسة حول هاتين الظاهرتين ، ثم أقدم تفسيراً لهما من خلال التراث العربى العتيق ، وأردف ذلك بتفسير لميل العربية إلى المماثلة أحياناً وإلى المخالفة أحياناً أخرى ، وذلك من واقع ما ورد فى تراثنا العربى الأصيل مع مناقشة لبعض من آراء اللغويين المحدثين فى هذا الصدد.

ومثل هذا التفسير قد يدفع التناقض المتبادر إلى الذهن بسبب ميل العربية إلى الظاهرة وضدها.

المماثلة والمخالفة الصوتيتان بين القدماء والمحدثين

أولاً: المماثلة (١):

المماثلة في مفهوم اللغويين المحدثين (٢):

"المماثلة كما عرفها بعضهم: التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته ، ولا نقول ملاصقته لأصوات أخرى .

وهى كما عرفها بعض آخر : تحول الفونيمات (٣)

(١) مصطلح المماثلة عند المحدثين يقابله المصطلح الأجنبى "Assimilation".
ينظر : الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ١٧٨ ، ودراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عيسى ص ٣٢٥

(٢) كسان ينبغي أن أذكر مفهوم المماثلة عند القدماء أولاً ، ولكنى قدمت مفهوم المحدثين على مفهوم القدماء . وذلك لأن مفهوم القدماء للمماثلة يشمل أكثر من نوع من التغيير ، ولذلك فإن الحديث عن المماثلة في مفهوم القدماء سيكون متشعباً بعض الشيء .

(٣) كلمة "فونيم" "Phoneme" مصطلح حديث ، ويقصد به ما أسماه المحدثون بالوحدة الصوتية .

وعرفت الوحدة الصوتية على أنها " الصوت أو مجموعة الصور الصوتية التى تعبر عن قيمة واحدة مهما تعددت صورها أو تغيرت صفاتها (أى: أنها تعبر عن حرف أبجدي واحد" ينظر : أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن جبل ص ٨٥، ٨٦ ومدخل إلى علم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوى ص ١١٠، ١١١، ١١٢ .

وعلى ذلك فالسمين فى كلمة (الصراط) المنطوقة بالسمين وحدة صوتية ، والصاد . فى كلمة (الصراط) المنطوقة بالصاد صورة صوتية أو بديل صوتى عن السمين ، لأنها لم تغير المعنى

وقد أطلق المحدثون على مثل هذا البديل الصوتى مصطلح "الألفونيم" "Allophone" أو الفون .

ومصطلح "فونيم" "Phoneme" للدلالة على الوحدة الصوتية والألفونيم "Allophone" للدلالة على البديل الصوتى من المصطلحات الواردة إلينا من لغات أخرى .

وقد توصل علماء اللغة العرب منذ القدم إلى هذين المصطلحين وأدركوا الفرق بينهما

فلقد " أدرك ابن جنى ومن قبله سيبويه الفرق بين الفونيم ، أى: الوحدة لصوتية والفون أى : الصورة الصوتية ، وسمى النوع الأول بالحروف =

المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً".^(١)

المماثلة في مفهوم اللغويين القدماء:

ينبغي هنا أن نحدد مفهوم مصطلح المماثلة عند القدماء
بذلك لأن عدم تحديد المصطلح فيه إضاعة لجهد القدماء في بحث
الظاهرة وتوضيحها ، كما أن عدم تحديد المصطلح فيه تشتت لذهن
الدارس للغة العربية .

والمماثلة الصوتية بالمفهوم السابق عند المحدثين تشمل
خمسة أنواع مختلفة من التغيير ، وكل نوع من هذه التغييرات له
مصطلح عند القدماء ، وهي على النحو التالي :-

أ- إذا كان التغيير من حرف صامت إلى حرف صامت آخر
وكان الهدف منه التجانس بين الحروف في الصفة؛ وهو
درجة من المماثلة أطلق عليه القدماء مصطلح "الإبدال".

وذلك نحو إبدال تاء افتعل طاء إذا كانت الفاء أحد حروف
الإطباق الأربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء نحو : اَصْطَبَّرَ
وَاصْطَرَبَ وَاطَرَدَ وَاطْطَلَمَ وَالْأَصْل : اصْتَبَّرَ وَاضْتَرَبَ وَاطْتَرَدَ وَاطْطَلَمَ.

= الأصول ، وتشمل حروف العربية التبعة والعشرين . وسمى النوع الآخر
بالحروف الفروع ، وقسمها إلى قسمين ، قسم يؤخذ به في القرآن الكريم ونصيح
الكلام ، وهو النون الخفيفة أو الخفية والهمزة المخففة وألف التثنية وألف الإمالة
والشين التي كالجيم وغير مستحسنة وهي ثمانية لا يؤخذ بها في القرآن ولا
في الشعر ، وهي الجيم التي كالكاف ، والجيم كالشين ... يُنظر مدخل إلى علم
اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي ص ١٨٠ وينظر : الكتاب ٤/٤٣٢ وم
صناعه الإعراب لابن جني ٥٦/١

^(١) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر ص ٣٢٤

وقد علل لذلك ابن يعيش بالتجانس بين الحروف؛ والذى قلنا
إنه درجة من المماثلة إذ يقول: "والعلة فى هذا الإبدال أن هذه
الحروف مستعلية فيها إطباق ، والتاء مهموس غير مستعل فكرهوا
الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافية فأبدلوا من التاء طاء لأنهما
من مخرج واحد ، ألا ترى أنه لولا الإطباق فى الطاء لكانت دالا
ولولا جهر الدال لكانت تاء ، فمخرج هذه الحروف واحد إلا أن ثَمَّ
أحوالا تفرق بينهم من الإطباق والجهر والهمس وفى الطاء
إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ، ويكون العمل من
وجه واحد فيكون أخف عليهم ، ومثله الإمالة ليس الغرض منها إلا
تقريب صوت من صوت". (١)

وتعليل هذا الإبدال بالمماثلة بين الحروف هو ما علل به سيبويه
إذ يقول: "وقالوا فى "مُفْتَعِلٍ" من صَبَرْتُ : مُصْطَبِرٌ ، أرادوا
التخفيف حين تقاربا ، ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك ، يعنى قرب
الحرف ، وصارا فى حرف واحد .. فأبدلوا مكانها أشبه الحروف
بالصاد ، وهى الطاء ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف
. وليكون عملهم من وجه واحد". (٢)

ومن هذا النوع من التغيير أيضا الذى أطلق عليه القدماء
مصطلح الإبدال ، إبدال تاء "افتعل" دالا إذا كانت الفاء زاء ، وذلك
نحو أَرْدَجَرَ وَأَرْدَهَى وَأَرْدَانَ وَأَرْدَلَفَ ، والأصل : أَرْتَجَرَ وَأَرْتَهَى
وَأَرْتَانَ وَأَرْتَلَفَ ، لأنه افْتَعَلَ من الرَجَر والزَّهْو والزَّيْنَة والزَّلَف .

وقد علل ابن يعيش لذلك بالتقريب الذى يعنى درجة من المماثلة بين الحروف إذ يقول : " فلما كانت الزاى مجهورة والتاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء فى المخرج ، وأخت الزاء^(١) فى الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر ، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاء ، وهى الدال فقالوا : **أَزْدَجَرَ ، وَأَزْدَان**"^(٢)

ب- إذا كان التغيير من حرف صامت إلى حرف فرعى، أو صورة صوتية قصد بها التناسب فى الصفات أطلق عليه القدماء مصطلح "المضارعة".

وقد عقد إمام العربية سيبويه باباً أسماه " هذا باب الحرف الذى يُضَارَعُ به حرف من موضعه ، والحرف الذى يضارع به ذلك الحوف وليس من موضعه."^(٣)

وذلك نحو إشمَامِ الصاد الساكنة الواقعة قِيلِ الدال صوت الزاى وذلك بأن يُنْحَى بالصاد نحو الزاى ، وذلك بإشرايها جهر الزاى .
يقول سيبويه : " فأما الذى يُضَارَعُ به الحرف الذى من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال .وذلك نحو : مَصْدَرٌ ، وَأَصْدَرٌ .
والتَّصْدِيرُ ، لأخهما قد صارتا فى كلمة واحدة ، كما صارت مع التاء فى كلمة واحدة فى "أفتعل" فلم تدغم الصاد فى التاء لحالها التى ذكوت لك.....

(١) حرف "الزاى" ينطق بالهمزة "زاء" وبالياء "زأى" وقد استعمل ابن يعيش فى هذا النص الاثنين.

(٢) شرح المفصل ٤٨/٦ .

(٣) الكتاب ٤٧٧/٤ .

فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذى هو من نفس الحرف من باب مَدَّدَتْ ففعلوا الأول تابعاً للآخر ، فصارعوا به أشبه الحروف بالdal من موضعه ، وهى الزاى ، لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوا زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق..... وسمعنا بعض العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة ، كما جعلوا الإطباق ذاهباً فى الإدغام. وذلك قولك فى التَّصْدِيرِ : التَّزْدِيرِ ، وفى الْقَصْدِ : الْقَزْدُ ، وفى أَصْدَرْتُ : أَزْدَرْتُ^(١)

وعلى ذلك فإشراب الصاد فى نحو "مصدر" صوت الزاى ، أو إبدالها زاياً خالصة كان يسبب المماثلة بين الدال والصاد.

يقول ابن يعيش : "فمن أبدل من الصاد زاياً خالصة فحجته أن الصاد مطبقة مهموسة رخوة قد جاورت الدال وهى مجهورة شديدة غير مطبقة فلما كان بين جَرَسِيَّهِمَا هذا التناقض نَبَت الدال عنها بعض نَبَوَ فَقَرَّبُوا بعضها من بعض ولم يمكن الإدغام ولم يجترئوا على إبدال الدال لأنها ليست زائدة كالتاء فى "افْعَلْ" نحو أَصْطَبِرْ ، فابدلوا من الصاد زاياً خالصة فتناسبت الأصوات ، لأن الزاى من مخرج الصاد وأختها فى الصفير ، وهى تناسب الدال فى الجهر فتلاعما وزال ذلك النَبَوَ ... وأما المضارعة فأن تنحو بالصاد نحو الزاى فقصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاى ، ولم يبدلوا زاياً كالوجه الذى قبله محافظة على الإطباق.^(٢)

والصاد فى نحو "مَصْدَر" وحدة صوتية "فونيم" ، والزأى
المبدلة منها صورة صوتية أو بديل صوتى "فون" ؛ وذلك لأن
المعنى لا يتغير ، وكذلك الصاد المشربة صوت الزأى بديل صوتى
عن الصاد ، وهى من الحروف الفرعية ، فلقد عدَّ سيبويه الصاد
التي تكون كالزأى من الحروف الفرعية المستحسنة التي تستحسن
فى قراءة القرآن والأشعار^(١).

وعلى ذلك فالـتغيير تمّ بتحويل حرف صامت أصلى إلى صورة
صوتية ، وكذلك إلى حرف فرعى .
جـ- إذا كان التغيير من حركة كاملة إلى حركة أخرى كاملة
وكان هذا التغيير يحقق نوعاً من المماثلة أطلق عليه القدماء
مصطلح "الإتباع".

فلقد أطلق سيبويه مصطلح الإتباع على نحو كسر هاء
الضمير^(٢) فى " بِهِمْ " و" بِذَارِهِمْ " وكسر الميم من " مَغِيرَةٌ " و" مَعِينٌ " فى
مُغِيرَةٌ^(٣) و" مَعِينٌ " .

كما أطلقوا هذا المصطلح على ضم همزة الوصل - مع أن الأصل
فيها الكسر - من أجل حركة الحرف الثالث المحرك بالضم وذلك نحو
" أَخْرَجَ " و " أَقْتُلْ .. الخ .

(١) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٢ .

(٢) الأصل فى هاء الضمير الغالب أن تحرك بالضم ولكنها كسرت من أجل المماثلة بين كسرة الماء
والكسرة قبلها .

(٣) ينظر : الكتاب ١/ ١٠٩ .

يقول الزمخشري عن همزة الوصل: "وحكمها أن تكون مكسورة ، وإنما ضُمت في بعض الأوامر وفيما بنى من الأفعال الواقعة بعد ألفاتها أربعة أحرف فصاعدا للمفعول للإتباع".^(١)

ويقول ابن يعيش: "فإن كان الثالث من الاسم الذي فيه همزة الوصل مضموما ضمما لازما ضُمَّت الهمزة نحو "أَقْتُلْ" "أَخْرُجْ" "أَسْتَضِيعَفْ" "انْطَلِقْ بِهِ"^(٢)

وقد علل ابن يعيش لهذا الإتيان تعليلاً صوتياً فقال: "وذلك أنهم كرهوا أن يخرجوا من كسرة إلى ضمة ، لأنه خروج من ثقیل إلى ما هو أثقل منه ليس بينهما إلا حرف ساكن ، ولذلك من الاستثقال قَلَّ في كلامهم نحو يَوْمٍ ويَوْخٍ للخروج من الياء إلى الواو وكثر في كلامهم نحو وَيْلٍ ووَيْحٍ ووَيْسٍ لأن فيه خروجاً من ثقیل إلى ما هو أخف منه"^(٣).

كما علل علماء القراءات القرآنية للقراءات الوارد فيها مثل هذا الإتيان عللوا لها بالخفة والانسجام الصوتي .

فلقد علل أبو زرعة لقراءة أبي عمرو لقوله تعالى: (عَلَيْهِمُ الدَّيْلَةُ)^(٤) وقوله تعالى: (بِهِمُ الْأَسْبَابُ)^(٥) بكسر الهاء والميم، علل لها بالإتيان الذي قلنا إنه نوع من المماثلة .

^(١) شرح المفصل ١٣٦/٩ .

^(٢) المابق ١٣٧/٩ .

^(٣) شرح المفصل ١٣٧/٩ .

^(٤) من الآية ٦١ من سورة البقرة .

^(٥) من الآية ١٦٦ من سورة البقرة .

يقول أبو زرعة: "وأما أبو عمرو فإنه لما غير الهاء عن أصلها^(١) كراهية الثقل ، فعل ذلك في الميم حين أراد تحريكها للسكن بعدها ، فأتبع الميم كسر ما قبلها كراهية أن يخرج من كسر إلى ضم ، فأتبع الكسر الكسر ليؤلف بين الحركات عند حاجته إلى تحريك الميم^(٢)".

د- إذا كان التغيير بالانتقال من حركة كاملة إلى حركة ناقصة أطلق عليه القدماء مصطلح "الإمالة" ، وذلك نحو إمالة الألف نحو الياء.

وقد عرف الزمخشري الإمالة فقال: "الإمالة أن تحو بالآلف نحو الكسرة ليتجانس الصوت^(٣)".

وعرفها مكي بن أبي طالب القيسي فقال: "معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة^(٤)".

وعلل لها سيبويه بتقريب الصوت من الصوت أو مشكلة الصوت الصوت ، وهو درجة من المماثلة الصوتية .

يقول سيبويه: "فالآلف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك : عَابِدٌ ، وَعَالِمٌ ، وَمَسَاجِدٌ ، وَمَقَاتِلُجْ ، وَعُذَافِرٌ ، وَهَابِيلٌ وَإِنَّمَا أَمَالُوهَا للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقرّبوها منها ، كما قرّبوا في

(١) الأصل في الهاء أن تكون مضومة ، وقد غيّرت إلى الكسر لتتاسب الياء قبلها

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٨٢

(٣) شرح المفصل ٥٤/٩ وينظر في تعريفها الأصول في النحو لابن السراج ٦٠/٣ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١٦٨/١ وأسرار العربية لابن الأنباري ص ٢٠٦ وإرتشاف الضرب لأبي حيوان ٢٣٨/١ وشرح الشافية ٤ / ٣ ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي ٢٤٧/١

(٤) الكشف ١٦٨/١

الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر ، فجعلوها بين الزاي والصاد ، ففَرَّيْها من الزاي والصاد التماس الخفة ، لأن الصاد قريبة من الدال ، ففَرَّيْ بها من أشبه الحروف من موضعها بالدال . وبيان ذلك في الإدغام فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد . كذلك يُقَرَّب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك . فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يقرَّبوها منها^(١).

وعلى لسان ابن يعيش أيضاً بالمشاكل الصوتية إذ يقول: "والغرض من الإمالة : تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل ، وذلك إذا ولى الألف كسرة قبلها أو بعدها نحو عَمَادٍ وَعَالِمٍ فيميلون الفتحه قبل الألف إلى الكسرة ويميلون الألف نحو الياء ، فكما أن الفتحه ليست فتحه محضة ، فكذلك الألف التي بعدها ، لأن الألف تابعة للحركة فكانها تصير حرفاً ثالثاً بين الألف والياء ... كأنهم فعلوا ذلك هنا كما فعلوا في الإدغام ، وقرَّبوا بعضها من بعض نحو قولك في مَصْدَرٍ : مَزْدَرٍ " ففَرَّيْوا الصاد من صوت الزاي ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا^(٢).

هذا ، وقد أطلق ابن جنى على هذه الأنواع الأربعة من التغيير بسبب التماثل بين الحروف اسم الإدغام الأصغر^(٣) ، وسماه أصغر لأنه لا يقع فيه إدغام حقيقي .

^(١) الكتاب ١١٧/٤

^(٢) شرح المفصل ٥٥/٩

^(٣) ينظر : الخصائص ١٣٩:١٤٥/٢

هـ- إذا كان التغيير بسبب المماثلة يؤدي إلى فناء صوت
فى صوت آخر أطلق عليه القدماء مصطلح "الإدغام"

ومعنى الإدغام فى اصطلاح اللغويين : "أن تصل حرفاً ساكناً
بحرف مثله متحرك من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف
فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة
واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك لاعلى حقيقة التداخل
والإدغام وذلك نحو شذّ ومدّ ونحوهما.^(١)

وقد علل ابن يعيش للإدغام بالتخفيف الناتج عن المماثلة
إذ يقول :- "والغرض بذلك - أى الإدغام - طلب التخفيف لأنه ثقل
عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به ، وصار ذلك ضيقاً فى
الكلام بمنزلة الضيق فى الخطو على المقيد لأنه إذا منعه القيد من
توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيد قدمه إلى موضعها الذى نقلها منه
فثقل ذلك عليه ، فلما كان تكرير الحرف كذلك فى الثقل حاولوا
تخفيفه بأن يدغموا أحدهما فى الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج
الحرف المكرر وضعة واحدة ، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا
ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه ".^(٢)

^(١) شرح المفصل ١٢١/١٠ وينظر الأصول فى النحو لابن السراج ٤٠٥/٣
وشرح الشافية ٢٣٣/٣ والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٧٤/١ فى هذه
المراجع تفصيل فى دراسة الإدغام ولا يتسع المجال هنا لذكر هذا التفصيل
^(٢) شرح المفصل ١٢١/٩.

تعقيب

اتضح لنا مما سبق أن مصطلح " المماثلة الصوتية " عند اللغويين المحدثين يشتمل على مصطلحات خمسة عند اللغويين القدامى هي الإبدال، والمضارعة، والإتباع، والإمالة ، والإدغام .

وتحديد المصطلح على هذا النحو يجعلنا ندرك مدى الجهد الذى بذله القدماء فى بحث هذه الظاهرة ودراستها .

كما يوضح لنا هذا التحديد أن بحث اللغويين المحدثين - العرب منهم وغير العرب- لظاهرة المماثلة لم يخرج فى كبر أو صغیر على ما ورد فى التراث العربى العتيق .

سبب المماثلة

عندما ننظر إلى المماثلة فى نحو "اَظَرَدَ" والأصل فيها " اِظَرَدَ " نجد أن تاء "اَفْعَلَّ" تأثرت بالطاء قبلها ، وذلك لأن التاء صوت مهموس، مفتوح ، والطاء صوت مجهور، مطبق ، وعلى ذلك فبين الصوتين تنافر فى هاتين الصفتين ، ومن أجل التخلص من هذا التنافر أبدلت التاء طاء ، وذلك لأنها مجانسة ^(١) للتاء ، فالطاء والتاء يخرجان من مخرج واحد ، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ^(٢) ثم أدغمت الطاء فى الطاء اختصاراً واقتصاداً فى الجهد العضلى لأعضاء النطق .

وهكذا فإننا نجد المماثلة تمت فى الخطوة الأولى نتيجة لتأثر صوت التاء بصوت الطاء.

والخطوة الثانية تمت للاختصار فى الجهد العضلى ، وهذا يبين لنا أن للمماثلة سببين :

- الأول : تأثر الأصوات بعضها ببعض .
- الآخر : الاقتصاد فى الجهد العضلى .

أقسام المماثلة

يمكن تقسيم المماثلة الصوتية بناء على الأسس التالية :-

١- تقسيم المماثلة من حيث درجتها :-

المماثلة من هذه الناحية إما مماثلة كلية وإما مماثلة جزئية

(أ) المماثلة الكلية :-

فالمماثلة الكلية تكون نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض .
درجة أن يؤدي هذا التأثير إلى الإدغام، وذلك كما في حالة ما إذا
كانت فاء " افتعل " طاء ، نحو : " اطلب " من الطلب فأصلها " اطلبَّ
" تأثرت تاء " افتعل " بالطاء ، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها
والطاء مجهورة مطبقة فأبدلت التاء طاء ، لأنها مناسبة^(١) للتاء .
فالطاء والتاء يخرجان من مخرج واحد ، وهو طرف اللسان وأصول
الثنايا العليا^(٢)، ثم أدمجت الطاء في الطاء اختصارا واقتصارا في
الجهد العضلي لأعضاء النطق .

وجاء مثل هذا النوع من المماثلة في القراءة القرآنية ، وذلك كما
في قراءة ابن محيصن لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ
النَّارِ﴾^(٣) : ﴿ثُمَّ أَطْرَهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾^(٤) بإدغام الضاد في الطاء .

(١) ينظر شرح المفصل ١٤٩/١٠ وشرح الشافية ٢٢٦/٣ .

(٢) ينظر الكتاب ٤٣٣/٤ وسر الصناعة ٥٣/١ .

(٣) من الآية ١٢٦ من سورة البقرة

(٤) ينظر : المحتسب ١٠٦/١

فـ(أَظَرَّهُ) أصله (أَضَرَّهُ) تأثرت التاء بالضاد فأبدلت طاء ، ثم تأثرت الضاد بالطاء ، فأبدلت طاء ، ثم أدغمت الطاء في الطاء .

كما جاء مثل هذا النوع من المماثلة الكلية في قراءة عاصم الجحدري لقوله تعالى : ﴿أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾^(١) ﴿أَنْ يُصَلِّحَا﴾^(٢).

يقول ابن جنى معلقا على هذه القراءة : "أراد 'يُصَلِّحَا' ، أى : يفتعلا ، فأثر الإدغام ، فأبدل الطاء صاداً ، ثم أدغم فيها الصاد التسي هي فاء ، فصارت 'يُصَلِّحَا' "^(٣)

فالطاء في "يُصَلِّحَا" أصلها : "يُصَلِّحَا" ، ثم تأثرت التاء بالصاد فأبدلت طاء ، ثم تأثرت الطاء بالصاد فأبدلت صاداً ، ثم أدغمت الصاد في الصاد .

ب) المماثلة الجزئية :

وتكون المماثلة الجزئية : " حين لا يتطابق الصوت مع الآخر مثل : "انبعث" التي تنطق النون فيها ميماً تحت تأثير الأصوات الشفوية فنتيجة : ن + ب هي : م + ب وليس ب + ب "^(٤)

وقد أطلق علماء التجويد العرب على مثل هذا النوع من المماثلة الوارد في المثال السابق اسم الإقلاب^(٥)

(١) من الآية ١٢٨ من سورة النساء

(٢) المحتسب ٢٠١/١

(٣) المحتسب ٢٠١/١

(٤) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥ . ومع أن كلمة (انبعث) كلمة قرآنية وردت في قوله تعالى : ﴿إِذْ أَنْبِئْتُ أَنْبَاَهَا﴾ الشمس ١٢ " (لا أنه لم يشر إلى ذلك ، وكذلك لم يشر إلى تسمية القدماء العرب لمثل هذا النوع من المماثلة بـ "الإقلاب"

(٥) الإقلاب في اصطلاح علماء التجويد : جعل حرف مكان آخر . ينظر : نهاية

القول المفيد ص ١٢٢

والإقلاب حكم من أحكام النون الساكنة والتنوين ^(١) ، إذا وقع بعدهما باء وذلك نحو (أَنْيْتُهُمْ) ^(٢) و (أَنْ بُورِكَ) ^(٣) و (سَمِيعٌ بَصِيرٌ) ^(٤) ، فيجب حينئذ قلب النون الساكنة ميما من أجل المماثلة الصوتية مع الباء ، وأجمع قراء القرآن الكريم على مثل هذا النوع من القلب. وقد علل علماء القراءات لمثل هذا القلب بالمماثلة الصوتية.

يقول مكى بن أبى طالب القيسى : " وعلة بدل النون الساكنة ميما إذا لقيتها باء أن الميم مؤاخية للباء لأنها من مخرجها ومشاركة لها فى الجهر ، والميم أيضا مؤاخية للنون فى الغنة وفى الجهر فلما وقعت النون قبل الباء ، ولم يمكن إدغامها فى الباء لبعد ما بين مخرجيهما ، وبعد إظهارها لما بينهما من الشبه ، ولما بين النون وأخت الباء من الشبه وهى الميم ، أبدلت منها حرفا مؤاخيا لها فى الغنة ، ومؤاخيا للباء فى المخرج وهو الميم ^(٥) .

ومن المماثلة الجزئية إبدال تاء الافتعال طاء إذا كانت الفاء طاء أو صاد أو ضادا ، وذلك نحو : أَظْلَمَ مِنَ الظُّلُمِ ، وَمُضْطَبِّرٌ واضْطَرَبَ ، والأصل فى هذه الأمثلة : أَظْلَمَ ، وَمُضْطَبِّرٌ واضْطَرَبَ تأثرت التاء وهى حرف مهموس منفتح بهذه الحروف الثلاثة ، وهى

(١) التنوين من الناحية الصوتية هو نون ساكنة أيضا

(٢) من الآية ٣٣ من سورة البقرة

(٣) من الآية ٨ من سورة النمل

(٤) من الآية ٦١، ٧٥ من سورة الحج

(٥) الكشف ١٦٥/١ وينظر : نهاية القول المفيد ص ١٢٣

مجهورة ، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء ، وهو الطاء
فجعلوه مكان التاء ، لأنه مناسب للتاء في المخرج وللصاد والضاد
في الإطباق^(١) .

كما تقع المماثلة الجزئية أيضاً عندما تبدل السين ضاداً إذا وقع
بعدها غين أو خاء أو قاف ، وذلك نحو قولهم في : أَصْبَغَ ، وَسَلَخَ .
مَسَّ سَقَرٌ ، و سِرَاطٌ : أَصْبَغَ ، وَصَلَخَ وَمَسَّ صَقَرٌ ، صِرَاطٌ .

ويعلل الرضى لذلك بقوله : "أعلم أن هذه الحروف مجهورة
مستعلية ، والسين مهموس مستفل ، فكرهوا الخروج منه إلى هذه
الحروف لثقله ، فأبدلوا من السين صاداً ، لأنها توافق السين في
الهمس والصغير ، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء ، فتجانس
الصوت بعد القلب " ^(٢) .

وقد جاءت المماثلة الجزئية في كثير من القراءات القرآنية
وذلك كما في قراءة القراء السبعة - عدا ابن كثير وحمة - كلمة
(الصِّرَاط) بالصاد بدلاً^(٣) من السين في قوله تعالى : ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)
وفي تعليل مكي لهذه القراءة يقول : " وحجة من قرأه بالصاد أنه
اتبع خط المصحف ، وأن السين حرف مهموس فيه تسفل ، وبعدها

(١) ينظر في ذلك : شرح الشافعية ٢٢٦/٣ وشرح المفصل ١٠/١٤٩ .

(٢) ينظر شرح الشافعية ٢٣٠/٣ .

(٣) ينظر : الكشف ٢٤/١ وحجة القراءات لأبي زراعة ص ٨٠ وتفسير ابن عطية
" المحرر " الوجيز ٧٤/١ وتفسير القرطبي ١٩٤/١ .

(٤) سورة الفاتحة آية ٦٠٥ .

حرف مطبق مجهور مستعل ، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستقل المهموس فيه تكلف وصعوبة فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق ، والتصعد ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعد عملاً واحداً ، فذلك أسهل وأخف^(١).

٢- تقسيم المماثلة من حيث أى الصوتين يتأثر بالآخر:

وأما من ناحية تأثر أحد الصوتين بالآخر فالمماثلة تنقسم إلى قسمين :

أ- تقديمية

ب- رجعية^(٢)

فتكون المماثلة تقديمية في حالة ما إذا تأثر الصوت الثانى بالأول كالإبدال السابق الواقع في صيغة " افْتَعَلَ " عندما تأثرت التاء بالطاء والظاء والصاد والضاد عند سبق أى منهن لها فأبدلت طاء .

وكما في قراءة ابن أبى عبلة لقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٣) : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٤) على إتباع الثانى للأول .

وتكون المماثلة رجعية عندما يتأثر الصوت الأول بالثانى وذلك نحو تأثر السين بالعين والحاء ، والقاف الواقعات بعدها نحو :

(١) الكشف ٣٤/١

(٢) ينظر في ذلك : شرح الشافية ٢٣٠/١٣ ودراسة الصوت اللغوى ص ٢٢٥ والأصوات اللغوية ص ١٨٠ .

(٣) من الآية ٢ من سورة الفاتحة

(٤) ينظر في هذه القراءة : المحتسب ٣٧/١ و الكشف ١٠/١ وتفسير ابن عطية

أَصْبَغَ ، وَصَلَحَ ، وَمَسَّ صَقْر ، فالسين تأثرت بهذه الحروف وأبدلت صادا (١).

وكما فى قراءة الحسن البصرى وزيد بن على : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ :
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ بالكسر على إتباع الأول للثانى (٢)

٢- تقسيم المماثلة من حيث اتصال الصوتين وإنفصالهما :

والمماثلة من هذه الناحية قد تكون :

أ) متصلة
ب) منفصلة .

فالممتصلة تكون عندما يتصل الصوتان المؤثر والمتأثر كإبدال الواقع فى صيغه " افعل " .

وكما فى القراءتين السابقتين : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .
والمنفصلة تكون عندما لا يتصل الصوتان المؤثر والمتأثر كما
فى أصبغ ، وصلح ، حيث تأثرت السين بالغين والخاء الواقعتين
بعدها بحرف فاصل فأبدلت صادا .

ويعلل لذلك ابن جنى بقوله : " إن حروف الاستعلاء تجذب
السين عن سفالها إلى تعاليهن ، والصاد مستعلية وهى أخت السين
فى المخرج ، وإحدى حروف الاستعلاء (٣)

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥ وسمى المماثلة المتصلة بالمماثلة بين
أصوات متاخمة وتسمى حينئذ مماثلة تجاورية contact-assimilation أو غير
متاخمة وتسمى مماثلة تباعدية Distant-assimilation
(٢) ينظر فى هذه القراءة : المحتسب ٣٧/١ و الكشاف ١٠/١ وتفسير ابن
عطية ٦٦/١ .

المماثلة الصوتية بين الاطراء والشذوذ

المماثلة الصوتية تنقسم من هذه الناحية إلى :-

أ - قياسية مطردة .

ب- قياسية غير مطردة .

ج - مماثلة شاذة أو قليلة.

أولاً : المماثلة القياسية المطردة :

المماثلة القياسية المطردة : هي التي تحدث ولا تتخلف وذلك نحو إبدال تاء "افتعل" طاء إذا كانت الفاء أحد حروف الإطباق وهي : الصاد و الضاد والطاء والظاء ، وذلك نحو " اصْطَبَرَ " ، و " اضْطَرَبَ " ، و " اطْرَدَ " و " اظْطَلَمَ " والأصل " اصْطَبَرَ " و " اضْطَرَبَ " و " اطْطَرَدَ " و " اظْطَلَمَ " .

وعن أطراد مثل هذا الإبدال يقول ابن يعيش: " فأما إبدالها طاء - أى تاء الافتعال - فمع حروف الإطباق ، ويلزم ذلك ويهجر الأصل كما هجر فى نحو "قام" ، و"قال" ؛ وذلك أنه يستثقل اجتماع هذه الحروف المتقاربة كاستثقال اجتماع الأمثال ، وإذا كانت فى كلمة واحدة ولم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلاً كما كان المثلاث إذا لم يكونا منفصلين أثقل لأن الحرف لا يقارنه ما يستثقل ، وكانت هذه الحروف مخالفة للتاء ، لأنها مستعلية مطبقة ، والتاء حرف مفتوح غير مطبق فأبدلوا من التاء طاء لأنها من مخرجها إذ لولا إطباق الطاء لكانت دالا ، ولولا جهر الدال لكانت تاء فمخرجهن واحد ، وإنما ثم أحوال تفرق بهن من الإطباق والجهر والهمس فهى موافقة

لما قبلها فى الإطباق فيتجانس الصوتان وصار العمل فيهن من جهة واحدة ، وقد علم أنه لا لبس فى ذلك ^(١) .

ومن المماثلة القياسية المطردة إبدال تاء الافتعال دالا إذا كانت الفاء أحد ثلاثة أحرف الدال والذال والزاي ، وذلك نحو "أَدَانَ" و"أَذَكَّرَ" و"أَزَدَانَ" من الدّين والذّكر والزّين .

ويعلل ابن يعيش لذلك قائلا : " وإنما وجب إبدالها دالا هنا لأنهم كرهوا اجتماعها للتقارب ولاختلاف أجناسها ، وذلك أن الدال والذال والزاي مجهورة ، والتاء مهموسة ؛ فأرادوا تجانس الصوت فأبدلوا التاء الدال لأنها من مخرجها وهى مجهورة فتوافق بجهرها جهر الدال والذال فيقع العمل من جهة واحدة ، ثم أدغموا الدال والذال فيها ولم يجز الإدغام فى الزاي ؛ لأن الزاي حرف من حروف الصغير فلو أدغموها لذهب الصغير ، ويجوز فيه بعد قلب التاء قلبان :

أحدهما : أن تقلب الذال دالا ، وتدغم فى الدال التى بعدها فتصيران فى اللفظ دالا واحدة شديدة

والوجه الثانى أن تقلب الدال ذالا وتدغم فيكون اللفظ ذالا معجمة ... فعلى هذا تقول : "أَذَكَّرَ وَأَزَانَ" ... وحكى أبو عمرو عنهم : "أَذَكَّرَ فهو مُذَكِّرٌ" ^(٢)

(١) شرح المفصل ١٠/١٤٨ ، وينظر شرح الشافية ٣/٢٢٦ .

(٢) شرح المفصل ١٠/١٥٠

ثانيا : المماثلة القياسية غير المطردة :

وتكون المماثلة قياسية غير مطردة كما فى الحالات الآتية :

أ- فى حالة إبدال السين صاددا إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء .

وهذه الحروف تجوّز قلب السين متصلة بها كانت " كَصَقَّر " أو منفصلة عنها بحرف ، نحو : صَلَخَ ، أو بحرفين أو ثلاثة نحو صَلَّقِي وَصَرَاطِ ، وَصَمَالِيَقَ .^(١)

" فإذا تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ وهى متقدمة ، لأنها إذا تأخرت كان المتكلم منحدرا بالصوت من عال ، ولا يتقل ذلك ثقل التصعد من منخفض ، فلا تقول فى قست : قصت .

ويقول الرضى عن ذلك : " وهذا القلب قياس لكنه غير واجب " ^(٢).

ب- وكما فى حالة إبدال الزاى من السين الساكنة الواقعة قبل السدال فى نحو " يَزْدُر " فى " يَسْدُر "

ويعلل لذلك ابن يعيش فيقول : " إذا وقعت السين قبل الدال ساكنة أبدلت زايًا خالصة نحو : " يَزْدُر " فى " يَسْدُر " : إذا تحير ، و " يَزْدُل " فى " يُسْدِلُ ثوبه " : إذا أرخاه ، والعلة فى ذلك أن السين حرف مهموس والدال حرف مجهور ، فكهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه ولم يمكن الإدغام فقرّبوا أحدهما من الآخر ، فأبدلوا من السين زايًا

لأنها من مخرجها وأختها في الصغير ، وتوافق السدال في الجهر
فيتجانس الصوتان.^(١)

ج - وكما في إبدال الزاي من الصاد^(٢) الساكنة الواقعة قبل السدال
وذلك نحو قول حاتم الطائي : " هَذَا فَرْدِي أَنَّهُ " في " فَصْدِي أَنَّهُ "
و " أَزْدَرْتُ " في " أَصْدَرْتُ " .

وفي تعليل ذلك يقول ابن يعيش : " فمن أبدل الصاد زايًا خالصة
فحجته أن الصاد مطبقة مهموسة رخوة وقد جاورت السدال وهي
مجهورة شديدة غير مطبقة ، فلما كان بين جرسيهما هذا التنافي نبت
الدال عنها بعض نبؤ ، فقربوا بعضها من بعض " ^(٤)

ثالثا : المماثلة الشاذة أو القليلة :

وتكون المماثلة شاذة كما في حالة ما إذا أبدلت تاء الضمير طاء
تحت تأثير صوت مجاور كما في " فَحَصَّطُ " والأصل " فَحَصَّتْ " .

يقول الرضي : " وشذ - أي الإبدال - في مثل : " فَحَصَّطُ "
وهذه لغة تميم ، وليست بالكثيرة أعني جعل الضمير طاء إذا كان لام

(١) شرح المفصل ٥٢/١٠ ، وينظر: شرح الشافية ٢٣٢/٣

(٢) ويجوز في الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال وجه آخر من المماثلة وهو
المضارعة ، وذلك بأن يشرب صوت الصاد جهر الزاي مع بقاء الإطباق . ينظر

: شرح المفصل ٥٣/١٠ وشرح الشافية ٢٣٢/٣

(٣) "هَذَا فَرْدِي أَنَّهُ" قول لحاتم الطائي لما وقع في أسرقوم ففزا رجالهم ، وبقي
هو مع النسوة فأمرنه بقصد ناقة (أي : جرحها لأخذ دمها ليشتوه ويأكلوه)

فحصر الناقة وقال : هَذَا "فَرْدِي أَنَّهُ" ، أي : "فَصْدِي أَنَّهُ"

الكلمة صاداً ، أو ضاداً ، وكذا بعد الطاء والظاء ، نحو : " فَحَصَّطٌ " بِرَجُلِي ، وَحِصَّطٌ ^(١) عنه ، وأحط ^(٢) و " حَفِطٌ " ^(٣) ، وإنما قل ذلك لأن تاء الضمير كلمة تامة فلا تغير ، وأيضاً هو كلمة برأسها ، فكان القياس ألا تؤثر حروف الأطباق فيها ، ومن قلبه فلكونه على حرف واحد كالجاء مما قبله ، بدليل تسكين ما قبله فهو مثل تاء " افتعل " ^(٤) .

وكما في "فُزِدُ" فالأصل "فُزْتُ" من الفوز ، أبدلوا من التاء دالاً لمكان الزاي ، ولا يقاس ذلك بل يسمع .. وقد حملهم طلب التجانس وتقريب الصوت بعضه من بعض على أن أبدلوا من التاء دالاً في غير " افتعل " وذلك قولهم: "دولج" في "تولج" كأنهم رأوا التاء مهموسة والواو مجهورة فأبدلوا من التاء الدال لأنها أختها في المخرج وأخت الواو في الجهر فتحصل المجانسة في الصوت ، وهذا قليل شاذ في الاستعمال ، وإن حسنا في القياس ، ولقلة استعماله لا يقاس عليه ^(٥) .

(١) أصل "حِصَّطٌ" : "حَصَّطٌ" تأثرت تاء الضمير بالصاد فأبدلت طاء.

(٢) أصل "أحطٌ" : "أحتٌ" ، تأثرت تاء الضمير بالتاء قبلها فأبدلت طاء ، ثم أدغمت الطاء في الطاء من أجل الإقتصاد في الجهد العضلي

(٣) أصل "حَفِطٌ" : " حَفِطْتُ " تأثرت تاء الضمير بالطاء قبلها فأبدت طاء ثم تأثرت الطاء بالطاء فأبدلت الطاء طاء وأدغمت الطاء المبدلة من الضمير في الطاء المبدلة من الظاء فصارت "حَفِطٌ".

(٤) شرح الشافية ٢٢٦/٣ ، ٢٢٧ وحِصَّطٌ أصلها حصت فأبدلت تاء الضمير طاء

(٥) شرح المفصل ٤٩/٩ .

ثانياً: المخالفة الصوتية

والمخالفة difference أو dissimilation عكس المماثلة

لأنها تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين " (١).

" وقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات ، أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات السامية وليست هذه الظاهرة إلا تطوراً تاريخياً في الأصوات " (٢).

ومن أمثلتها في الإنجليزية كلمتا: (٣) marble و (٤) pilgrim اللتان أصل (L) فيهما (r) (٥).

ولقد كان للعلماء العرب فضل كبير في شرح هذه الظاهرة وتوضيحها ، وليس صحيحاً ما ذهب إليه د/ أنيس عندما قال : " لم يفتن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة ، أو يولوها ما تستحق من عناية واضطرب تفسيرهم لها " (٦).

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٠.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٢١٠.

(٣) marble معناها بالإنجليزية المرمر أو الرخام . ينظر : قاموس المورد لمنير

البلعبي ص ٥٥٨.

(٤) كلمة pilgrim معناها بالإنجليزية الرحالة أو السائح أو الحاج أو المهاجر أو

أحد المهاجرين الإنجليز الذين أنشأوا أول مستعمرة في نيوانغلند بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٦٢٠ . ينظر : قاموس المورد لمنير البلعبي ص ٦٨٨.

(٥) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٠.

(٦) الأصوات اللغوية ص ٢١١.

فعلماء العربية لم يتركوا فرصة إلا تحدثوا عنها . فهذا هو
إمام العربية سيبويه يشير إلى أن المخالفة تعدّ لونا من ألوان
التخفيف ، فيقول : " واعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن
اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون في موضع واحد ^(١)

وعقد لها بابا أسماه : " هذا باب ما شذَّ فأبْدِل مكان اللام الياء " .
يقول فيه : " وذلك قولك : تَسْرِيْتُ ، وَتَظَنِّيْتُ وَتَقَصَّيْتُ من القِصَّةِ
وَأَمَلَيْتُ " ^(٢)

وقد عقد ابن جني في كتابه : " الخصائص " بابا سماه : " باب
في تدافع الظاهر " ^(٣)

حاول فيه أن يعزل لميل العربية إلى المماثلة أحيانا ، وإلى
المخالفة أحيانا أخرى ، وأشار في هذا الباب إلى أن المخالفة يؤتى
بها من أجل التخفيف عندما قال : " ومن ذلك استئقأهم المثلين حتى
قلبوا أحدهما ، نحو : أَمَلَيْتُ وأصلها أَمَلَلْتُ ، وفيما حكاه أحمد بن
يحيى أخبرنا به أبو علي عنه - من قولهم : لا وَرَبِّكَ لا أفعل ،
يريدون : لا وَرَبِّكَ لا أفعل ، وقالوا في أشد من ذا :

يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ أَنْشَبَ مِنْ مَا شَرَّ حِدَاءٍ
 قالوا : يريدون : حداد ، فأبدل الحرف الثاني ، وبينهما ألف حاجزة
 ثم قال مع هذا :
 لَقَدْ تَعَلَّتْ عَلَى أَيْتَقِ صُهِبَ قَلِيلَاتِ الْقُرَادِ اللَّازِقِ
 فجمعوا بين ثلاثة أمثال مصححة ، وقالوا : نصيب عرقا .
 وقال العجاج :

(إِذَا حَجَّاجًا مَقْلَتِيهَا هَجَّاجًا^(١))

والأمثلة التي ذكرها ابن جنى في نصه السابق قد جمعت بين
 عنصرى المماثلة والمخالفة ، ولذلك فكان من الطبيعي أن يعطل لذلك
 ابن جنى ، فيقول :-

"والجواب عن كل فصل من هذا حاضر" .

أما أمليت فلا إنكار لتخفيفه بإبداله^(٢) .

وأما (تعلت) و (هججا) ونحو ذلك مما اجتمعت فيه ثلاثة أمثال ،
 فخارج على أصل ، وليس من حروف العلة فيجب تغييره ، والذي
 فعلوه في (أمليت) و (لا وربك لا أفعل) و (أنشب من ماشر
 حداء) لم يكن واجبا فيجب هذا أيضا وإنما غير استحسانا ، فساغ
 ذلك فيه ، ولم يكن موجبا لتغيير كل ما اجتمعت فيه أمثال " .^(٣)

(١) السابق ٢٣١/٢ و ٢٣٢ .

(٢) الخصائص ٢٣٢/٢ .

(٣) الخصائص ٢٣٢/٢ .

فابن جنى يرى أن هذه المخالفة لم تكن واجبة مطردة ، وإنما كانت جائزة ، ولذلك فهم قد أبدلوا فى موضع ، ولم يبدلوا فى موضع آخر .

ويعلل للإبدال أحيانا ولعدم الإبدال أحيانا أخرى ، فيقول : " وبعد فإنهم إذا خففوا فى موضع ، وتركوا آخر شئ نحوه كان أمثل من ألا يخففوا فى أحدهما .^(١)

ثم يختم ابن جنى بابه هذا بقوله : " وكذلك جميع ما يرد عليك مما ظاهره ظاهره التدافع ، يجب أن ترفق به ، ولا تعنف عليه ، ولا تسرع إلى إعطاء اليد بانتقاض بابه والقياس القياس " .^(٢)

ونص ابن جنى هذا يدل على أن ميل العرب إلى تخفيف بعض لغتهم وتركهم البعض أسهل من تركهم الكل دون تخفيف .

كل هذا يؤكد أن الظروف اللغوية تعمل أحيانا على وجود المخالفة : وتؤدي أحيانا أخرى إلى وجود المماثلة ، ولقد عرض ابن جنى مثلا بعيدا عما نحن فيه يؤكد هذه الحقيقة ، فيقول : " وأما جمعهم فى مُهَيِّمَى بين خمس ياءات ، وكراهيتهم فى أُسَيِّدَى مُهَيِّمَى أربعة فلأن الثانية من أُسَيِّدَى^(٣) لما كانت متحركة وبعدها حرف متحرك فَلَقَنْتَ لذلك وَجَفَّتْ .

(١) الخصائص ٢/٢٣٢ .

(٢) السابق ٢/٢٣٢ .

(٣) بيان الياءات فى " أُسَيِّدَى " و " مُهَيِّمَى " على النحو التالى :-
أولا : " أُسَيِّدَى " تصغير " أسود " ومنسوب إليها . قيل النسب إليها كانت " أُسَيِّدَى " تصغير أسود ، أصلها " أُسَيِّودَى " ثم قلبت الواو بسبب التصغير ياء جوازا وأدخمت فى ياء التصغير ففعل : " أُسَيِّدَى " وعند النسب إليها مصغرة قيل : " أُسَيِّدَى " .
٣٠

ولما تبعته في مَهْيَمِي ياء المد لانت ونعمت وذلك من شأن المدات
وذلك استعملن في الأرداف والوصول والتأسيس والخروج^(١) ،
وفيهن يجرى الصوت للغاء والحداء والترنم والتطويح^(٢) .

وذلك بعد فك الإدغام ، وحذف الياء الثانية المتحركة ، لأن القاعدة الصرفية في
النسب إلى اسم قبل آخره ياء مشددة تقتضي فك الإدغام وحذف الياء المتحركة
تخفيفاً .

وقد علل ابن يعيش ذلك فقال : " وإنما حذفوا الياء لثقل الاسم باجتماع يساعين
وكسرتين بعدهما ياء الإضافة " أ : النسب " فثقل عليهم اجتماع هذه المتجانسات
فحذفوا الياء تخفيفاً ، وخصوا المتحركة بالحذف لأنه أبغض في التخفيف ، لأن
الاسم ينقص ياء فيخفف ، ولو حذفوا الياء الساكنة لبقيت الياء المكسورة
فتتوالى الكسرتان ، ولأنهم يقولون قبل النسبة " مَيْتٌ وَمَيْتٌ " و" هَيْنٌ وَهَيْنٌ "
فيخففون بحذف الياء المتحركة استئقلاً ، فإذا نسبوا وجاءوا ياء النسب لزموا
التخفيف على هذا المنهاج . ينظر : شرح المفصل ١٤٧/٥ .

وعلى ذلك فالعرب لم يستسغوا الجمع بين أربع ياءات في "أَسْيَدِيَّة" هي : ياء
التصغير والياء المنقلبة عن الواو ، وياء النسب المشددة ، فحذفوا واحدة .
ومع عدم استساغتهم أربع ياءات فقد استساغوا خمساً في "مَهْيَمِي" . وذلك لأن
كلمة "مَهْيَمِي" قبل النسب إليها كانت "مَهْيَمٌ" اسم فاعل من هوم يهوم : إذا نام .
وعند تصغيرها تصير "مَهْيُومٌ" بحذف إحدى الواوين لأنها زائدة يخرج بها الاسم
عن بناء التصغير ، كما حذفوا إحدى الدالين من "مقدم" عند التصغير ، ثم قلب
الواو الواقعة بعد ياء التصغير جوازاً كما أبدلت في "أسود" ثم أدغمت في ياء
التصغير فصارت "مَهْيَمٌ" .

وعند النسب إليها لزم التعويض بالياء عن الواو المحذوفة فقيل : "مَهْيَمِي" وقد
علل ابن يعيش لهذا التعويض بالياء تعليلين : فقال : "فإذا نسبت إليه -
أ : "مَهْيَمٌ" لزم التعويض لتفصل الياء الساكنة بين الثقيلين ، ولم يحذفوا الياء
الخفيفة لأنها لا يصير إلى مثال "حميري" فيلزم فيه حذف ياعين فنقول : "مَهْيَمِي"
خفيفة . شرح المفصل ١٤٧/٥ .
وعلى ذلك فقد استساغ العرب في مثل هذه الكلمة الجمع بين خمس ياءات هي :
ياء التصغير والياء بعدها المنقلبة عن الواو ، وياء التعويض بعدها ، ثم ياء
النسب المشددة .

(١) الردف والوصل والتأسيس والخروج مصطلحات عروضية يسمى بها حروف
القافية ، وهي على النحو التالي :-
(أ) الردف : حرف مد يكون قبل الروي مباشرة . والروي : هو الحرف الذي تبنى
عليه القصيدة وتنسب إليه ، فيقال : قصيدة رالية أو لامية .
(ب) الوصل : ما يجيء بعد الروي من حرف ينشأ عن إشباع حركته وقد يكون
الوصل بهاء بعد الروي ، ويلتزم في كل أبيات القصيدة .
ج - التأسيس : ألف المد التي يكون بينها وبين الروي حرف متحرك ، وتلتزم
بعتها في سائر أبيات القصيدة .

د - الخروج : هو حرف المد الذي ينشأ من إشباع هاء الوصل المتحركة
بالفتح أو بالضم أو بالكسر ، ويلتزم في كل أبيات القصيدة . ينظر : في علمي
العروض والقافية د / أمين على السيد ص ١٧٨ و ١٧٩ .
(٢) الخصائص ٢/ ٢٣٢ .

ولم يترك العلماء فرصة إلا وتحدثوا فيها عن المخالفة الصوتية . وهو حديث متناثر فى كتبهم يحتاج إلى جهود كبيرة لجمعه من كنوز اللغة .

فلقد جعل علماء العرب المخالفة قياسية عند إبدال أول حرفى التضعيف فى وزن " فَعَّال " إذا كان اسما لا مصدرا نحو ديماس و " ديباج ، دينار ، قيراط " و " شيراز " فيمن قال دماميس ودبابيج ، ودنانير وقراريط وشراريز ، وهذا الإبدال قياسى إذ لا يجىء "فَعَّالٌ" غير المصدر إلا وأول حرف تضعيفه مبدل ياء ، فرقا بين الاسم والمصدر".^(١)

ولم تقتصر جهود علماء العربية على مجرد عرض ظاهرة المخالفة وتعليلها ، بل نسبوها إلى لهجة عربية.

فهذا هو أبو حيان يقول معلقا على قوله تعالى : فى سورة البقرة : ﴿ وَلَيُمَلِّئَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ .^(٢)

(١) شرح الشافية ٢١٠/٣ ، ٢١١

(٢) من الآية ٢٨٢ وقد أشار إلى المخالفة فى هذه الآية الزمخشري فى الكشف ٢٢٥/١ والقرطبي ١٣٠٥/٢ .

يقول : أَمَلَّ وأَمَلَى لغتان : الأولى لأهل الحجاز وبني أسد ، والثانية
لنميم ، يقال : أَمَلَيْتُ ، وَأَمَلَلْتُ على الرجل أى : أَلْقَيْت عليه ما يكتبه
..... وقيل الأصل : أَمَلَلْتُ ، أبَدَل من اللام ياء لأنها أخف^(١) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك أيضا ، فلقد رصد اللغويون العرب
القدامي ظاهرة المخالفة فى القراءة القرآنية وعللوا لها .

فهذا هو ابن جنى يقول معلقا على قراءة عكرمة لقولة تعالى :
﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾^(٢) : ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ ، بياء بعد الكسرة خفيفة اللام .
يقول : " قال أبو الفتح : طريق الصنعة فيه أن يكون أراد ﴿إِلَّا﴾
كقراءة الجماعة ، إلا أنه أبَدَل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام ، وانضاف
إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة ، وقد جاء نحو هذا أحرف
صالحة كدينار لقولهم: دنائير ، وقيراط لقولهم : قراريط ، وديماس
فيمن قال: دماميس وديباج فيمن قال: دبابيخ ، وشيراز فيمن قال :
شراريز ، وقد جاء مع الفحة استثقالا للتضعيف وحده ، قال سعيد
بن قُرْطُ يهجو أمه :

يَا أَيَّتُمَا أُمَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا أَيَّمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيَّتُمَا إِلَى نَارِ

ورؤينا عن قطرب :

لا تفسدوا آبَاكُمْ أَيَّمَا لَنَا أَيَّتُمَا لَكُمْ

وقد قلبوا الثانى منها فقالوا فى أَمَلَلْتُ : أَمَلَيْت ، وفى أَمَلَّ : أَمَلَى أنا

وحدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى عنهم : لا وَرَيْكَ لا أَفْعَل
، أى : لا وَرَبَّكَ ، فكذا تكون قراءة عكرمة : ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ يريد :
﴿إِلَّا﴾ وابدل الحرف الأول ياء لما ذكرناه^(١).

كما رصد أبو زرعة المخالفة فى القراءة القرآنية وعلل لها إذ
يقول معلقا على قراءة حمزة والكسائى لقوله تعالى : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾^(٢)
: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ بحذف الهاء فى الوصل .

يقول : " ... كان فى الأصل : (لَمْ يَتَسَنَّ) فحذف الألف للجزم ، وكان
الفراء^(٣) يقول : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ : لم يتغير من قوله : ﴿مَنْ حَمَّ
مَشْنُونٍ﴾^(٤)

الأصل : (لَمْ يَتَسَنَّ) ثم قلبت النون الأخيرة ياء استتقالا لثلاث نونات
متواليات ، كما قالوا : "تَظْنِيت" وأصله "تَظَنَّت" ، فصارت (يتسنى) ثم
يدخل الجزم على الفعل فتسقط الياء فتصير : (لم يتسن) ، ثم زادوا
الهاء للوقف فإذا درجوا القراءة حذفوا لأن العلة زالت^(٥)

كل هذا يؤكد عدم صحة ما ذهب إليه د/ أنيس عندما قال لم
يفطن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة أو يولوها ما تستحقه من
عناية واضطرب تفسيرهم لها^(٦) .

فبحث القدماء لظاهرة المخالفة يحتاج إلى دراسة مستقلة تبين
جهود علماء العرب فيها .

(١) المحتسب ٢٨٤/١ .

(٢) من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٣) بنظر : معانى القرآن للقراء ١٧٢/١

(٤) من الآية ٣٣ من سورة الحجر .

(٥) حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٤٣ .

(٦) الأصوات اللغوية ص ٢١١ .

التعليل الصوتي للمخالفة

نستنتج من كلام العلماء السابق أن الهدف من المخالفة الصوتية هو خفة النطق .

يقول سيبويه : " وأعلم أن التضعيف يثقل على السنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون في موضع واحد ^(١) .

وقال ابن جنى في باب " تدافع الظاهر " : " ومن ذلك استئفالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما في نحو : أمليت ، وأصلها : أملت ^(٢) .

وقال أبو حيان : " يقال : أمليت وأملت على الرجل أى ألقيت عليه ما يكتبه وقيل الأصل : أملت أبدل من اللام ياء ، لأنها أخف ^(٣) .

وهذا التعليل هو ما علل به المحدثون ، يقول أحدهم : " عملية المخالفة التي تهدف أيضا - أى مع المماثلة - إلى التقليل من الجهد العضلي ، فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى صوت لين طويل ، أو إلى ما يشبه أصوات اللين ، كاللام والنون ، وفي هذا أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي ^(٤) .

وعلى ذلك فغير صحيح ما ذهب إليه . برجشتراسر " عندما علل للمخالفة بقوله : " وأما التخالف فالعلة فيه نفسية محضة ، نظيره

(١) الكتاب ٤/٤١٧ .

(٢) الخصائص ٢/٢٣٢ .

(٣) البحر ٢/٣٤٢ وينظر الكشف ١/٣٢٥ والقرطبي ٢/١٣٠ .

(٤) الأصوات اللغوية ص ٢١٣ .

الخطأ فى النطق ، فإننا نرى الناس كثيرا ما يخطئون فى النطق ، و يلفظون بشئ غير الذى أرادوه ، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ ...^(١)

فبرجستراسر قد أرجع المخالفة هنا إلى الخطأ وهذا ليس بصحيح ، وقد ناقض نفسه عندما قال : " وتخالف الحروف المشددة له علة نفسية أيضا مختلفة قليلا عن علة التخالف المنفصل ، وهى أن المتكلم يرجو أن يؤثر فى نفس السامع تأثيرا زائدا ، فلا يكتفى بالضغط على الحرف وتشديده ، بل يضيف إليه حرفا آخر لزيادة ذلك التأثير " .^(٢)

^(١) التطور النحوى ص ٣٤ .

^(٢) السابق ص ٣٥ .

الأصوات التي تتم بها المخالفة :

عندما ننظر إلى بعض أمثلة المخالفة في كتب اللغة نجد أحد الحرفين المتماثلين قد تحول إلى صوت لين أو ما يشبهه في أغلب الأحيان ، وهذا يتوافق مع الهدف المنشود من ظاهرة المخالفة ؛ لأنه إذا كان الهدف منها سهولة النطق ، فإن الإبدال يجب أن يتم إلى حرف لا يحتاج إلى جهد عضلي

١- فجاءت المخالفة بالياء في كلمات كثيرة ، كدينار ، وقيراط ، وتسريت ، وتظنيت ، و الأصل : قَرَّاط ، ودَنَّار وتسررت ، وتظننت^(١).

وفى قوله تعالى : (فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا)^(٢) وقوله تعالى : (وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَائِهَا)^(٣).

يقول الفراء " إن دَسَاءَها من دَسَسَتْ ، بدلت بعض سيناتها ياء ، كما قالوا : تظنيت من الظَّن ، وتقضيت يريدون : تقضضت من تقضض البازي ، وخرجت أتلعى : ألتمس اللعاع^٢ أرعاه " .^(٤)

٢- كما جاءت المخالفة بالواو :

يقول الفراء : " والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو من ذلك ما ذكرنا ، وسمعت بعض بني عقيل ينشد :

يشبو بها تشجانه (من النشيج) .

(١) ينظر الكتاب ٢٤٢/٤ وشرح الشافيه ٢١٠/٣ ، ٢١١

(٢) من الآية ٥ من سورة الفرقان

(٣) الآية ١٠ من سورة الشمس

(٤) معاني القرآن ٢٦٧/٣ .

هذا آخر بيت ، يريد : يَشُبُّ : يظهر ، يقال الخمار الأسود يَشُبُّ^(١) لون البيضاء فجعلها واوا وقد سمعته في غير ذلك ، ويقال : دويَّسة ، ودواوية ، ويقال : أمّا فلان فصالح وأيّما^(٢)

٣- وإذا كان التشائع في المخالفة أن تكون بحروف اللين وما أشبهها فقد جاءت المخالفة بغيرها :

— فجاءت المخالفة بالهمزة في قول الشاعر :

يَشُبُّ في المَسْعَلِ واللِّهَاءِ أَنْشَبَ من مآثر حدادٍ
وقالوا : يريد حداد ، فأبدل الحرف الثاني وبينهما ألف "حاجزة"^(٣)

— وجاءت المخالفة بالتاء :

فقالوا في لَصٍ : لَصْتُ وجمعه على اللَّصُوتِ أيضا قال :

فَتَرَكْنِ نَهْدًا عِيْلًا أَبَاوَاهَا وَبَنِي كِنَانَةَ كَاللَّصُوتِ الْمُرْدِ^(٤)

هذا ، وقد ذهب د/ أنيس إلى أن أحد المتماثلين يبدل إلى الواو أو الياء لخفتهما ، وفي بعض الأحيان استعويض عن الصوت بأحد أشباه أصوات اللين ، كاللام والنون ، وإن كان هذا قليلا^(٥) .
وضرب لذلك أمثلة منها :

١- الطَّحْ : البسط ، طحا : كسعى : بسط .

٢- المَحْ : صفرة البيض ، والمأج : صفرة البيض .

(١) جاء في اللسان : شعْرُهَا يَشُبُّ لونها أي يظهره وَيَحْسَنُهُ .. وَشَبَّ لَوْنُ المَرَاهِ خمار أسود لبسته أي زاد في بياضها ولونها فَحَسَّنَهَا لان الضد يزيد في ضده ، ويبدى ما خفى منه .. وفي الحديث عن مُطَرِّفٍ أَن النَّبِيَّ ﷺ انْتَزَرَ بِبُرْدَةٍ سَوْدَاءَ فَجَعَلَ سَوَادَهَا يَشُبُّ بِيَاضَهُ ، وَجَعَلَ بِيَاضَهُ يَشُبُّ سَوَادَهَا . اللسان شَبَّبَ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣ .

(٣) الخصائص ٢٣٢/٢ .

(٤) ينظر شرح الشافية ٢٢٢/٣

(٥) الأصوات اللغوية ص ٢١٢ .

٣- الجب ، والجوب : القطع .^(١)

ثم قال : " وهناك بعض الأمثلة التى يحتمل فيها أن أحد الصوتين المتماثلين قلب أحد أشباه أصوات اللين .

١- تشغّر فى قبّيح : تمادى وتعمق . الشنغير : السيئ الخلق .

٢- تحدّس الأخبار: أراد أن يعلمها من حيث لا يعلم به ، تحندس الليل : أظلم ، فعلاقة الخفاء بين الفعلين واضحة .

٣- الرّش : دفن الميت ، والرّمس : الدفن أيضا .^(٢)

ثم ذهب إلى أن المخالفة لا تتم إلا حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الأطباق أو الأصوات الرخوة ، على أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة ، مثل (إَجَّار) التى روى فيها أيضا (إِنْجَار) وكلاهما بمعنى : سطح المنزل " ^(٣)

ولصحة هذا رأى فلا بد من استقصاء لكل الأمثلة التى وقعت فيها المخالفة فى العربية ، فكثير من الكلمات التى وقعت فيها المخالفة ليس الحرفان المتماثلان فيها من حروف الإطباق أو الحروف الرخوة وذلك نحو : " تسريت ، وتظنيت ، وأملت وغير ذلك .

ويظهر ذلك بصورة أوضح عندما افترض Hurwitz أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التى تشتمل على راء أو لام أو نون أو

(١) السابق ٢١٢

(٢) الأصوات اللغوية ص ٢١٢ ، ٢١٣

(٣) الأصوات اللغوية ص ٢١٤

ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين " وهو يمثل
لذلك بالكلمات الآتية (حَجَل) ، و جَلَمَد (جَمَد) ، و عَنَكَب
(عَكَب) و عَرَقَب (عَقَب) ، و قَرَمَط (قَمَط) ، و فَلَطَح (فَطَح) و يُوَيِّد
افتراضه بقوله : " يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة ، وهذا
يعنى أن العقل السامى كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ
المضعفة ، كما يخرج بنتيجة ملخصها أن الحروف المائعة تعد وسيلة
مخالفة للتضعيف فى الصيغ المضعفة القديمة^(١).

"وهذا رأى له وجهته ، وهو قائم على أساس نظريات علمائنا
القدماء فى زيادة الحروف ، إلا أنه احتمال مخالف لما بنى عليه د/
أنيس وجهته ، فى تغير المتماثلين ، فمعظم الأمثلة لا تشتمل على
صوتين من أصوات الأطباق ، أو الأصوات الرخوة".^(٢)

وقد وجه أحد المحدثين نقدا لافتراض Hurwitz فقال : " إننى
بملاحظتى الشخصية لهذه الأمثلة ثبت أن بعضها يتفق أو يقترب فيه
المضعف ومقابلته فى المعنى ، و بعضها يختلفان فيه اختلافا
شديدا".^(٣)

(١) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٠ نقلا عن Hurwitz

S.T.H. ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩

(٢) أبنية العربية د./ عبد الغفار هلال ص ١٩٠ ، ١٩١

(٣) السابق ص ١٨١ وقد قام بتحليل لغوى للكلمات التى أوردها Hurwitz
وأنتهى إلى أن (فطح) ومقابلة (فلطح) متفقان فى المعنى تماما والمضعف
(عقب) ومقابلة (عرقب) يدوران فى فلك معنوى واحد ، والمضعف (قمط)
ومقابلة (قرمط) متقاربان فى المعنى ، وليسا متفقين على سبيل الحقيقة ،
والمضعف (جمد) ومقابلة (جلمد) لا يلتقيان فى المعنى إلا على سبيل المجاز
والمضعف (عكب) ومقابلة (عنكب) يختلفان فى بعض المعانى ويشتركان فى
بعضها ، والمضعف (حجل) ومقابلة (حرجل) مختلفا المعنى تماما ، ينظر ص
١٩١ ، ١٩٥.

والمعروف أن اتفاق المعنى بين المضعف ومقابلته أساس لصحة قانون المخالفة ، ولعل هذا يؤكد أن الأمر في تغير أحد المتأثرين يقتضى استقراء أوسع إذا أردنا وضع قاعدة مطردة لهذا التغير^(١)

المخالفة بين الحركات :

ذهب احد الباحثين إلى أن المخالفة كما تكون بين الحروف تكون بين الحركات ، وضرب لذلك أمثلة ، وهى :-

أ- إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا، والهدف من ذلك تجنب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع ، وهذا يفسر لنا لماذا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة (بدل الفتحة) ولماذا كسرت نون المثنى على عكس جمع المذكر التى فتحت.

ب- إبدال الكسرة فتحة إذا جاورت ياء مد ، كما فى كثير من العاميات العربية التى تبدل صيغة "فَعِيل إلى "فَعِيل" مثل عويم ، وأكيل ، وحبیب ، سهير .

ج- إبدال الضمتين المتتاليتين إلى ضمة + فتحة ، كما يقال فى سُرِّي : سُرَّر ، وفى ذُلِّي : ذُلَّل ، لاستئصال اجتماع ضمتين مع التضعيف .^(٢)

(١) السابق ص ١٩٥ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣١ .

المخالفة الصوتية بين الحركات فى القراءات القرآنية:

شاعت ظاهرة المخالفة بين الحركات فى القراءات القرآنية
شيوخا كبيرا لدرجة تحتاج معها إلى دراسة مستقلة تجمعها
وتدرسها .

والناظر فى المخالفة الصوتية فى القراءة القرآنية يجد أنها
قد اتخذت طريقين :
الأول : المخالفة عن طريق حذف الحركة المتماثلة مع ما جاورها .
وذلك بتسكينها .

وهذه أمثلة من القراءات القرآنية على ذلك:

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾
"النساء ١٤٥" .

"قرأ عاصم وحمة والكسائي : (فى الدَّرَكِ) يسكون الراء
وقرأ الباقر بفتح الراء، وهما لغتان مثل "النَّفَرُ و النَّفَر" و"الطود
والطرْد" (١) .

٢- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ " المائدة ٣٢" .
"قرأ أبو عمرو : ﴿ رُسُلُنَا ﴾ و ﴿ رُسُلُكُمْ ﴾ (٢) و ﴿ رُسُلُهُمْ ﴾ (٣) بإسكان
السين" (٤) .

(١) حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٩٢ ، وينظر: الكشف ٤٠١/١ .

(٢) من الآية ٥٠ من سورة غافر .

(٣) من الآية ٢٢ من سورة إبراهيم ، وقد ذكر مكى فى الكشف أن أبا عمرو قرأ
هذه الكلمات بإسكان السين حيث وقعت . ينظر: الكشف ٤٠٨/١ .

(٤) ينظر : حجة القراءات لأبى زرعة ص ٢٢٥ والكشف ٤٠٨/١ .

وعلل أبو زرعة لهذه القراءة فقال: "وحيته أن استثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة وكثرة الحركات ، فأسكن السين" (١).

وعلل مكى لهذه القراءة بالتخفيف بسبب توالي الحركات. (٢)

٣- قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ بَٰرِئَاتٍ فِيهَا ۖ إِنَّ النِّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ۗ﴾ "المائدة ٥٥"

"قرأ نافع: (والأذن بالأذن) ساكنة الذال في جميع القرآن ، كانه استثقل الضمتين في كلمة واحدة فأسكن" (٣)

الآخر : المخالفة عن طريق إبدال الحركة المتمثلة مع ما جاورها بحركة أخرى .

وهذه أمثلة من القراءات القرآنية على ذلك .

١- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ۗ﴾
الأنعام ١٢٥

"قرأ نافع وأبو بكر: ﴿حَرَجًا﴾ بكسر الراء ، وقرأ الباقون بالفتح . وهما لغتان مثل "التَّنْفِ وَالدَّنْف" (٤)

٢- قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل ٦٨

"قرأ ابن عامر: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضم الراء ، وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان" (٥).

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) ينظر الكشف ٤٠٨/١.

(٣) حجة القراءات ص ٢٢٧

(٤) السابق ص ٢٧١

(٥) حجة القراءات ص ٣٩٢

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف ٦٣ "قرأ حفص عن عاصم: ﴿وما أنسانيهٗ﴾ بضم الهاء على أصل الكلمة ، وأصلها الضم ، وإنما عدل عن كسر الهاء إلى الضم لما رأى الكسرات من ﴿أنسانيهٗ﴾ وكانت الهاء أصلها الضم ، رأى العدول إلى الضم ليكون أخف على اللسان من الاستمرار على الكسرات ، ومن كسر فلمجاورة الياء كما تقول: "فِيهِ وَعَلَيْهِ".^(١) ومع شيوخ ظاهرة المخالفة في اللغة والقراءات فتلاذهب أحد اللغويين إلى أن " ذلك أمر لم يتضح في العربية كما اتضح في نظيره في الأصوات الساكنة ".^(٢)

(١) حجة القراءات ص ٤٢٢ وينظر: الكشف ٦٦/٢.

(٢) أبنية العربية ص ١٩٦.

تفسير لميل العربية للمخالفة أحيانا والمماثلة أحيانا أخرى

ميل العربية إلى المماثلة أو المخالفة الصوتيتين أمر يتفق وطبيعة اللغة ، فليس غريبا أن تميل العربية إلى المماثلة أحيانا وإلى المخالفة أحيانا أخرى ، فلقد علل القدماء - فيما سبق - للمماثلة والمخالفة الصوتيتين بالخفة فى النطق ، وتعليل القدماء هذا واضح كل الوضوح والأصل فى العربية أن تميل إلى ما تباعد من الحروف فى تكوين أبيئتها .

يقول ابن جنى : " واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت فى التأليف كانت أحسن ، وإذا تقارب الحرفان فى مخرجيهما قبح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق " (١).

ومن أجل ذلك كان اجتماع الحرفين المتقاربين ثقيلا فى النطق ولذلك يقول سيبويه : " واعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون فى موضع واحد " (٢).

وقد يكون هناك من الظروف اللغوية ما يدعو إلى تماثل الحرفين المتجاورين تماثلا كليا كما فى حالة الإدغام .

وإذا كان الإدغام أو المماثلة الكلية وسيلة من وسائل التخلص من تكرار نطق الحرفين المتماثلين ، فإن المخالفة الصوتية أيضا نوع من التخلص من المتماثلين .

وعلى ذلك فههدف المماثلة والمخالفة واحد ؛ وهو : خفة النطق
بطريق واحد هو التخلص من المتماثلين أو المتخالفين المتجاورين .
ولذلك فإن العربية عندما مالت إلى المماثلة الجزئية ولم تحاول
المماثلة الكلية كان لها هدفها الواضع فى ذلك .

يقول ابن جنى : " فلما كان فى ادغامهم الحرف فى الحرف ما
أريناه من استخفافهم إياه صار تقريبهم الحرف من الحرف ضربا من
التطاول إلى الإدغام . وإن لم يصلوا إلى ذلك فقد حاولوه وأشـرأبوا
نحوه ، إلا أنهم مع هذا لا يبلغون بالحرف المقرب من الآخر أن
يصيروه إلى أن يكون من مخرجه لئلا يحصلوا من ذلك بين أمرين
كلاهما مكروه .

أما أحدهما فإن يدغموا مع بعد الأصليين ، وهذا بعيد .
وأما الآخر فإن يقربوه منه حتى يجعلوه من مخرجه ثم لا يدغموه ،
و هذا كأنه انتكاث وتراجع ، لأنه إذا بلغ من قربه إلى أن يصير من
مخرجه وجب ادغامه فإن لم يدغموه حرموه المطلب المروم فيه ، ألا
ترى أنك إذا قربت السين فى سوق من القاف بأن تقلبها صادًا
فإنك لم تخرج السين من مخرجها ، ولا بلغت بها مخرج القاف فيلزم
ادغامها فيها . فأنت إذا قد رمت تقريب الإدغام المستخف لكنك لم
تبلغ الغاية التى توجبه عليك ، ولا تنوط أسبابه بك " (١) .

وقد جاء فى القرآن الكريم التخلص من الحرفين المتماثلين
بالمماثلة والمخالفة .

ففى قراءة حفص عن عاصم جاء التلخص من المتماثلين بالاثنتين معاً :

فجاء التلخص من المتماثلين بالمماثلة الكلية فى قوله تعالى :

﴿أَوَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ...﴾^(١)

وبالمخالفة الصوتية فى قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ تُمَلِّ عَلَيْهِ بُكَرَةً

وَأَصِيلًا ﴾^(٢)

وأما عن تفسير ميل العربية إلى المماثلة أحياناً ، وعدم ميلها

إليها أحياناً أخرى .

وكذلك ميل العربية إلى المخالفة أحياناً ، وعدم ميلها إليها أحياناً

أخرى .

فلقد سبق أن ذكرت أن هناك من المماثلة ما هو مطرد قياسى ، وما

هو منها غير مطرد ، ومنها ما هو جائز .

والمماثلة والمخالفة القياسيتان لا يمكن أن يتخلفا فى العربية ، أما

غير ذلك فللعربية أن تماثل أو تخالف بين الحروف ، وذلك لأن هاتين

الظاهرتين من التطورات الصوتية .

والظروف اللغوية هى التى تدعو إلى هذا التطور أو لا تدعو إليه .

وقد سبق أن ذكرت لتعليل ابن جنى لمثل ذلك .

هذا هو التفسير الذى تميل إليه النفس ، ولا أميل لتعليل أحد

المحدثين عندما قال : " يمكن النظر إلى المماثلة على أنها تهدف إلى

تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ، ولا تلقى بالاً إلى

الجانب الدلالى الذى قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين ، أما

(١) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٥ من سورة الفرقان .

المخالفة فينظر إليها - عكس ذلك - على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ولا تلقى بالاً إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين ^(١) .

فليس بصحيح القول بأن المماثلة لا تلقى بالاً للجانب الدلالي .
فالمماثلة مسموح بها في اللغة العربية شريطة ألا تمس الجانب الدلالي أو تغير الإعراب .

" يقول أبو زرعة معلقاً على قراءة حمزة والكسائي : ﴿فَلَا تُهْـ﴾ ^(٢) و ﴿فِي إِهْـ﴾ ^(٣) في ﴿فَلَا تُهْـ﴾ و ﴿فِي إِهْـ﴾ يقول : " وحجتهم أنها استئقلا ضم الألف بعد كسرة أو ياء ساكنة ، فكسرا للكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة إذ لم يكن تغيير الألف من الضم إلى الكسر يزيل معنى ولا يغير إعراباً يفرق بين المعنيين ، فاتبعوا لذلك الكسرة الكسرة . " ^(٤)

فهذا النص يؤكد على أن المماثلة مسموح بها في العربية شريطة ألا تمس المعنى .

كما أنه ليس بصحيح أن المخالفة تيسر الدلالة ، أو أنها لا تلقى بالاً إلى العامل النطقي ، فهي لا تيسر دلالة ، و تلقى بالاً للعامل النطقي لأن الهدف منها - كما سبق - تخفيف النطق .

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣١ .

(٢) من الآية ١١ من سورة النساء .

(٣) من الآية ٥٩ من سورة القصص .

(٤) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٩٤ .

نتائج البحث

وبعد هذه الدراسة حول هاتين الظاهرتين أستطيع أن أستخلص بعض النتائج ، منها :-

- شمل مصطلح المماثلة عند اللغويين المحدثين عدة مصطلحات لدى القدامى ، هي : الإبدال ، والمضارعة ، و الإبتاع ، والإمالة ، والإدغام .

- تنوولت ظاهرة المخالفة باستفاضة فى الدرس اللغوى القديم ، خلافاً لما ذهب إليه بعض المحدثين من اتهام القدامى بالتقصير فى تناول هذه الظاهرة .

- كما وقعت المخالفة بين الحروف فقد وقّعت بين الحركات ، شأنها فى ذلك شأن المماثلة .

- لا تتخلف المماثلة القياسية المطردة فى العربية ، بينما كانت غير المطردة على عكس من ذلك .

- اتسم الدرس اللغوى القديم لظاهرتى المماثلة والمخالفة الصوتيتين بالعمق والأصالة عن الدرس اللغوى الحديث ، ولا أدل على ذلك من وجودهما فى القراءات القرآنية والشعر العربى .

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى - د/ عبد الغفار هلال
طبعة أولى - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ / محمد البنا
الدمياطى - تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل - ط: عالم الكتب
ومكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان - تحقيق د/ مصطفى
أحمد النماس - ط: مطبعة المدنى الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م.
- أسرار العربية لابن الأنبارى - تحقيق محمد بهجة البيطار - ط:
مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٧هـ.
- أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن جبل
- ط: مطبعة التركى - الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس - ط: مطبعة الأتجنو المصرية
١٩٨٧م.
- الأصول فى النحو لابن السراج - تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى -
ط: مؤسسة الرسالة - الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى - ط: دار الفكر الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- التطور النحوى للغة العربية تأليف برجستراسر - شرح د/ رمضان
عبد التواب - ط: الخانجى ، ودار الرفاعى بالرياض - ١٤٠٢هـ -
١٩٨٢م.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ط: دار الغرب العربي -
الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- حجة القراءات لأبي زرعة - تحقيق / سعيد الأفغاني - ط:
مؤسسة الرسالة الرابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الخصائص لابن جني تحقيق الأستاذ / محمد علي النجار - ط: عالم
الكتب - بيروت - الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر - ط: عالم الكتب -
الثانية ١٩٨١ م.
- سر صناعة الأعراب لابن جني - تحقيق مصطفى السقا وآخرين -
ط: الحلبي - الأولى ١٤٧٤ هـ - ١٩٥٤ م.
- شرح الشافية للرضي - تحقيق محمد نور الحسن وزميليه - ط: دار
الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- شرح المفصل لابن يعيش - ط: مكتبة المتنبى - القاهرة - بدون
تاريخ
- في علمي العروض والقافية - د/ أمين علي السيد ط: دار المعارف
١٩٨٢ م.
- الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون - ط:
الخانجي الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الكشف للزمخشري - ط: دار الريان - ودار الكتاب العربي -
بيروت - الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب القيسى - تحقيق د/ محى الدين رمضان - ط: مؤسسة الرسالة - الرابعة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

-لسان العرب لابن منظور - ط: دار المعارف.

- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تأليف أبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق على النجدى ناصف وآخرين - ط: المجلس الاعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٦هـ.

-المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - تحقيق / عبدالسلام عبد الشافى محمد ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

-مدخل إلى علم اللغة الحديث -د/عبد الفتاح البركاوى ط : الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

-معانى القرآن للقرءاء - تحقيق أحمد يوسف نجاتى - ومحمد على النجار - ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - ١٩٥٥م.

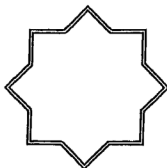
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي ط:دار الحديث .

- المورد - منير البعلبكي - قاموس انكليزى - عربى - ط : دار المشرق - بيروت ١٩٨٦م.

-النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - تصحيح محمد على الصباغ - ط: دار الكتب العلمية - بيروت .

- نهاية القول المفيد - لمحمد مكى نصر - ط: الحلبي - ١٣٤٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم



أضواء على حياة

نصر بن سيار

تأليف

د. / محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بجامعة الأزهر

مقدمة

لك الحمد ربى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك وأصلنى
وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين
وبعد

فإن هذا البحث الذى يطالع القارئ صفحاته ثمرة من ثمار
التواصل العلمى بين الأساتذة وأبنائهم بعد ما أصبح هؤلاء يضطلعون
بعبء إيصال ما تعلموه من أساتذتهم إلى أجيال الطلاب اللاحقين لهم.

فقد قد ضمنى مجلس والأستاذ الدكتور / عبد الشافى عبد
اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامى فى كلية اللغة العربية بالقاهرة
فتجاذبت مع فضيلته أطراف الحديث لكى أصل من خلال حوارى معه
إلى موضوع جديد غفل عنه الباحثون المحدثون لأخوض غمار
البحث فيه حتى يخرج للنور لعلى أستطيع به إضاءة الطريق
للدارسين اللاحقين لى فى التاريخ الإسلامى فظفرت من حوارى مع
فضيلته باقتراحه على البحث عن شخصية نصر بن سيار والى
خراسان فى أواخر العصر الأموى فأجلت فكرى هنا وهناك فما وجدت
أحدًا من المحدثين خصه بموضوع مستقل خلا الكاتب الكبير
الأستاذ/على أدهم ، وحتى حديثه عنه قد جاء موجزاً وضح فيه
للقارئ بعضاً من معالم شخصيته.

وقدامى المؤرخين الذين أتوا على ذكر "نصر" فى مصادرهم
لم يذكروا أخباره إلا من خلال حديثهم عن انهيار الدولة الأموية تحت

معاول رجال الدعوة العباسية باستثناء النزر اليسير الذى يراه قارئ هذه المصادر مبعثراً بين السطور وهو يطالع أخبار خراسان.

فكان لزاماً على الكاتب وهو يتلمس أخبار نصر بن سيار لينظمها فى عقد متصل الأجزاء أن يطالع أخبار الدولة الأموية فى دقة متناهية إلى مقتل مروان بن محمد. فقد جذب نصر بن سيار إليه أنظار ولاية خراسان خلال مراحل كفاح هؤلاء ضد الترك الذين تربصوا الدوائر بمسلمى هذا الثغر فراحوا يحاربونهم حروباً متصلة كلفت ولاية هذا الإقليم بل الخلافة الأموية الكثير من الأموال والرجال الذين قاتلوا الترك فى بسالة منقطعة النظر حتى استطاعوا تثبيت دعائم الإسلام فى هذه البلاد، ومن ثم تحول أهلها نحوه ، فاعتنقوه وأخلصوا له واصبحوا حماة له يعملون على نشره بعد ما كانوا بالأمس يحرصون على دحر اتباعه. وحتى يقف القارئ الكريم على مدى معاناة المسلمين حاكمين أو محكومين فى إقليم خراسان وهم يجاهدون الترك ومن دار فى فلکهم، يحسن بى الإلماع فى إيجاز إلى جغرافية هذا الإقليم لأن مسرح الأحداث يؤثر عليها ويسهم فى حسم المعارك. ليس هذا فحسب، بل يجعل المؤرخ يلتبس الأعذار لهذا القائد أو ذاك إذا لم يحالفه التوفيق فى معركة من المعارك أو يقف موقف الاتيهار والإعجاب حين يجد النصر يمشى فى ركابه على الرغم من عقبه المكان المتمثلة فى طبيعة الأرض أو المناخ.

أرض خراسان

اختلف البلدانون المسلمون القدامى حول حدود هذا الإقليم فمنهم من زادها ومنهم من نقصها ولقد أتى صاحب معجم البلدان على ذكر هذا كله فقال : خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قسبة جوين وبيهيق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها.

أما الجغرافيون المحدثون فقد ذكروا أن إقليم خراسان يعرف في العصر الحديث بدولة أفغانستان^(١) وهي تقع في آسيا^(٢) وهذا غير دقيق ، إذ أن إقليم خراسان الذي تتناوله الدراسة يقع منه جزء فى أفغانستان الحديثة والآخر ضمن إقليم سجستان ، ويحدها من الشرق الهند ومن الغرب إيران ومن الشمال تركستان ، ومن الجنوب باكستان وتبلغ مساحتها نحو ٢٧٠,٠٠٠ ميل مربع^(٣) وأطلق عليها هذا الاسم عوضاً عن اسم خراسان فى القرن الثانى عشر الهجرى^(٤) وهذه المنطقة منطقة داخلية لا تطل على البحار الكبرى بموانئ وتقع بين خطى عرض ٢٩,٣٠° ، ٣٨,٣٠° شمالاً وبين خطى طول ٦٠,٣٠° ، ٧١,٥٠° شرقاً إذا استثنينا " عنق وخان " .

(١) يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية ص ٢١٩ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩١ .

(٢) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٢ ص ٢٢٤ .

شاذر : تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر "قارة آسيا" ص ٢٤٥ .

(٣) يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية ص ٢١٩ . - أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٨ ص ٢١١ : ٢١٢ .

(٤) شاذر : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ج ١ ص ٢٤٥ .

فإذا ما أردنا الوقوف على تضاريس هذه المنطقة رأينا أن سلسلة جبال هندكوش وما تفرع منها تكون عمودها الفقرى وتشطرها شطرين ، وسطح أفغانستان غير منتظم ، إذ تشاهد فيه الجبال المرتفعة والأودية العميقة وحواها عالية فى الشرق والشمال.

أما سطحها فينحدر من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى والجنوب ، ويتبع هذا الاتحاد جريان الأنهار وتصريفها فى مجموعتين كبيرتين^(١).

أما المناخ فإنه قارى شديد البرودة شتاء والحرارة صيفاً ، وربما يتغير الطقس عدة مرات فى اليوم الواحد ما بين حرارة وبرودة ، وبإقليم خراسان مناطق مرتفعة تصل فيها درجات البرودة إلى ٣٠° درجة تحت الصفر^(٢) ، فكانت وما تزال تشكل عقبة كؤود أمام الجيوش التى تحارب على أرضها فقد سموها جبل هندكوش " بقاتل الجنود " لهذا السبب^(٣).

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن مهمة السيطرة السياسية والعسكرية على بلاد هذه طبيعتها الجغرافية هو من الصعوبة بمكان

(١) يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية ص ٢٢٠ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩١ - أبو العنين فهمى محمد : أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٨٦ : ٨٧.

(٢) يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية ص ٢٢١ : ٢٢٣ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩٣ : ٢٩٥ - أبو العنين فهمى محمد : أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٩٩.

على جيوش المسلمين التي لم تألف هذا الجو ، ومن ثم فإن ولاية المسلمين الذين تعاقبوا على خراسان كان جلهم في جهاد دائم من أجل السيطرة والتصدى للحركات الهدامة التي كان يقوم بها بعض ساكنيها في سبيل النيل من المسلمين في هذا الإقليم.

ولقد سجل التاريخ انتصارات كثيرة أحرزها ولاية الدولة الإسلامية على أعداء الدين في هذا الإقليم والمناطق المجاورة له انطلاقاً من القواعد الإسلامية التي أنشأها المسلمون على أرض خراسان والتي كانت تستمد الرجال من البصرة. ومن أمثال هؤلاء الولاية عبد الله بن عامر بن كريز ، وقيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي وقتيبة بن مسلم الذي أوغل في هذه البلاد بشكل فاق السابقين عليه واللاحقين له^(١).

والدارس لتاريخ هذا الإقليم لا يستطيع الجزم بأن الدولة الأموية استطاعت إحكام السيطرة عليه وتجنّب ساكنيه ويلات الحرب التي كانت تقوم على أرضه بين الفينة والفينة ، لذلك كله فإنني أرى أن خلفاء هذه الدولة قد حرص جلهم على جعل حكم هذا الإقليم إلى أكفاء رجالهم حين كان يحكم حكماً منفصلاً عن وإلى العراق وكذلك كان حال وإلى هذه البلاد عندما يشخص إلى خراسان حاكماً من قبله.

ونصر بن سيار التي تبرز أعماله هذه الصفحات هو واحد من الولاية الأكفاء الذين حكموا الإقليم تحت سيطرة وإلى العراق تارة

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٦١ : ٦٥ - ثريّا حافظ عرفنة :

الخراسانيون وعصرهم العباسي الأول ص ٢٠.

ومستقلاً عنه فى حكمه تارة أخرى وإن اختلفت أحوال إقليم خراسان
فى عهده اختلافاً كبيراً عن سابقيه فإنه صار عليه كما سأنفصله
مجابهةً خطرين عظيمين بخراسان أحدهما داخلى وثانيهما خارجى ،
وحتى يكون القارئ على بينة من أمره وهو يحكم على نصر بن
سيار أو له فى خراسان يحسن بى الإلماع إليه من طفولته إلى أن
ولى أمر هذا الإقليم.

نصر بن سيار

من الطفولة إلى الولاية

تمهيد : فى التاريخ شخصيات مهمة قامت بأدوار جريئة وتركت بصماتها على صفحات الحياة ، ولكن حظها من الذكر لدى المؤرخين لم يكن بالقدر الذى يجلو أعمال هذه الشخصيات ويزيد الأمر حيرة أن البطل فى القديم يذكر فجأة حين يلعب دوراً سياسياً فيسجله المؤرخون دون نظر إلى ما تقدم من أمره ، طفولة وصباً وشباباً ، وتلك حال شكا منها كثير من المؤرخين ومنهم اللواء الركني محمود شيت خطاب حين تعرض لأبطال الفتح الإسلامى فى المشرق والمغرب وأخذ يبحث عن طفولة أمثال القعقاع بن عمرو والأحنف بن قيس وعبادة بن الصامت والنعمان بن مقرن وغيرهم فلم يجد عن ذلك شيئاً.

كذلك كان موفقى حين أردت أن أبحث عن طفولة نصر بن سيار فلم أعلم عن ماضيه شيئاً أبداً به خطوات حياته، إذ أن أول ما ذكر من أمره هو ما كان من انضمامه لجيش قتيبة بن مسلم ثم جهوده مع القادة اللاحقين لقتيبة إلى أن اختاره هشام بن عبد الملك والياً له على خراسان ، وطبعى أن اختيار أمير المؤمنين لا يكون لغفل من الناس بل لابد أن يتجه إلى بطل فذ يمكنه أن يقف أمام أعدائه موقف الأسد الهصور ، أما كيف كان نصر أسداً هصوراً فى عيني هشام؟ فهذا ما سكنت عنه التاريخ ، إلا ما ذكرته مصادره من أخبار يسيرة عن أعمال جليلة قام بها نصر فى خراسان بين عهدي قتيبة بن مسلم وولاية أسد بن عبد الله الثانية على الإقليم.

على أن الزمن لم يضمن علينا بشذرات من الأخبار المتعلقة
بطفولة نصر تلك التي كانت بمثابة قطرات متساقطة رذاذاً لا كوابل
يتدفق صيباً ، وهذه الأخبار الصغيرة التي لا تمثل كل اتجاهاته في
طفولته بل تشير إلى خطوط ضئيلة في نسج هذه الطفولة بعضها قد
أشار إليه الكاتب الكبير على أدهم وهو وحده الذي خص نصراً بمقال
لا يتجاوز أربع صفحات ولكن القليل عن نصر كثير بالنظر لهذه
الصحراء الشاسعة التي غمرت طوفان الأحداث فلم تهد إلى سواء
السبيل.

فصاحبنا هو نصر بن سيار بن رافع ابن حري بن ربيعة بن
عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث وينتهي نسبه إلى مدركة
بن الياس بن مضر. (١) أمه زينب بنت حسان من بني تغلب. (٢)

كلمة عن نشأة نصر

ارتبط ميلاده بشروق شمس الأمويين ، وكانت وفاته بمثابة
إعلان عن غروب شمس هذه الدولة ذلك أن نصراً ولد في سنة ست
وأربعين للهجرة في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان
فقضى عمره منذ نعومة أظفاره ينظر الأطوار التي مرت بها الدولة
الأموية من عهد القوة والفتوة إلى عهد الهرم ، وإذا كان بحكم صغر
سنه وسيرة أبيه لم يشارك في صنع الأحداث في السنوات الأولى
لهذه الدولة فإنه كان من المدافعين عنها ، والباذلين للنفيس قبل

(١) ابن كتيبة - المعارف - ص ٤٩. عبد القادر البغدادي نخزاة الأنبياء ج ٢ ص ٢٢٤

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٥٤.

الرخيص فى سبيل بقائها حين بلغت روحها الحلقوم بسبب نجاح الدعوة العباسية كما يرى القارئ وهو يطالع سيرة هذا الوالى الذى حكم خراسان فى هذا الظرف الدقيق.

والذى يدعو إلى العجب أن سيار بن رافع والد نصر كان من شيعة ابن الزبير فقد شاطر مصعبا كفاحه ضد الأمويين حين كان إليه أمر العراق مما يجعل المرء كما يقول الأستاذ على أدهم^(١) يرجح أن نشأة نصر كانت ببلاد العراق فإذا بولده من صلبه يحمل السيف فى شجاعة ليدافع عن الوجود الأموى ولعل الذى جعل نصراً يتجه إلى الإخراط فى سلك العسكرية ويقدم على ركوب الأهوال والمخاطر دون خوف هو رغبته فى محو العار الذى لحق بأسرته. ذلك أن أباه سياراً قد اتهم بسرقة عيبة^(٢) فقطع عبد الرحمن بن سمره^(٣) يده فكان يقال له الأقطع وطالما عير نصراً اعداؤه بهذه الهفوة التى ارتكبها أبوه^(٤). والذى لا مرأى فيه أن طفولة نصر كانت على غرار غيرها من حياة أطفال ذلك العصر فقد تعلم العلوم الدينية وإن لم ينبغ

(١) مقالة بعنوان من الأدب العربى نصر بن سيار - منشورة بمجلة الثقافة العدد رقم ٥٨٠ لسنة ١٩٥٠ ص ٨.

(٢) زبيل من آدم ينقل فيه الزرع المصبود إلى الجرين - ابن منظور : لسان العرب مادة عيب.

(٣) ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أسلم يوم الفتح وصحب النبى محمداً ، كان يسمى بعبد كلال قبل الإسلام فسماه النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن ، سكن البصرة ، قاد الجيش الإسلامى لفتح سجستان سنة ٣٣ هـ مات سنة خمس من الهجرة.

ابن قتيبة : المعارف - ص ٢٠٤

ابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف - ص ٤٠٩ .

على أدهم : مقالة بعنوان (من الأدب العربى نصر بن سيار) - منشورة بمجلة الثقافة العدد رقم ٥٨٠ لسنة ١٩٥٠ ص ٨ .

فيها كما نبغ في الناحيتين السياسية والعسكرية ، ومع هذا فقد حدث عنه في العلم عكرمة وأبو الزبير وابن المبارك فيما قيل ومحمد ابن الفضل ابن عطية^(١) وكان ذا ميول أدبية بدت واضحة للعيان في أشعار قليلة نقلتها المصادر التاريخية لنا ، سجل فيها نصر أحاسيسه التي تمكنه عندما تثير الأحداث شجونة وهو يشارك في صنعها أو يشاهد مآل من صنعوها كما سأبينه.

ومع كل هذا فإن الرجل كان ذواقاً للشعر ينقده نقد الخبير به مما يدل على أنه أطلع بالشعر قولاً وسماعاً^(٢) فلم يكن يروق له إلا الجيد منه،

أبو طاهر بن سيار في سلك الجديدة

ولقد بدأ نصر بن سيار خطواته الأولى في مجال الجندية حين انضم إلى جيش^(٣) قتيبة^(٤) الذي سيره الحجاج إلى خراسان فبدأ الرجل منذ ذلك الوقت يدعم نفوذه بالإقليم بإحرازه انتصارات عظيمة لأمراء ، شاهدها وشارك فيها نصر، مما أكسبه ثقة في نفسه

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٤١.

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ ص ٨٢.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ق ٢ ص ٥١٧.

(٤) أبي حفص قتيبة بن أبي صالح معلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن معد بن عدنان الباهلي ، ولد سنة تسع وأربعين ، أقام في خراسان ثلاثة عشر سنة والياً، خرج على سليمان بن عبد الملك الذي تولى بعد الوليد ، قتله وقد من فرغانة في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة وقيل في التي تليها. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٨٦، ٨٧، ٨٨.

ومعارف حربية مكنته من المضى قدماً في طريق الشهرة فقد أبلى بلاءاً منقطع النظير في معاركه التي خاضها مع صالح بن مسلم (أخو قتيبة) حين فتح "باساراً" فأراد صالح مكافأة نصر عيسى استبساله فوهبه في سنة ست وثمانين للهجرة قرية بخراسان تسمى تنجانة^(١).

وقف نصر بن الوليد خراسان سعيد بن عمرو الحرشي

حرص نصر بن سيار على الإفادة من الولاة الذين تعاقبوا على الإقليم بعد قتيبة بن مسلم فوثقوا به ثقة عظيمة فكانوا يعهدون إليه بالمهام الكبار ، فها هو ذا سعيد بن عمرو الأسود الحرشي الذي عهد إليه عمر بن هبيرة بولاية خراسان سنة ثلاث ومائة للهجرة بأمر من الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك^(٢) يحرص على الإفادة من نصر بن سيار فحين خرج سعيد الحرشي إلى مدينة كش^(٣) عرض أهلها عليه أن يصلحوه على أن يدفعوا إليه عشرة آلاف رأس غنم على قول وستة آلاف على آخر وضرب لذلك أربعين يوماً يسلم بعدها صاحب كش ما صالح سعيداً الحرشي عليه فلم يجد عامل

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٢٥.

ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٥٢٣ : ٥٢٤.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٦١٩.

(٣) بالفتح ثم التشديد إذا عربت كتبت بالسين وهي قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل ، وتعد كورة بذاتها تغير اسمها بعد تيمور الذي ولد بها فصارت تعرف منذ ذلك حتى العصر الحاضر باسم شهر سير (المدينة الخضراء) / ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ١٣٨ / كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٣ ، ٥١٣.

خراسان إذ ذاك رجلاً يطمئن إليه في القيام بقبض أموال أهل كش
أكفاً من نصر بن سيار.

ويلوح لى أن نصراً لما أحسن القيام بهذه المهمة التى كلفه
بها أميره ، عمل والى خراسان على إدانته إليه وجعله من كبار
رجال ولايته فعزل سورة بن أبجر الحر التميمى عن أعماله بإقليم
خراسان وجعلها لنصر بن سيار^(١).

وهذا دليل على أن والى الإقليم قد رأى فى نصر من النجابة
والتضحية والإخلاص له ما لم يره فى سورة بن الحر و من ثم قرر
عزله والاستعانة بنصر عوضاً عنه.

بن نصر ومسلم بن سعيد

فنصر إذن واحد من هؤلاء الرجال الذين عاونوا سعيداً
الحرشى فى ولايته التى غربت شمسها بمجىء مسلم بن سعيد إليها
سنة أربع ومائة للهجرة^(٢).

فلما عزم على غزو الترك سنة ست ومائة للهجرة ، عمل
على حشد طاقات خراسان ليضمن تحقيق النصر لحملته تلك فألقى
خطبة فى أهل البلد قال فيها : ما أخلف بعدى شيئاً أهم عندى من
قوم يتخلفون بعدى مخلقى الرقاب ، يتواشبون الجدران على نساء

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١١ .

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١١٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٣٣ .

المجاهدين ، اللهم أفلعل بهم وأفلعل ! وقد أمرت نصراً ألا يجد متخلفاً
إلا قتله ، وما أرثى لهم من عذاب ينزل الله بهم ^(١)

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن مسلم بن سعيد جعل من ابن سيار
ساعداً إيماناً له وهو يحارب الترك فلو لم تكن له مكانة مرموقة بين
الخراسانيين ومعرفتهم عن نصر الجد في أدائه المهام التي يعهد بها
إليه أميره ما خوف مسلم بن سعيد به أهل خراسان فمهمة حمل
المتخلفين على الحرب كما ترى ليست بالأمر الهين بل هي تحتاج إلى
رجال من ذوى الشكيمة حتى يستطيعوا بقوة عزيمتهم حشد أكبر عدد
من الجند في المعارك الحربية التي يخوضها الأمير وقد قام نصر بن
سيار بهذه المهمة على أكمل وجه فقاد العصابة اليسيرة التي تركها
مسلم بن سعيد لمعاونته في أدائه لمهمته أحسن قيادة وسار بهم إلى
البخترى بن درهم وزياد بن طريف الباهلى وكانا ممن تخلفا في رجال
معهما عن مسلم بن سعيد فأحرق درهما ليكونا عبرة للمتخلفين من
أهل خراسان.

ولما أراد نصر بن سيار تعقب المتخلفين بمدينة بلخ حال بينه
وبين مأربه عمرو بن مسلم وكان عليها إذ ذاك فأقام نصر
بالبروقان ^(٢) وأنته الأشياء من أماكن كثيرة فنشبت بينه وبين
البخترى بالبروقان معركة انجلت عن هزيمة البخترى وحليفه عمرو

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٢، ٣٣

(٢) بالقاف والنون قرية من نواحي بلخ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص

بن مسلم الذى أرسل إلى نصر يطلب منه الأمان فأمنه وقيل إن نصرا
أوتى بعمرو بن مسلم مكبلا فمن عليه بالأمان.

وهناك رواية ثالثة تذكر أن نصرا حين ظفر بمعارضيه ضرب
كل واحد منهم مائة سوط وحلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم
المسوح^(١).

وراحت قيثارة الشعر التى تميز بها نصر تصور هذه الأحداث
فى أبيات له سجلها الطبرى فى تاريخه^(٢).

وعلى كل حال فإن هذه الحملة العسكرية التى قام بها مسلم
بن سعيد على الترك اصابت المسلمين بخسائر فادحة فى الرجال
والأموال فسقط منهم الجم الغفير من الرجال شهداء وتخفف
المسلمون من أثقالهم بالإحراق حتى لا تكون غنيمة للأعداء ليس
هذا فحسب بل أنهم تعرضوا للهلكة لنفاد جل مائهم وطعامهم فعرف
هذا اليوم بيوم العطش^(٣) ولم يكن نصر بالذى ينسى هذا اليوم وما
لقى فيه المسلمون من أهوال فقد نال من الترك وطراخوانة الذين
استشهدوا فى هذا اليوم حين آل أمر خراسان إليه كما سأبينه.

ولقد قام نصر بن سيار فى هذه المعركة بدور عظيم أدى إلى
نجاة عدد كبير من المسلمين من قتل محقق على يد الترك فقد حمل
حوثره بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك فى أربعة آلاف

(١) كساء من الشعر - ابن منظور لسان العرب مادة مسح.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٠ : ٣٢.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٣.

فقاتلهم ساعة ثم رجع ، واقتبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارساً فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم فحمل عليهم الناس فانهزم الترك^(١).

وقد أعاد هذا الانتصار الثقة إلى الجيش الإسلامى وهذا ليس بالأمر الهين فى ميادين الحروب فإن معنويات الجنود وهم يخوضون غمارها أمضى من السلاح الذى يواجهون به عدوهم فى إحراز النصر.

وإذا كان نصر بن سيار قد جنى ثمرة علاقاته الطيبة نتيجة إخلاصه لسلف مسلم بن سعيد فإن الأخير عرف لنصر قدره وكافأه على حسن بلائه فى حروب الترك فعهد إليه بحكم طخارستان^(٢).

وكان نصر عند حسن ظن أميره فيه فقد استطاع بكياسته وحسن سياسته وضع حد للثورة التى قام بها العرب عليه فقبل بعد الانتصار على الثائرين بطخارستان إبرام الصلح بينه وبينهم^(٣) ليتألف

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٣٠.

(٢) بالفتح وبهاء الألف راء ثم سين ثم تاء مثاء من فوق ويقال طخيرستان ، ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهى من نواحي خراسان وطخارستان العليا والسفلى ، فالعليا شرقى بلخ وغربى نهر جيحون وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً ، وأما السفلى فهى أيضاً غربى جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأقرب فى الشرق من العليا ، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.

ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٥٢ .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٤ ص ٤٧٧ : ٤٧٨ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٥ .

قلوب الشاردين منهم ولم ينعم نصر بن سيار طويلا بما جنى من ثمار فى عهد والى خراسان مسلم بن سعيد فإن هذا عزل بأسد بن عبد الله القسرى^(١).

بدأ أسد ولايته بغزو بلاد الختل^(٢) وبعد مناورة بين الجيشين عاد إلى بلخ ، تاركا رجاله فى غورين. وهنا يحاول نصر ما أمكنه إثبات حسن النية لواليه الجديد فعقد الخناصر هو وسلمة بن الأحوز على القيام بأعمال بطولية ضد الترك ، تؤكد هيبة المسلمين فى أعين العدو ومن ناحية أخرى فأنها أملأ أن ترفع هذه الأعمال ذكرهما عند والى فحين برز للمسلمين رجل من الترك فى صورة تنم عن اعتزازه بقوته وتأهيه للبطش بالمسلمين قال سلم لنصر وهما ينظران الرجل (قد عرفت رأى أسد وأنا حامل على هذا العلاج^(٣) فلعلى أن اقتله فيرضى فقال شأنك ، فحمل عليه فما اختلج رمحاه حتى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدي فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف ، فقال نصر أنا حامل حملة أخرى ، فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع

(١) خليفة / تاريخه ص ٣٦٦ / اليعقوبى : البلدان ص ٦٦.

(٢) تقرأ بضم الأول وفتح التاء مشددة ، ولاية تقع فى حوض نهر جيحون بالقرب من حدود وادى السند ، كانت عاصمتها تعرف باسم هلبك. أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٢ ص ٢١٧. ياقوت : معجم البلدان

ج ٣ ص ٢١٥

(٣) الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم والأنسى علة.

فرجع سلم جريحاً فقال نصر لسلم قف حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو ، فصرع رجلين ورجع جريحاً فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه لا أرضاه الله؟ فقال لا والله فيما أظن ، وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلّة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا^(١).

وسواء أصحت الرواية التي تقول إن أسداً رجع دون حرب أم غيرها من الروايات التي تصرح بانهزامه^(٢) فإن والى خراسان لم يقطع عن هذه المعاملة السيئة التي عامل بها كبار رجاله دون أن يفكر فيما تجلبه عليه من العواقب التي تهدد ولايته وذلك فإن أسداً بن عبد الله خطب في أهل خراسان في وقت كان الترك فيه يهتبلون الفرص المواتية لهم حتى ينقضوا على الإقليم فقال أسد : (قبّح الله هذه الوجوه! وجوه اهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد ، اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطنى ، وقل من يروم ما قبلى أو يترمرم وأمير المؤمنين خالى وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمان) ثم نزل عن منبره ، فلما صلى ودخل عليه الناس وأخذوا مجالسهم أخرج كتاباً من تحت فراشه ، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامدى وسورة بن الحر الأبانى - أبان بن دارم ، والبختري بن أبى درهم

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٣ : ٤٤ .

من بنى الحارث بن عباد ، فدعاهم فأتبهم ، فأزم القوم ، فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل ، فلم يقبل قوله وأمر بهم فجردوا وضربهم^(١).

وعلى الرغم من ذلك فلم يغض نصر الطرف عن المصلحة العامة للأمة في خراسان فحين أرسل بنو تميم رسولا إلى نصر يقول له : إن شئتم انتزعناكم من أيديهم فكفهم نصر عن ذلك حفاظا على دماء المسلمين وعدم انشغالهم بأمر داخلي يسهم في إضعافهم وهم يواجهون الترك المتربصين بهم وأمر أسد بن عبد الله بنصر والذين معه فسيرهم إلى أخيه خالد بن عبد الله القسري في العراق وأرسل معهم كتابا اتهمهم فيه بالخروج عليه ، فلما قدموا على خالد لام أسدا وعنفه وقال ألا بعثت برءوسهم^(٢)

وكذاب نصر بن سيار فإنه سجل ما أصابه على يد أسد بن عبد الله وما ألصقه به من اتهامات هو منها برئ في أبيات يجدها القارئ مبثوثة في تاريخ الطبري^(٣) وعلى كل حال فإن أشرس بن سعيد قدم مصره بناء على اختيار هشام بن عبد الملك له^(٤) وقد جعل والي الجديد نصرا على بلخ^(٥)

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٣٩.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٨.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٨.

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٨ ، ٤٩.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٤ ص ٥٩٩.

(٦) النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٤٣٥.

و- جاء الجنيد بن عبد الرحمن بعد الأثرس فعزل نصر بن سيار عنها ، وجعل عليها مسلم بن عبد الرحمن الباهلي^(١).

ومع ذلك استمر نصر بن سيار في معاونة الجنيد في حربه ضد الترك وليس أدل على ذلك من دوره البارز في موقعة الشعب^(٢).

مضى الجنيد قدماً في طريقه إلى سمرقند حتى وصل برجاله إلى الشعب الذي يفصله عن سمرقند أربعة فراسخ ، هناك دارت معركة ضروس بين المسلمين والترك ومن آزرهم من أهل الصغانيان والشاس وغيرهم. فانهزمت ميمنة المسلمين وأحيط بهم فأرسل الجنيد نصر بن سيار في سبعة نفر من شجعان المسلمين بخراسان فقاتلوا العدو قتالاً نجحوا من خلاله في رفع الحصار عن بعض فرق المسلمين مما جعل هؤلاء يثبتون للترك ويصبرون على القتال حتى أعيت الحرب الترك والمسلمين فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً ، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان^(٣) ولم ينعم الجيشان بهدنة مؤقتة في هذه المعركة إلا حين قال خاقان الترك لقومه لما شددوا الحصار على العرب : إن العرب إذا أخرجوا

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل — ٥ ص ١٥٦ : ١٥٧.

(٢) وقعت في سنة اثنتي عشرة ومائة للهجرة بين الجنيد والترك بعد هجوم على سمرقند في وقت بلغ فيه الحرج مداه بوالى خراسان إذ أنه قد فرق جيوشاً في أماكن أخرى قبل علمه بهذا الهجوم.

الطبري تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٦٩ ، ابن الأثير الكامل : — ٥ ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٧١ : ٧٤.

استقتلوا ، فخلوهم حتى يخرجوا ، ولا تعرضوا لهم فإنكم لا تقومون لهم^(١).

ولقد فجع المسلمون في حربهم للترك بفجيرة عظيمة حين استطاع هؤلاء قتل سورة بن الحر عامل سمرقند وكان خرج لقتالهم في اثني عشر ألفاً فلم ينج منهم إلا ألفان على قول وألف على آخر.

ولقد أظهر نصر بن سيار^٢ في يوم مقتل سورة بسالة منقطعة النظير فإنه عندما حمى الوطيس وانتشر لهيب النيران هنا وهناك قاتل العدو أكثر من ذي قبل حتى انقطع سيفه وسيور ركابه ، فأخذها وضرب بها الترك.

وعلى الرغم من شجاعته التي رأيتها في هذا الظرف الدقيق فإن والى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن لم يحد لنصر فعله هذا^(٣) فتأثر نصر لذلك تأثراً عظيماً وسجل ذلك في شعر له ضمنه بعضاً من موافقه في معركة الشعب واليوم الذي قتل فيه سورة بن الحر التميمي^(٤).

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٧٥.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٧٦ : ٧٨.

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٦٥ ، ١٦٦.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٨٤.

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٧٠ : ١٧١.

جاء عاصم بن عبد الله والياً على خراسان ولم يمكث بها إلا قليلاً ، فقد عزله هشام بن عبد الملك^(١) لتناول مرة أخرى إلى أسد بن عبد الله القسري .

أرسل خالد بن عبد الله القسري أخاه أسد بن عبد الله القسري إلى خراسان للمرة الثانية فوصلها في سنة سبع عشرة ومائة للهجرة^(٢) ليجد نفسه أمام مشاكل عدة صار عليه التصدي لها حتى يعيد خراسان إلى سابق عهدها من الاستقرار الداخلي .

وقد كان نصر بن سيار مؤازراً له بالرأى والمشورة ، يلمح القارئ ذلك حين تأزم الموقف الحربي بين أسد بن عبد الله وبين الترك بعد أن هجم أسد على بلاد الختل وخروج الخاقان لملاقاته فترك البلاد عابراً نهر بلخ والترك يلاحقونه^(٣) ، وسط هذا الموقف المتأزم طلب أسد بن عبد الله رأى وجهاء خراسان ومنهم نصر بن سيار الذي وجه أسد الحديث إليه قائلاً : مالك يا بن سيار مطرقاً لا تتكلم ! قال أصلح الله الأمير ! خلطان كلتاها لك ، إن تسر تُغت من مع الأثقال وتخلصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت قحمة لا بد من قطوعها فقبل رأيه^(٤) .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٩٩ .

ابن الجوزي : المنتظم — ٤ ص ٦٤١ .

(٢) اليعقوبي : تاريخه — ٢ ص ٣١٩ ، كتاب البلدان ص ٦٦ ، النويري نهاية الأرب — ٢١ ص ٤٣٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ١١٣ : ١١٤ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ١١٥ : ١١٦ .

ابن الأثير : الكامل — ٥ ص ٢٠١ .

مما تقدم ترى نصراً يريد أن يجعل المسلمين يظهرون للترك قوتهم ورباطة جأشهم وذلك لا يكون إلا إذا تحركت جيوشهم على الأرض لتنتقد أثقالهم أو تلقى الترك فى معركة يكون فيها المسلمون فى حرية تتيح لهم المناورة على الأرض ، وذلك ما كان ليحقق لهم إن بقوا فى مكانهم ينتظرون ما يقرره عدوهم فى شأنهم وممن ثم يفرض عليهم ما يريده أعداؤهم وبالتالي يسهل على الترك إحراز الانتصار عليهم لأن عدم الأخذ بزمam المبادنة بعد المعارك التى دارت بين الترك والمسلمين يجعل الجند لا يتمتعون بمعنويات مرتفعة فى لقاءهم لعدوهم.

والرأى عندى أن ذلك كله لم يغب عن أسد بن عبد الله حين قرر الأخذ بالرأى الذى عرضه نصر عليه وذلك ما كان فإن المسلمين صاروا يلاحقون الترك بعد توجههم لاستنقاذ أثقالهم وقد كانوا قبلاً يلوذون بالفرار من ملاحقة الترك لهم الأمر الذى سهل على المسلمين إحراز الانتصار على خاقان والذين معه عند الجوزجان^(١).

ففتح المسلمون ما معه من أموال وجوارى وأراح الله المسلمين منه حين قتله كورصول^(٢).

(١) اسم تاريخى لإقليم جغرافى يقع ما بين نهر جيحون ونهر مرغاب قصبته مدينة اليهودية فتحه المسلمون عام ٣٣ هـ ، ومن أشهر مدنها القارياب.

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٠ ، ابن عبد الحق مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣٥٧ ، أحمد عطية الله القاموس الإسلامى ج ١ ص ٦٥٧.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٢٣ : ١٢٥.

ابن الوردي : تاريخه ج ١ ص ١٧٥.

ظل أمد بن عبد الله يدبر أمر خراسان حتى وافته منيته فمضى
ربيع الأول سنة عشرين ومائة للهجرة فآلت خراسان بعده إلى جعفر
بن حنظلة البهراني فاستمر بها أربعة أشهر^(١) آل بعدها الإقليم إلى
نصر بن سيار لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته بخراسان تلك
التي أصبح فيها صاحب الحول والطول.

^(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢١٦.
ابن الجوزي : المنتظم ج ٤ ص ٦٦٥.
الترشحي : تاريخ بخارى ص ٩٣.

نصر بن سيار

بين

ولايته ووفاته

لما وقف هشام بن عبد الملك على خبر وفاة أسد بن عبد الله وما كان من استخلافه قبيل وفاته لجعفر بن حنظلة البهراني أنشأ يجيل بصره بمئة ويسرة باحثاً عن رجل يوليه أمر خراسان حيث إن هشاماً من لدن خلافته أولى الإقليم جل عنايته بالنظر إلى موقفه من الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية. والذي يطالع الطبري يجده يذكر ثلاث روايات عن الكيفية التي تم بها اختيار نصر بن سيار والياً على خراسان فيها يرى القارئ روايتين تتفقان على اختيار الخليفة "هشام بن عبد الملك" "نصر بن سيار" والياً على خراسان دون أن يأخذ برأى عامله على العراق "يوسف بن عمر الثقفي" بينما تجعل الرواية الثالثة للوالى المذكور دوراً بارزاً في ترشيحه رجلاً من خراسان للخليفة حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ولأن كل رواية من هذه الروايات الثلاث تظهر للقارئ القواعد والضوابط التي اختار الخليفة الأموي على أساسها نصراً لولاية خراسان وتلك التي جعلت الخليفة بغض الطرف عن بقية الرجال المرشحين لولاية الإقليم فإني أذكر هذه الروايات بنصوصها ليرى القارئ من خلالها مدى حكمة الخليفة هشام بن عبد الملك وحسن سياسته وهو يكتب عماله أو يشاورهم في اختيار الرجال الذين يقولون أمر الثغور الهامة من أمثال خراسان.

فقد روى الطبري عن علي بن محمد (أن هشاماً استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان ، فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له

أسماءهم ، فكان ممن كتب له "عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير" ،
ويحيى ابن حُضَيْن بن المنذر الرقاشي "ونصر بن سيار الليثي" و"قطن
بن قتيبة ابن مسلم" و"المجشَّر بن مزاحم السلمي أحد بنسى حرام ،
فأما "عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير" ، فقليل له : إنه صاحب شراب
وقيل له المجشَّر شيخ هم ، وقيل له : ابن حُضَيْن رجل فيه تيه
وعظمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة مотор ، فاختار نصر بن سيار ،
فقليل له : ليست له بها عشيرة . فقال هشام : أنا عشيرته . فولاه
وبعث بعهد مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني^(١).

أما الراوية الثانية فتذكر أن هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه
الخبر بموت أسد بن عبد الله : من ترى أن نولى خراسان فقد بلغنى
أن لك بها وبأهلها علماً ، قال عبد الكريم : قلت يا أمير المؤمنين :
أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرمانى ، فأعرض بوجهه . وقال :
ما اسمه ؟ قلت "جديع بن علي" قال : لا حاجة لى فيه وتطير ، وقال
سم لى غيره ، قلت اللسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني
أبو الميلاء ، قال ربيعة لا تسد بها الثغور . قال عبد الكريم : فقلت
فى نفسى كره ربيعة واليمن فارمية بمضر فقلت : عقيل بن معقل
الليثي ، إن اغتفرت هذّة ، قال : ما هى ؟ قلت ليس بالهيف ، قال
لا حاجة لى به ، قلت منصور بن أبى الخرقاء السلمي ، إن اغتفرت
نكرة فإنه مشنوم ، قال : غيره ، قلت : المجشَّر بن مزاحم السلمي ،
عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه ، قال الأخير فى الكذب قلت : يحيى
ابن حُضَيْن ، قال : ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور ! قال :
فكان إذا ذكرت له ربيعة واليمن أعرض قال عبد الكريم : وأخرت

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

نصرا وهو أرجل القوم ، وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثي ، قال : هو لها قلت : إن اغتفرت واحدة ، فإنه جفيف مجرب عاقل ، قال ما هي ؟ قلت عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك أتريد عشيرة أكثر مني ! أنا عشيرته^(١)

وتذكر الرواية الثالثة أن يوسف بن عمر لما قدم العراق قال : أشيروا على برجل أوله خراسان فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقديد بن منيع المنقري ونصر بن سيار وعمر بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ، ويونس بن عبد ربه ، وزباد بن عبد الرحمن القشيري ، فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسية وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى ، فقال هشام ما بال كنانى آخرهم وكان فى كتاب يوسف إليه يا أمير المؤمنين نصر بخراسان قليل العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابك وأطراك القيسية . وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقل من أنا عشيرته ! ولكنك تقيست على ، وأنا متخندق عليك فابعث بعهد نصر فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين ، بل ما إن تسميا أكثر أهل خراسان فكتب إلى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سلماً وافداً إلى هشام ، وأثنى عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النميري وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى عليه هشام . وأوفد نصر من

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، اليعقوبى : تاريخه ج ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٦ ،

خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأزدى إلى هشام وأتسى عليه
نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان فلما قدم يزيد
ابن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعث بعده
نصر مع عبد الكريم الحنفى^(١)

إن من يعن النظر فى الروايات السابقة يجد أن أولها أولى
بالقبول من غيرها فقد ذكرها الطبرى معزوة إلى على بن محمد
بخلاف ما عداها ، فإنه لم يذكر سنداً لهما ، يضاف إلى ما تقدم أن
هذه الرواية أوفى من الأخرى فى ذكر التفاصيل الدقيقة لخبر ولاية
نصر وكيفية علمه به ، فى حين أن الرواية الثانية لم تذكر شيئاً عن
هذا الأمر ومثل ذلك الرواية الثالثة فإنها حين ساقته إلى القارئ خبر
ولاية نصر خلّت من ذكر دواعى الترشيح لكل فرد ممن سمّتهم
الرواية للخليفة هشام بن عبد الملك ناهيك عن كون هذه الرواية
الأخيرة ذكرت ليوسف بن عمر الثقفى دوراً بارزاً فى التأثير على
الخليفة وهو يختار رجلاً على خراسان وهذا لا يتصور من هشام|بن
عبد الملك حيث كان يوسف بن عمر على بلاد اليمن^(٢) قبل أن يوليه
العراق فمن أين له العلم برجال خراسان حتى يستشيرهم أمير
المؤمنين فيمن يوليه عليها؟

^(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٥٦، ١٥٧ ابن الجوزى :

المنتظم ج ٤ ص ٦٦٦ ، ٦٦٧

ليس هذا فحسب بل إن ابن الأثير ^(١) ومن دار قى فلكه حين تتاولوا ولاية يوسف بن عمر على العراق ذكروا أن الوالى المذكور ولى العراق فى جمادى الأولى سنة عشرين ومائة للهجرة وقدم الكوفة فى جمادى الآخرة ؛ فكيف يتصور القارئ والحالة هذه لعب هذا الرجل دورا فى ولاية نصر فإن الأخير جاءه كتاب ولاية عهده فى شهر رجب سنة عشرين ومائة للهجرة.

ومما يدعم ما ذهبت إليه أن البخارى ^(٢) جعل سنة إحدى وعشرين ومائة بداية لولاية يوسف بن عمر على العراق فلو صح التاريخ المذكور لكان من المستبعد يقيناً لعب يوسف بن عمر دوراً فى عرض المرشحين على الخليفة ليختار من بينهم والياً على خراسان ولو سلمنا جدلاً بصحة التاريخ الذى جعل سنة عشرين ومائة بداية لولاية يوسف على العراق فإن ما ذكرته المصادر عنه منذ جاء إلى عمله وهو يطارد خالداً القسرى وعماله يجعل من يقرأ هذه الأخبار يكاد يجزم بعدم تدخل يوسف من قريب أو من بعيد فى أمر اختيار نصر بن سيار أو غيره على ولاية خراسان.

وعلى كل حال فإن هشام بن عبد الملك حين اختار نصراً لولاية خراسان لم يكن اختياره لها خالياً من أسباب يمكن للمرء أن يبرر بها ترجيح الخليفة لكفة نصر على غيره من الرجال المرشحين

(١) الكامل : ج ٥ ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٧ ص ١٠١، ١٠٢.

لولاية خراسان وهذه الأسباب فيما أرى تتلخص فى أن الخليفة كانت تطالعه أخبار نصر ومواقفه مع الولاة السابقين بخراسان والتى كان فيها نصر يعمل بجد واجتهاد من أجل الحفاظ على سيادة المسلمين بخراسان وكان كذلك يحرص على إقامة العلائق الطيبة مع الولاة السابقين وإن أساءوا إليه ، وأنه صار صاحب خبرة لا يمكن لمن كان على شاكلة هشام بن عبد الملك أن يغض الطرف عنه فإنه تولى الكور ^(١) بخراسان حسبما رأى القارئ فيما سلف.

وهناك سبب آخر جعل هشاماً يتجه ببصره إلى نصر دون غيره ألا وهو حرصه على إظهار الدولة الأموية بمظهر القوة المسيطرة على مقاليد الأمور بخراسان وأنها بقوتها تستطيع التصدى للعصبية القبلية التى كانت بلغت مداها فى خراسان قبيل عهد نصر ابن سيار فولى من كانت قبيلته قليلة العدد بين القبائل الأخرى ، وعلل ذلك بقوله الذى قرأه القارئ (أنا عشيرته).

بيد أن هشاماً لم يستطع تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع فإن الدولة الأموية كانت على مشارف شيخوختها ، وذلك ما عبر عنه الأستاذ الخضرى وهو يعقب على مقولة هشام فى حق نصر حين رفض ما عابه به من استشاره هشام فقال: (هذه جملة ضحيحة فى زمن قوة الدولة الناشئة عن اتحاد الفاتحين فأما بعد الانصداع فليست بصحيحة) ^(٢).

^(١) اليعقوبى : تاريخه ج ٢ ص ٣٢٧.

^(٢) محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٢٧.

ولقد شهد واقع خراسان لهشام بن عبد الملك أنه كان على دراية بأحوال أقاليم دولته ومنها خراسان فإن أنظار الخراسانيين بعد أن وافت المنية أسد بن عبد الله اتجهت إلى نصر بن سيار على الرغم من أيولة البلد إلى جعفر بن حنظلة البهراني سواء أكان منهم من بادله الود أو طوى نفسه على بغض لنصر.

وآية ذلك ما رأيته من ذكر لنصر ضمن المرشحين فى الروايات الثلاث وما قاله البخترى لنصر حين أم داره ليستنصحه فيما عرضه البهراني على نصر من ولاية بخارى ، فقال له البخترى لا تقبلها لأنك شيخ مضر بخراسان فجاء الواقع موافقا لما تنبأ به البخترى بن مجاهد الذى لامراء بنى مقولته هذه على استقرار جيد لأخبار الرجال الذين جذبوا أنظار الخراسانيين وغيرهم إليهم بحكم مشاركتهم فى الأحداث والذين منوا أنفسهم بالوصول إلى كرسى الولاية بخراسان نتيجة للأعمال التى قاموا بها فى هذا الإقليم وركون الولاة السابقين إليهم فى حملاتهم العسكرية وإخماد العصبة القبلية . فلما جاء العهد إلى نصر بن سيار بعث إلى البخترى ليأتيه فقال البخترى لأصحابه (قد ولى نصر خراسان ، فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له : من أين علمت ؟ قال كنت تأتيني فلما بعثت إلى علمت أنك قد وليت)^(١)

ونصر بن سيار الذى أقام بخراسان وقتا ليس بالقصير كان يعلم أن خبر ولايته إن سر بعض من أقاموا بها وخالطوه فإنه فى

الوقت ذاته أساء إلى من نلهضوه من القراء بسبب العصبية
القبلية أو الرغبة في أن تكون الولاية لأحدهم دونه ولقد عبر نصر
بن سيار عن ذلك كله في شعر له جاء فيه :-

تَعَزَّ عن الصَّبَابَةِ لا ثَلَامَ	كَذَلِكَ لا يَلَمُّ بك احتِمام
أَنَّ سَخِطْتَ كَبِيرُهُ بعد قُرْبِ	كَلِفتَ بها وبِاشْرَكَ السَّقَامِ
تَرْجَى اليومَ ما وَعَدْتَ حديثاً	وقد كَذِبتَ مواعِدَها الكِرامِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ما صَبَّحَ العَوالي	عَسِيرٌ لا يَرِيعُ به الكلامُ
أَبَتْ لى طاعَتِي وأبَى بِلَاقِي	وقوزي حينَ يَغْتَرِكُ الخِصامُ
وإنَّا لا نَضِيعُ لِنَا مَلِماً	ولا حَسِياً إذا ضاعَ الدِّمامُ
ولا نَغْضَى على عَذْرِ وإنَّا	نُقيمُ على الوفاءِ فلا ثَلَامُ
خَلِيفَتُنَا الذى فازت يَداهُ	بِقُدْحِ الحِمْرِ والمَلِكِ الهِمَامِ
نَسُو سَهْمُ به ولنا عليهم	إذا قُلْنَا مكارمُهُ جِسامُ
أبو العاصى أبوه وعبد شمسٍ	وَحَرْبُ والقَمَاقِمَةِ الكِرامِ
ومروانُ أبو الخلفاءِ عالٍ	عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ
وبيت خَلِيفَةِ الرحمنِ فينا	وَبَيْتَاهُ المُقدَّسُ والحِرامُ

ونحن الأكرمون إذا تُسبنا وغرّين^(١) البرية والسنام
فأمسيتنا لنا من كلّ حى خراطيم البرية والزمام
لنا أيدٍ نريش بها ونبرى وأيدٍ فى بواذرها السمام
وبأس فى الكريهة حين تلقى إذا كان النذيرُ بها الحسام^(٢)

سباسة نصر الداخلية بخراسان

لما استوى نصر على كرسي الولاية صرف جل عنايته إلى
اختيار عماله على الأقاليم فاختر رجلاً يثق بهم فجعلهم على
المناطق التابعة لخراسان فأشخص على بلخ مسلم بن عبد الرحمن
بن مسلم واستعمل على مروالروذ وساج بن بكير بن وساج ، وعلى
هراة الحارث بن عبد الله بن الحشرج ، وعلى نيسابور زياد بن عبد
الرحمن القشيري ، وعلى خوارزم أبا حفص بن علي ختنه ، وعلى
الصفد قطن بن قتيبة^(٣) وجعل على كتابته البختری بن مجاهد الذى
ظل يشغل المنصب حتى توفي نصر^(٤).

(١) عرائين القوم سادتهم وأشرفهم ، وقد تطلق على أول الأئمة تحت
مجتمع الحاجبين حيث يكون فيه الشَّم ابن منظور : لسان العرب مادة
عرن .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٥٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٦٦ .

يتضح لك مما سبق أن نصرا حين اختار عماله لم يجعل من بينهم يمينا الأمر الذى جعل بعض اليمنيين يعد فعله هذا عصبية لقبيلته مضر^(١)

وعندى أن هذا رأى إن صح فى حق ولاية سابقين على نصر فإنه لا ينطبق على هذا الرجل فقد رأى القارئ أنه أبى على قومه اتيان والى خراسان أسد بن عبد الله فى ولايته الأولى لاستنقاذ نصر من بين يديه حتى لا يتسبب ذلك فى حرب قبلية تعانى منها خراسان فرجل هذه حساسيته إزاء التركيبة القبلية فى خراسان والذى رأى معاناة القبائل من تعصب هذا الوالى لقبيلة دون أخرى لا وراء يتأى بنفسه عن فعل ما يثير اليمنية وغيرها عليه وهو فى بداية ولايته فاخياره لعماله على النحو السابق ربما يرجع إلى أنه رأى فيهم كفاءة وإخلاصا دون غيرهم . ومن ثم استعان بهم فى بداية أمره حتى يفرغ لعلاج معضلات الأمور التى ورثها نصر عن الولاة السابقين والتى من أهمها مسألة الجزية فإن هذه القضية لطالما شغلت ولاية خراسان.

فيذكر الطبرى وغيره أن عمر بن عبد العزيز حين آلت إليه الخلافة كتب إلى الجراح بن عبد الله الحكى والى خراسان كتابا يقول له فيه :-

انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، فكان من رأى الجراح ومن معه امتحان الناس

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٧ .

بالتفتان لأن الدافع إلى إسلامهم إنما هو الفرار من الجزية ، وكتسب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فرد عليه بكتاب شديد اللهجة قال فيه ، إن الله بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - داعياً ولنم يبعثه خاتناً!!^(١)

ولم يهدأ له بال ولم يقر له قرار إلا بعد أن رفع الخراج عن من أسلم بخراسان وفرض لمن أسلم وكتب إليه هذا الوالى إنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف فأنكر عليه ذلك وعزله^(٢) على الفور.

وظلت خراسان تعاني من هذه القضية حتى جاء إليها أشروس ابن سعيد فأراد أن يضع حداً لها حتى يقبل العجم على الإسلام فأرسل إلى سمرقند وبلاد ما وراء النهر "أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبه" والربيع بن عمران التميمي" فقال : أبو الصيداء إنما أخرج على شريطة أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية ، وإنما خراج خراسان على رعوس الرجال . فقال أشروس : نعم . فقال أبو الصيداء لأصحابه فإني أخرج ، فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم ؟ قالوا نعم . فثخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن العمرطة الكندى علي حريها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام علي أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشروس أن الخراج قد أنكسر فكتب أشروس إلى ابن العمرطة : إن الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل الصغد

^(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٥٥٩.

^(٢) البلاذري : فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٤.

وأثنيابهم لم يسلموا. رغبة إنما أسلموا تعوذاً من الجزية فانظر مسن
اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن. فارفع خراجة..

كان لرجوع أشرس بن سعيد عن قراره رفع الجزية عمن
دخل الإسلام من أهل سمرقند وبلاد ما وراء النهر الأثر العظيم فقد
تجمع العجم ومن شايعهم من رجال العرب الذين رأوا في فرض
الجزية على من أسلم مخالفة للشرعية الإسلامية بغض النظر عن
الأعداء التي برر بها أشرس بن سعيد الإقلاع عن قراره الأول .
فاجتال عاملة على "هائي بن هائي" فألقى القبض عليه حتى يخدم
الفتنة ويستمر الوضع على ما كان عليه من دفع الجزية.

وكان نصر بن سيار ممن عايشوا هذا الموقف فأحسن إلى
ثابت قنطة وقد كان ممن ألقى القبض عليهم مع هائي بسبب تأييدهم
رفع الجزية عن العجم الذين دخلوا الإسلام^(١)

فكان من الطبيعي أن يولى نصر بن سيار هذا الأمر عظيم
عنايته عندما آل إليه أمر هذا الإقليم فخطب الناس في سنة إحدى
وعشرين ومائة للهجرة فحدثهم عن قضية الجزية التي شغلت العجم
بخراسان زمناً طويلاً حديثاً حمل إلى الخراسانيين وغيرهم البشائر
بوضع حد حاسم لهذه القضية يتفق مع ما قرره الإسلام فقال (إنى
استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل
عليكم ، فأيا رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من
رأسه ، أو ثقل عليه في خراجة ، وخفف مثل ذلك عن المشركين ،
فليرفع ذلك إلى "المنصور بن عمر" ، يحوله عن المسلم إلى المشرك

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٥٦ / ابن الأثير : الكامأ ،
→ ٥ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

فما كانت الجمعة الثانية حتى أتابه ثلاثون ألف مسلم ، كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أُلقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين، ثم صنّف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح، فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أمية^(١).

ويذكر في هذا الصدد أن ديوان المحاسبات المالية بخراسان كان ما يزال يستخدم للغة الفارسية في حساب أموال الإقليم.

ومن ثم رفعها إلى أمير المؤمنين إلى أن آل لنصر أمر خراسان فأراد "يوسف بن عمر" والي العراق جعل المحاسبة باللغة العربية بدلا من الفارسية فكتب إلى نصر بن سيار في سنة أربع وعشرين ومائة كتابا أنفذه مع رجل "يعرف بسليمان الطيار" يأمره ألا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابه.

وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان إسحاق بن طليق الكاتب رجل من بنى نهشل ، كان مع نصر بن سيار فخص به ، وولد لإسحاق ابن فسماء نصرًا ، وقال :-

سميت نصرا بنصر ثم قلت له أخدم سميك يا نصر بن سيار^(٢)

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٤٢٧ .

(٢) الحشيري : الوزراء والكتاب ص ٦٧ .

ولقد أتت سياسة نصر العالية ثمارها بإقليم خراسان حيث
عمرت عمارة لم تعمر قبلها مثلها^(١) فكانت دار إمارته تشهد بين
الفينه والفينه مجيء بعض الشعراء إليه مثل أبي العطاء السبدي
وهو شاعر عرف بحبه للأمويين فإن الرجل مدح نصراً بأكثر من
قصيدة فمِنحه الوالى المذكور أكثر من عطية تدلك على مدى الرخاء
الذى عاشه الوالى وإقليمه فى بداية ولاية نصر له فقد أعطاه أربعين
ألف درهم^(٢) عن قصيدة مدحه بها.

ولا يعنى هذا أن نصراً أسلم نفسه لمجالس الأدب والشعر مع
حبه لذلك دون أن يقدم عليها مصالح مصره فإنه أبى الجلوس لأبى
العطاء السبدي حتى ينشده قصيدة أنشأها فى مدحه لانشغاله بتدبير
مصالح إقليمه وقال له : أنت تميمأ (ولد نصر) فأثاه فأنشده فقال
لأبى العطاء السبدي حين أثاه فى الغد ما فعل بك تميم ؟ فقال :
لئن كان أغلق بابُ الذرى
فقد فتح البابُ بالأبلى
ثم أنشده قوله :

وهيكل^(٣) يقال فى جلاله تقصر أيدى الناس عن قذالهِ^(٤)

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٦٦٧ .

(٢) الأصبهاني : الأغاني ج ١٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٩ .

أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) تطلق على الضخم من الأدميين والعظيم من الأشياء الأخرى
ابن منظور : لسان العرب مادة هكل

(٤) تستعمل للدلالة على أكثر من معنى منها العيب أو الاتباع
ابن منظور : لسان العرب مادة قذل .

جعلت أوصالى على أو صاله^(١) إنك حمالٌ على أمثاله^(٢)

ولعل السبب الذى جعل نصرًا يتسع صدره إلى أمثال أبى
العتاء السندى من الشعراء مع الأعباء الثقال التى حملها على كاهله
خلال ولايته لخراسان راجع إلى أن الشعر فى هذا العصر كان يضطلع
بدرى إعلامى لاغنى للقادة عنه فبسببه يتحدث الناس عن فضائل
القادة والحكام أو يذمونهم ، ومن خلاله يستطيع الوالى حشد الطاقات
للجهاد واستنهاض الهمم للبناء .

وعلى الجملة فإن الشعر كان يضطلع قديما بما يؤديه فى
أيامنا تلك الإعلام من خدمة للحكام .

مما تقدم يتضح للقارئ أن نصرًا انطلق فى ترتيب أمور
خراسان من خلال معرفته بدقائق أمور الإقليم وساكنية فعين العمال
وعالج قضية الجزية مع عدم حرمانه نفسه من الاستماع للشعراء كل
ذلك لا يريك إلا جانباً واحداً من جوانب شخصية نصر الذى أتى
خراسان فى وقت فرشت فيه ولايتها بالأشواك فلا يستطيع ولوجها إلا
من تحلى بصفات قل أن يجدها المرء فى رجال عاشوا فى أجواء
كتلك التى عاشها نصر بن سيار فى ولايته على خراسان يتبين لك
هذا عند الإلماع إلى العقبات التى جابهت نصرًا فى ولايته .

(١) تطلق على المفصل وأجزاء العظم والشاعر يريد من الممدوح أن
يجزل له العطاء ليضمن معيشة من يحملهم على أوصاله (يعنى ظاهرة
وعائقة)

العقبات التي واجهت نصر

في ولايته

لم يكن أمر هذه العقبات يشكل لنصر مفاجأة وهو يراها تقف حائلاً بينه وبين التمتع بولاية آمنة مستقرة فإنه عايش معظمها وأسهم في التغلب عليها حين كان يأتمر بأوامر الأمراء السابقين فانطلق في التصدي لها من خلال تجارب اعتقد أنها ستعينه على تخطيها حتى يثبت لهشام بن عبد الملك ومن جاء بعده من خلفاء الدولة الأموية أنه الأجدر بولاية خراسان من غيره فهل نجح نصر في بلوغ غايته ؟ ذلك ما يراه القارئ في مطالعته لعلاقة نصر بوالى العراق يوسف بن عمر وموقفه من ثورة يحيى بن زيد والترك ، والحارث بن سريج والكرمانى وأبى مسلم الخراسانى ، وما يتصل بها من أمور كان لها التأثير المباشر ليس على خراسان وحدها بل على الدولة الأموية بأكملها.

١ - موقف يوسف بن عمر والى العراق من نصر بن سيار بخراسان:

لقد علم القارئ الكريم من خلال الروايات السالفة التي تناولت اختيار نصر بن سيار واليا على خراسان أن هذه الولاية لم ترق يوسف بن عمر وإن حظيت بتصميم الخليفة عليها ومن ثم طفق يعمل كل ما وسعه للنيل من ابن سيار لدى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فتذكر المصادر أكثر من رواية سعى فيها يوسف بن عمر بنصر بقصد زحزحته عن ولايته واستبدال غيره به منها ما رواه

الطبرى من أن يوسف بن عمر كتب إلى هشام بن عبد الملك كتاباً جاء فيه إن خراسان دبرةٌ دبرةٌ^(١) فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فإنه كان مع الجنيد وولى جسيم أعمالها فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فإنه أديب أريب ونصيحته لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت.

فلما قرأ هشام كتاب يوسف أراد أن يتثبت مما فيه فبعث إلى دار الضيافة لعله يجد بها رجلاً على علم بأمور خراسان وعمالها وولادة أمصارها ، فوجد بالدار مقاتل بن على السفدى ، فأتوه به وأدناه فسأله هشام أمن خراسان أنت قال : نعم وأنا صاحب الترك وكان قدم على هشام بخمسين ومائة منهم فقال أتعرف الحكم بن الصلت قال : نعم ، قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفارياب^(٢) خرجها سبعون ألفاً فأسره الحارث بن سريج ، قال ويحك وكيف أفلت منه ! قال : عرك أذنه ، وقلده^(٣) وخلي سبيله فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالاً وبياناً فكتب إلى يوسف

(١) الدبرة بالتعريك قرحة الدابة ودبرت فهي دبرة ، كقرحة ، أى أنها موطن للقتال

ابن منظور : لسان العرب مادة دبر

(٢) بكسر الراء ثم ياء مثناه من تحت وآخره باء مدينة مشهورة بخراسان ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٣) القند : صفع الرأس ببسط الكف من قبل القفا

ابن منظور : لسان العرب مادة قند .

إن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكنانى وعمله^(١) .

فأنت ترى هشام بن عبد الملك بعدما تثبت من عدم صدق عامله على بلاد العراق فى ما قاله من صفات نعت بها من رشحه على بلاد خراسان ليتنهض بها ويدبر أمورها أكفاً من نصر بن سيار" لم يأخذ الخليفة برأى يوسف بن عمر" واعتقد جازماً أنه ما من سبب دعاه إلى النيل من نصر بن سيار" إلا تعصباً عليه أو رغبة فى أن يكون والى الإقليم ممن "ليوسف بن عمر" اليد الطولى عليهم .

وليس "هشام بن عبد الملك" بالذى يقبل ذلك فى دولته وهو الرجل المشهود له بحسن إدارته لأمر خلافته ومع علم يوسف ابن عمر بذلك فإنه لم يياس من بذل المحاولات لبلوغ غايته بعد الإخفاق الذى ألم بمسعاة السابق فى نصر لدى الخليفة فوجد أن استغلال العصبية القبلىة بين القيسية والمضرية وسيلة مثلى قد تنجح فى تحقيق مأربه ولاسيما إن هو نجح فى تجنيد واحد من رجال القيسية المقربين إلى نصر فوجد ضالته المنشودة فى المغراء بن أحمد بن مالك بن سارية النيمرى وكان نصر حين آلت إليه ولاية خراسان سئى منزلته وشفعه فى حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، غير أن المغراء والحكم لم يحفظا لنصر ما قدمه لهما فبدر منهما ما أوغر صدر والى خراسان عليهما فقد صالح الحكم بن نميلة الأبار مولى بنى عبس

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٩٣ .

ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٦٩١ .

وكان ممن آزرُوا يحيى بن زيد الذى خرج على نصر بن سيار
يخراسان فى ثورة يطالع القارئ أخبارها بعد ذلك فى الصفحات
التالية من هذا البحث.

فاعتبر نصر بن سيار أن هذه المصالحة من الحكم تعد
خروجاً على سلطانه ومن ثم أخذ يبعد عن القيسية^(١) فلما أرسل
نصر بن سيار بعد غزوته الثانية لفرغانة وقدأ عليه المغراء ابن
أحمر إلى بلاد العراق فتلقاه يوسف بن عمر وهو يعلم ما بينه وبين
نصر من خلافات فقال له قولةً تشعل العصبية القبلية فى خراسان
- حتى يدرك الخليفة أن نصراً ليس الجدير بحكم هذا الإقليم حين يرى
الحرب القبلية تأكل بنارها الأخضر واليابس بالبلد/ومن ثم يطمع
أعداء الدولة الأموية فى المسلمين المقيمين على أرضها فقال له
يوسف بن عمر : يا بن أحمر يغلبكم ابن الاقطع يا معشر قيس على
سلطانكم ! فقال قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمت على
أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقد موا على هشام فسألهم عن أمر
خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر
بخير ، فقال ويحك ! أخبرنى عن خراسان قال : ليس لك جند يا أمير
المؤمنين أحد ولا أنجد منهم من سواذق^(٢) فى السماء وفرسان مثل
الفيلة ، وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد قال : ويحك فما فعل
الكنانى ؟ قال لا يعرف ولده من الكبر . فرد عليه مقالته وبعث إلى
دار الضيافة فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) السواذق : الصقر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٩٤ (٢)

أخبرني عن نصر ، قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى
سفهه المجرب المجرب ، قد ولي عامة ثغور خراسان ومرو بها قبل
ولايته ^(١)

كان لهذه المقولة التي قالها شبيل بن عبد الرحمن الوقع
الطبيب على فؤاد هشام بن عبد الملك فلم يعزل نصرا عن خراسان بل
ازداد تمسكاً به بعد الذي كان من مكائد عاملة على العراق له فظلل
ابن سيار يحكم إقليمه حتى توفي هشام بن عبد الملك وجاء الوليد بن
يزيد فأفرده بولايته.

فلما رأى يوسف ذلك عجل بالمسير إلى الخليفة فاشتري
نصراً منه ليبقى تحت سيطرته ويمارس عليه ضغوطه وهو يدبر
شئون بلاده ^(٢)

فزادت تلك السيطرة التي سيطر بها يوسف على نصر
والمؤامرات التي حاكها ضده من صعوبة موقف الوالي وهو يحاول
التغلب على بقية العقبات التي واجهته وهو يدبر أمور إقليمه والتي
كان من أهمها على المستوى الداخلي ثورة يحيى بن زيد.

٢- موقف نصر بن سيار من يحيى بن زيد

تعد ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ^(٣)
في خلافة هشام بن عبد الملك حلقة من حلقات ثورات العلويين على

^(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

^(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٤ ص ٧٠٦ .

^(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٢٧ .

الأمويين فبن زيدا حين خرج بالكوفة تصدى له يوسف بن عمر والى العراق فأنزل به وبأتباعه هزيمة ساحقة رأى فيها يحيى والده وقد فاضت روحه إلى بارئها فى ميدان المعركة فأنشأ يحيى يبحث مع ثلثة بقيت من رجال أبيه عن مكان يوارى فيه جسده كى لا ينبش الأمويون قبره فجعلوا قبره فى مجرى نهر هناك فحبسوا الماء حتى حفروا قبره وسجوه فيه ثم ما لبث الأمويون أن وقفوا على مكانة فاستخرجوه وقطعوا رأسه وصلبوا جسده وبعثوا بالرأس إلى هشام فأمر به فنصب على باب دمشق ثم أرسل به إلى المدينة المنورة فصلب بها ، ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام فأمر به الوليد فأنزل وأحرق^(١).

كان من الطبعي أن تترك هذه المواقف الأثر الأليم على يحيى بعد ما تمكن من الوصول إلى خراسان فعقد الخناصر على الإطلاق منها بثورة على الأمويين ، وبينما هو ينشر بين أرجائها دعوته سرا إذا برسالة تأتي نصر بن سيار^٢ من عامل العراق يوسف بن عمر^٣ يأمره فيها بإلقاء القبض على يحيى بن زيد وإنزال شديد العقاب بالرجل الذى آواه فى خراسان^(٢) فأرسل نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجلي وهو من كبار قادته وأمره أن يأخذ الحريش الذى اختفى عنده يحيى بن زيد ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه به فسار إليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لى به فجلبه ستمائة سوط فقال له

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٦٧٧.

(٢) اليعقوبى : تاريخه ج ٢ ص ٣٢٦.

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٧١.

الحريش : والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلاً فقال : لا تقتل أبى وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدلّه عليه فأخذه وباربه إلى نصر بن سيار فحبسه فلما رفع أمره إلى يوسف عمر ومن ثمّ إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمر الخليفة الأموي بتسيير يحيى إليه ^(١) فاستدعاه نصر بن سيار وأعطاه الأعطيات وأمر عماله بخراسان بأن يقيموا الرصد في طرق أعمالهم التي يمر بها يحيى بن زيد حتى لا يمكث بمصر من الأمصار التابعة لخراسان بعضاً من الوقت كي لا يجد فرصة تمكنه من بث دعوته في هذا المكان أو ذاك.

وعلى كل حال فإن يحيى بن زيد قد ظهر منه وهو في الطريق إلى الوليد ما يدل على خروجه على الطاعة فأخذ بعض الدواب من التجار وجمع حوله الأنصار فما كان من نصر إلا أن سير إليه جيشاً بلغ عشرة آلاف رجل عليه سلم بن أحوز وجعل على ميمنته سورة بن محمد بن عزيز الكندي ، وحماد بن عمرو السغدّي على ميسرته فدارت بينهم وبين يحيى بن زيد وأتباعه اليسيرين معركة أسفرت عن قتل يحيى بن يزيد فلما بلغ الخليفة الأموي الوليد بن يزيد خبر مقتله كتب إلى يوسف بن عمر كتاباً أمره فيه بحرق جسد يحيى بن زيد ثم نسفه في اليم ^(٢) نسفاً بيد أن يوسف بن عمر

(١) ذكر اليعقوبي في كتاب البلدان ص ٦٦ ، ٦٧ أن يحيى بن زيد قد احتال لنفسه حتى هرب من حبس نصر وأن ابن سيار أشخص إليه سلم ابن أحوز ليقاتله هناك.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠.

اليعقوبي : تاريخه — ٢ ص ٣٣١ ، ٣٣٢.

ابن الجوزي المنتظم — ٤ ص ٧٠٧.

لم يفعل ذلك ، وكان سلم بن أحوز قد صلبه وصلب بازائه رجلاً من العرب يقال له مطر بن مطرف فما زال مصلوباً حتى خرج أبو مسلم فأنزله وواراه وتولى الصلاة عليه ودفنه^(١).

مما تقدم ترى نصر بن سيار ينجح في تجنب ولايته ثورة لو نشبت بها لأدت إلى زعزعة أركان حكمه ولعل السبب الذي جعله ينجح في ملاحقة يحيى بن زيد قبل أن يستغلظ عوده بخراسان راجع إلى عيون الأمويين الذين أطلعوا عامل العراق ثم الخليفة الأموي على مكان اختباء الثائر العلوي ، ومنذ ذلك الوقت أولى نصر الأمر عظيم عنايته فتعامل معه في حزم ولين فكان يشتد حين تكون الشدة حاسمة مثلما رأيته وهو يأمر قائدة بانزال شديد العقاب بالحريش الذي اختبأ عنده يحيى بن زيد مما مكنه من إلقاء القبض عليه.

وها هو ذا يجزل العطاء ليحيى بن زيد حين رأى الخليفة الوليد بن يزيد أشخاصه إليه فلما رأى نصر اللين مع يحيى بن زيد لا يجدى أشخص إليه الجم الفقير من رجاله فوضعوا حداً لهذه الثورة ، ونصر في هذا الموقف الذي وقفه من يحيى بن زيد إنما يدافع عن هيبة الدولة ، وينفذ أوامر الخليفة فهو في اعتقادي بمنأى عن اللوم حيث إن يحيى بن زيد هو الذي فرض على ابن سيار ورجاله خوض المعركة التي قتل فيها.

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٢٢.

ابن حبيب المحبر ص ٤٨٤.

وهناك سبب آخر تعزى إليه هزيمة يحيى بن زيد وغيره من العلويين السابقين عليه واللاحقين له ألا وهو انفضاض الأتباع والأشياع عنهم عند حومه الوغى بالإضافة إلى عدم الدقة فى التخطيط للخروج وتعجله مما سهل على الأمويين وقادتهم إحراز الانتصار عليهم.

وهكذا كان نصر بن سيار يضطلع بأمور ولايته بكفاءة وكياسة ؛ يتضح لك ذلك جليا وأنت تطالع ما كان من أمره مع الترك المتربصين بخراسان.

٣-عين نصر والترك

إن من يطالع أخبار الحملات الحربية التى سيرها نصر بن سيار إلى بلاد الترك سواء تلك التى خرج على رأسها بنفسه أم تلك التى جعل عليها قائداً من قواده يجزم بأن نصراً استوعب الدروس والعبر من صراعات الولاة السابقين مع الترك فأيقن أن لا جدوى من مجابهة هؤلاء بسلاح الحرب وإقامة الحصون المتفرقة على تخوم بلادهم مثل قصر الريح^(١) والباهلى وكمرجة^(٢) لأن الترك جعلوا من طبيعة بلادهم سياجاً يحميهم فى حملاتهم على العرب تلك التى كانت تتخذ شكل حرب العصابات.

^(١) بكسر الراء والياء المثناة من تحت والحاء المهملة قرية بنواحى نيسابور ياقوت معجم البلدان ج ٧ ص ٥٧.

^(٢) بفتح أوله وثانية وسكون الراء وجم ، قرية من قرى الصفد

ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ١٥٢.

فسلك نهجاً جديداً في التصدي لحظرهم على قاطنى خراسان إقامة على إظهار القوة لإرهاب الأعداء والتلويح باستخدامها دون اللجوء إلى ذلك إلا إذا دعت الضرورة وتقديم الصلح مع هؤلاء الترك على الحرب ليستطيع به أن يأمن خطرهم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجعل منهم عدته فى مجابهته لبنى جلدتهم فى بلاد جعلتهم طبيعتها رجالاً ذوى بأس وشكيمة فإن نصرأ استطاع أن يوثق علاقاته (بطوق شيادة)^(١) وهو من ذوى السلطان فى بخارى فقد خطب نصر ابنه الرجل إليه ^(٢) وكان يحرص على إكرامه والاستعانة برجاله فى حملاته المتكررة على بلاد ما وراء النهر وذلك ما كان حين توجه نصر بعد سمرقند إلى بلاد الشاش^(٣) وأراد عبور نهرها فتصدى له كورصول وهو ملك من الأتراك له أربعة آلاف قبّة ، وكانوا يحسبون قوة ملوكهم بعدد القباب التى يملكونها ويقومون بنصبها فى ميادين حروبهم حين يخرجون إليها بأنفسهم وكان نصر بن سيار قد استعان فى حملته تلك على بلاد الشاش بعشرين ألف تركى انضموا إليه من البلاد التى وثق علاقاته بحكامها مثل سمرقند وكش ونسف^(٤)

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٦ .

(٢) الزشى : تاريخ بخارى ص ٩٣ .

(٣) بالثنين المعجمة ببلده بما وراء النهر ثم وراء سيجون متاخمة لبلاد الترك ، ولها عمل وقرى وهى من أنزه بلاد ما وراء النهر وقصبتها بنكت أوتكت . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ١١٤ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٤ ص ٩

(٤) يفتح أوله وثانيه ثم فاء ، هى مدينه كبيرة كثيرة الأهل والرساق بين جيحون وسمرقند .

ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٨٧ .

ولقد دارت معارك متقطعة بين المسلمين بقيادة نصر ابن سيار والترك بقيادة كورصول بعد ما تمكن الأخير من تبييت نصر ورجاله انجلت عن مفاجأة لم يكن يتوقعها نصر والذين معه فإن عاصم بن عمير قائد جند سمرقند حين مرت به خيل الترك حمل على رجل في آخرهم فأسره فإذا هو كورصول فحملة إلى نصر وهناك دار حوار بين نصر وهذا الملك يستطيع القارئ من خلاله الوقوف على بعض جوانب شخصية نصر بن سيار الحربية وهو يحكم خراسان تلك التي حفظت كل ما كان بين الترك والمسلمين من معارك لقى فيها المسلمون من شح الماء وندرة الطعام ما جعلهم في بعض مراحلها يشرفون على الموت كما رأى القارئ ذلك فيما سلف.

فلما دخل أسير الترك على نصر سأله من أنت ؟

قال : كورصول . فقال نصر الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله . قال : ما ترجو من قتل شيخ ؟ وأنا أعطيك أربعة آلاف بغير من إبل الترك وألف يزدون تقوى بها جندك وتطلق سبيلي فاستشار نصر أصحابه فأشاروا بإطلاقه فسأله عن عمره قال لا أدري قال كم غزوت ؟ قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش ؟ قال نعم . قال لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم إلى سلبه فخذة فقال : من أسرنى ؟ قال نصر وهو يضحك : أسرك يزيد بن قران الحنظلي : فأنكر أن يكون أسره لما رآه من ضعف شخصيته ، فأعاد ملك الترك السؤال على نصر مرة أخرى : أخبرني من أسرنى ؟ قال أسرك عاصم بن عمير . قال لست أجد ألم القتل إذا كان أسرنى

فارس من فرسان العرب فقتله نصر وصلبه على شاطئ النهر فلما
قتل كورصول أحرقت الترك أبنيته وقطعوا أذانهم وقصّوا شعورهم
وأذنان خيلهم . فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحمل الترك
عظامه ، فكان ذلك أشد عليهم من قتله^(١)

كان لهذا الموقف الذى نال به نصر وطر المسلمين من ملك
الترك الأثر العظيم على رفع معنويات المؤمنين وحلفائهم هذا من
ناحية ومن ناحية ثانية فإن نصراً بموقفه المتشدد من رجل له هذه
المكانة الرفيعة بين الترك أراد أن يحرمهم من الإفادة بخبرته الحربية
وقدرته على تجريد الجيوش لقتال المسلمين بعد ذلك إن هو أطلق
سراحه فلم تسل لعاب نصر هذه العروض المالية التى عرضها ملك
الترك عليه وإن أسالت لعاب مستشاريه مما يدلك على أن نصراً وهو
يجابه الترك لم يكن يبحث عن الغنائم وحيازتها بقدر ما كان يريد
استتباب أمن ولايته وبالتالي وقاية المسلمين من أخطارهم أو جعلهم
يعتبقون الإسلام .

وثم أمر ثالث هو أن قتل الملك تسبب فى إلقاء الرعب
والفرع فى أفئدة الحكام الترك الذين ما يزالون يناصبون المسلمين
العداء فسياسة نصر التى سلكها فى حربه لهؤلاء الترك يراها القارئ
تؤتى ثمارها حين سار إلى بلاد الشام فى سنة إحدى وعشرين
ومائة للهجرة .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٧ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٦٧ .

فلما علم ملكها بقدومه إلى بلاده خرج إلى نصر فتلقاه بالهدايا وصنوف الإكرام وعرض عليه إبرام صلح بينه وبين نصر الذي قبل ذلك من ملك الشاش على ألا يؤوى في بلاده الحارث ابن سريج - الذي ستفصل صفحات هذا البحث الحديث عنه بعد ذلك - فقبل الملك هذا الشرط فعين نصر على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص (١).

ومنها انطلق نصر برجاله فحضر الحصار على فرغانة (٢) التي استعد ملكها للنزال ونجح في سلب المسلمين بعضاً من دوابهم وأسر عدد من رجالهم فأرسل نصر بن سيار مدداً لرجالهم فالتقوا الفرغانيين في معركة انجلى عن قتل الدهقان (٣) وأسر ولده ومعه رجال من الترك فحملوهم إلى نصر بن سيار فحضر عنق ولد الدهقان (٤).

ولعل السبب الذي جعل نصراً يقدم على إراقة دم هذا الأسير هو أن نصراً سبق له تقديم السلام على الحسام حين أرسل رسولاً إلى ملك فرغانة يعرض عليه الصلح فأظهر صاحب هذه البلاد أنه ذو

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٣٨.

(٢) بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية - هيطل ، على يمين القاصد ببلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً.

ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٤٢٨.
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٣١.

(٣) كلمة فارسية مركبة من مقطعين : ده بمعنى قرية ، وقان بمعنى شيخ أو رئيس وقد تطلق على شيخ القرية ومن له معرفة بشئون الزراعة.
أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٢ ص ٣٩٧.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٧.

قوة يستطيع بها التصدى لنصر والذين معه إلا أن رسول والى خراسان استطاع بحسن خطابه لملك فرغانة الحصول على موافقته على كتاب الصلح الذى جاء به من عند نصر^(١)

وإذا كانت المصادر التاريخية لم تشر صراحةً إلى أن سبب إرسال نصر جيوشه إلى بلاد فرغانة راجع إلى نقض ملك هذه البلاد الصلح الذى أبرمه مع نصر فإن ذلك يفهم من قول الطبرى : (وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما)^(٢)

فهذه العبارة تدل على أن نصر لم يخض هذه المعركة إلا بعد أن تنكر حكام فرغانة للصلح الذى أبرموه معه.

أطلق نصر بن سيار العنان لفكرة وهو يواجه الترك فلم يقف موقفًا يتسم بالجمود أمام قضايا هذا الصراع الذى طال أمده بين المسلمين والترك فأخذ يتعامل فى جرأة منقطعة النظير مع مشكلات هذا الصراع بما أملت عليه تجاربه الطويلة فى حروبه للترك انطلاقاً من خراسان قبل أيلول البلد إليه فإن الصغد^(٣) لطالما حاربوا السولاة

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٦٨١ .

ابن الوردي : تاريخه ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٧ .

(٣) بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالمسين مكان الصاد وهى كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى ، كانوا يسكنون بعض ما يعرف اليوم باسم أوزبكستان من جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية سابقاً/ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ١٩١ .

السابقين على نصر وأظهروا في مواجهتهم للمسلمين بسالة منقطعة النظير.

صحيح أن السابقين على نصر قد استطاع بعضهم أن يفرق جمع هؤلاء إلا أن ظروف الترك ما لبثت أن تغيرت بعد الذي أنزلته بهم أسد بن عبد الله حين قتل خاقانهم فأصبحت جماعاتهم تعيش فترة سادها عدم النظام وهيئت الأجواء لظهور قوى تركية جديدة تستطيع التأثير على مجريات الصراع بين المسلمين وبينهم بعد مقتل خاقان.

ومن هذه القوى أهل الصغد فإن هؤلاء أخذوا يعودون إلى بلادهم أرسلوا ، فرأى نصر بن سيار مخاطبتهم في أمر عودتهم إلى بلادهم مع خضوعهم للمسلمين وعدم مناجزتهم فعرضوا عليه ما كان الولاة السابقون على نصر يأبون قبوله فإذا بابن سيار يرحب به ولا يبالي بما أثاره هذا العرض من حفيظة الفقهاء والمسلمين فإنهم عرضوا الرجوع ومهادنة المسلمين على أساس :-

(١) أن لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الإسلام .

(٢) لا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس .

(٣) لا يؤخذ أسارى المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة عدول.

ولقد برر نصر بن سيار موقفه هذا لمن أنكروا عليه صلحه مع

الصغد على هذه الشروط بقوله :-

(أما والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك) ومضى نصر بن سيار قدماً في إضفاء الصبغة الرسمية على صلحة فسير رسولا من عنده إلى الخليفة هشام بن عبد الملك الذى ما إن أطلعه الرسول على كتاب الصلح حتى أبدى معارضته لبنوده فلما رأى رسول نصر ذلك من أمير المؤمنين قال له:-

(جريت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا فأختر لنفسك)

هنا تدخل أحد مستشارى الخليفة في الأمر فقال له : يا أمير المؤمنين تألف القوم وأحمل لهم ، فقد عرفت نكايتهم كانت فى المسلمين فأنفذ هشام هذا الصلح^(١).

إن من يتأمل الصلح الذى عقده نصر بن سيار يجد الرجل لم يخالف شرعاً ولم يفعل إلا ما فيه خير للمسلمين والخلافة فإن قبوله عدم التعرض لمن كان مسلماً من أهل الصغد ثم ارتد عن دينه لا يعود بالضرر على المسلمين وسلطانهم بخراسان إذ لا خير يرتجى من رجل لم يخالط قلبه الإيمان بل على العكس فإنه إن ظل على إسلامه في الظاهر فلربما يحدث منه عند الاستعانة به في حرب ما يلحق الضرر بالمسلمين.

ومثل ذلك قبوله عدم التعرض لمن بيد الصغد من الرقيق الذين تحت أيديهم دون إقامة بينه على إسلامهم واسترقاقهم بعد أسرهم

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ١٩٢
النويرى : نهاية الأرب — ٢١ ص ٤٥٩.

أمر لا يجافى العدل فالقضاء وحده صاحب الكلمة العليا في هذا الأمر بمقتضى البيئة التي يقدمها إليه المدعى ومثل ذلك أيضاً عدم مطالبتهم بديونهم السابقة فإن ذلك كله إن قورن بالنفع الذي عاد على مسلمي خراسان من مصالحتهم للصغد يجمال المرء يعتقد الصواب في جانب نصر بن سيار في حسمه للصراع مع الصغد فإنهم وغيرهم من الترك كانوا ملاذاً للخارجين على سلطة المسلمين بخراسان مثل الحارث بن سريج الذي شجعه على المضى قدماً في حركته وثورته انشغال ولاة خراسان عنه بصراعهم مع الترك.

ع-عين الحارث بن سريج ونصر بن سيار

ورث نصر بن سيار عن ولاة خراسان السابقين عبء مواجهة الحارث بن سريج الذي قاد ثورة كبيرة ببلاد خراسان أرهقت الدولة الأموية من أمرها عسراً فإن هذا الرجل رأى في الواقع الذي تعيشه هذه الدولة في كثير من أقاليمها فرصة مواتية لخروجه على طاعتها ففي سنة ست عشرة ومائة شهدت الدولة قلاقل بلاد الشام واضطرابات للموالى بسبب قضية الجزية في خراسان فوجد الحارث بن سريج أنه لا سبيل إلى تجميع الرجال إليه في أعداد غفيرة إن هو خرج بخراسان إلا بإظهار تأييده للعجم في موقفهم من ولاة الأمويين في خراسان الذين أبو إلا أن يأخذوا الجزية ممن أسلم منهم فقاد عربي ثورة موالى ضد دولة عربية تعصبت للعرب على حساب العجم فأنشأ يدعو قاطني خراسان إلى الكتاب والسنة وإلى المساواة بين العرب والعجم ويذكر أن الحارث في بدء دعوته كان من الخوارج وأخذ برأى المرجئة غير أنه لم يدع إلى نفسه وإنما دعا إلى العدالة

ونصرة الحق ومحاربة الظلم بالسيف مستقيداً من تذكير الموالى تجاه سياسة الأمويين^(١).

وقد انضم إليه أشياع أبي الصيذاء زعيم المرجئة مثل بشر ابن جرموذ الضبي ، وأعداد كثيرة من الموالى .

وكان على ولاية خراسان في تلك الفترة عاصم بن عبد الله بن يزيد الذي وجه إليهم رسلة فقيدهم الحارث وسجنهم ، وحينما استطاعوا الخروج من سجنه أمرهم عاصم بن عبد الله أن يخطبوا في الناس ذاكرين الحارث وخبث سيرته .

لما رأى الحارث بن سريج أن الناس قد التفوا حوله في جموع كثيرة سار بهم من القارياب إلى بلخ وعليها نصر بن سيار فلقى الحارث في عشرة آلاف وهو في أربعة آلاف فقاتلها فانهزم أهل بلخ.

وتبعهم الحارث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها وأمر الحارث بالكف عنهم ، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله بن خازم^(٢)

ترك الانتصار الذي أحرزه الحارث على نصر بن سيار أثراً عظيماً فجمع اتباعه ليستشيرهم فيما ينبغي فعله بعد هذا الظفر

(١) ابن الأثير : الكامل — ٥ ص ١٨٣.

ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ونورهم الميامي في العصر العباسي الأول ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.

الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٩٤ ، ٩٥.

النويري : نهاية الأرب — ٢١ ص ٤٣٩.

فأشار عليه جُلهم بالبقاء حيث هو بعد ماضم إليه الجوزجان وعللوا ذلك بقولهم (مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ، ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لا تنتصفوا منك ، فأقم فإن أتوك فقاتلهم وإن أقاموا قطعت المادّة عنهم)

لم يرق للحارث بن سريج هذا الرأي فصمم على المسير إلى مرو ممناً نفسه بحيازتها منتهزاً فرصة اضطراب واليها عاصم بن عبد الله فسار إليها بمن معه من دهاقين خراسان وهناك دارت معركة كبيرة بين عاصم وبينه انكشفت عن هزيمة أتباع الحارث هزيمة ساحقة فكانوا بين قتيل أو غريق أو أسير.

ومع ذلك منع عاصم بن عبد الله أصحابه من ملاحقة الفلول التي مضت مع الحارث موليةً الأدبار^(١) ولم يعرف السبب الحقيقي لكف عاصم عن قتال الحارث إلا إذا كان قد أحس بقوة خصمه من جهة والمهمة الملقة على عاتقه لحماية خراسان من جهة أخرى خاصة وأن المسافة بين خراسان وحاضرة الخلافة الأموية بعيدة والمدد لا يمكن وصوله بالسرعة المرجاة^(٢) والذي يؤكد لك أن عاصماً لم يكن جديراً بمحاربة الحارث بن سريج أنه قبل إبرام صلح بينهما.

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.

ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٣١٣.

النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٣٤٩ ، ٤٤٠.

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٥٢.

(٢) ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى

الأول ص ٣٤.

اتفقا فيه على أن ينزل الحارث أى كورخراسان شاء وعلى أن يكتب جميعاً إلى هشام يسأله كتاب الله وسنة نبيه ، فإن أبى اجتمعا عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حزيان أن يختم وقال هذا خلع لأمير المؤمنين^(١).

وإذا كان نصر بن سيار قد حارب الحارث بالسيف فانهزم حين كان ببليخ فإنه استمر بعد ذلك فى مناهضته له بسيفه ثم بلسانه خلال ولاية عاصم ليجعل الناس ينفضون عنه ، فيبين لهم أن الحارث بثورته تلك قد أطمع أعداء المسلمين فيهم وأنه ينبغي عليه إن كان جاداً فى دعوته أن يصرف همته إلى هؤلاء حتى يدفعهم عن المسلمين أو ينشر فيهم تعاليم الدين فقال :-

فَامْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يَصْلُونَا
وَأَقْتُلْ مُوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرَهُمْ حِينَ تَكْفُرُهُمْ وَالْعَهْمُ حِينَا
وَالْعَائِبِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا
وَالْقَائِلِينَ سَبِيلَ اللَّهِ بَغْيَتَنَا لَبِئْسَ مَا نَكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا
فَاقْتُلْهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا مِنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمِرْتَابَ مَفْتُونًا
ارْجَاؤُكُمْ لَزَكَمُ^(٢) وَالشُّرَكَ فِي قَرْنِ

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٠١، ١٠٢

ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٦٣٧.

(٢) لَزَمَ الشَّيْءُ لَزًّا وَالزَّمَهُ أَيْ لَزَمَهُ لِيَاهُ ، وَتَمَسَّعِلَ بِمَعْنَى الْمَلَامَقَةِ
ابن منظور : لسان العرب مادة ل-ز-ز.

فَأَنْتُمْ أَهْلُ إِشْرَاكِ وَمَرْجُونَا ^(١) ... الخ

ولما وقف هشام بن عبد الملك على الخطر الذي شكله الحارث ابن سريج على واليه بخراسان عجل بعزله وأرسل أسد بن عبد الله والياً عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

اضطلع هذا الوالي بأمر مناهضة الحارث في ظرف بالغ الصعوبة فقد أحاط به الأعداء من كل مكان وحين سار برجاله إلى الترمذ ^(٢) .

وجد الحارث بن سريج محاصراً لها فخرج أهل المدينة لقتالته وردده عن بلادهم وكان الحارث قد وضع لهم كميناً فتبعوه ، ونصراً بن سيار مع أسد جالس ينظر المعركة فأظفر الكراهية ، وعرف أن الحارث قد كادهم وظن أسد أنما ذلك من نصر شفقة على الحارث حين ولي ، وأراد معاتبة نصر ، وإذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا ^(٣)

من هذا الموقف الذي رأيته يتضح لك أن أسد بن عبد الله القسري حين جاء للمرة الثانية لم يشأ الإفادة من فكر نصر الحربي فكان يعامله بحذر ويقدم سوء اعتقاده فيه على مادونه ، وما

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٠١ .

(٢) بفتح التاء وكسر الميم مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصناعات .

ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٠٦ .

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

الذهبي : المعبر ج ١ ص ١١١ .

ذلك إلا للعصبية القبلية التي جعلت الحارث وأمثاله يحدثون فى خراسان من القلاقل والاضطرابات ما عجل بنهاية الدولة الأموية.

وعلى كل حال فإن الواليين السابقين على نصر لم يتمكنوا من حسم الصراع مع الحارث بن سريج لصالح الدولة الأموية إلى أن جاء نصر فأدرك أن الحارث بتحالفه مع الترك زاد من خطرهم على المسلمين فى خراسان فأراد أن ينهج ساسية جديدة مع هذا الخارج لعدة يدفع بها خطره عن خراسان خاصة ، وعن الدولة الأموية عامة لاسيما وأن الحارث قد اتصل بالكرماتى المناوئى لنصر وكذلك الشيباتى ليجعل منهما وسيلة ضغط على عامل الدولة الأموية بخراسان أو يستطيع بهما هزيمة نصر وطرده عن خراسان والحلول محله.

ويبدو لى أن هذه التطورات التي أشرت إليها لم تغب عن ذهن الخليفة الأموى الجديد يزيد بن الوليد فكتب إلى الحارث يعده ويمنيه ويسأله العودة وهو آمن من بلاد الترك إلى مرو فوافق فعل الخليفة مع الحارث نهج نصر وسياسته.

فأحسن نصر استقبال الحارث بن سريج حين وصل إلى مرو فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فتلقاه نصر وأجرى

عليه رزقاً كل يوم خمسين درهماً وأطلق نصر من كان عنده من أهله ، وبعث إليه بفرس وفرش ، فباع الحارث ذلك وقسمة فى أصحابه ، وكان يجلس على برذعة ، وتثنى له وسادة غليظة

وعرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه مائة ألف فلم يقبل وقال : لست من أهل اللذات وإنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة فإن فعلت ساعدتك وإنى خرجت من هذا البلد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور وأنت تريدنى عليه.^(١)

ومع ذلك جمع الحارث بن سريح الأعوان حوله من جديد فانضم إليه ثلاثة آلاف رجل من قبيلة تميم والأزد وغيرهما.

وحتى يستمر ممسكاً بخيوط اللعبة السياسية بخراسان كتب إلى الكرمانى يذكر له : (إن أعطانى نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بأمر الله ، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لى القيام بالعدل والسنة).^(٢)

فهو بهذه المقولة يجعل من نفسه رقيباً على الوالى وفى ذلك كما ترى زوال لاهية سلطة نصر ومكانته فى أعين الرعية ، ليس هذا فحسب بل هو يشجع الكرمانى على المضى قدما فى مناورته لنصر فوعده الحارث النصر إن هو أعطاه حق المراقبة عليه إذا ما آل أمر البلد إليه .

ومن الطبعى ألا يتحقق ذلك إلا بعد صراع داخلى تراق فيه الدماء بخراسان . وهذا ما يسعى إليه الحارث الذى حالف كل القوى المناولة بخراسان بغض النظر عن ما إذا كانت منتمية للدين الحنيف أم لا مثلما كانت حاله مع الترك غير المسلمين إذ ذاك.

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٠٩ .

ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٧١٧ ، ٧٢٢ .

عبد الشافى عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص ٥٢٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٢٧ . ٦١

ذلك أنه لما استخلف مروان بن محمد جدد لنصر بن سيار
الولاية على خراسان فثار الحارث بن سريح عليه ونقض الأمان على
زعم أن الذي أمنه يزيد بن الوليد قد غربت شمسُه عن الخلافة ولا
يأمن على نفسه مروان بن محمد وطالب الحارث الناس ببيعته فوافته
جموعهم فأرسل نصر إليه كبار رجال ولايته على رأسهم صاحب
شرطته فناشدوه الاستمرار في الجماعة وذكروه بإحسان نصر إليه
فأبى إلا المضي قدماً في انتفاضه على أميره لاعتقاده أنه صار
صاحب الكلمة العليا في خراسان فأرسل إلى نصر يطلب منه إقالة
صاحب شرطته وتعيين بشر بن "بسطام البرجمي" عوضاً عنه (١)

ولقد بلغ الهوان والضعف بنصر مدهما حين قبل تشكيل هيئة
تحكيم تتولى الحكم بينه وبين الحارث بن سريح لأنه بذلك يسوى بينه
وهو ذو سلطان وبين خارجي نبذ الطاعة وتحالف مع أعداء
المسلمين ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضى به الحكيم من
الأسس السياسية لتدبير أمور الإقليم وما يختارونه من العمال
فيوليهم الثغرين ، ثغر سمرقند وطخارستان ، ويكتب إلى من عليهما
ما يرضونه من السير والسنن

ويبدو لي أن الذي ألجأ نصر إلى قبول التحكيم بينه وبين
الحارث أن ذلك كان في وقت أرجف فيه دعاة العباسيين في خراسان
أنه يظهر في هذه الآونة صاحب الرايات السود الذي يدبّل دولة
الأمويين فاهتبل الحارث هذه الأراجيف فزعم أنه صاحب الرايات
السود الذي يتحدث الناس عنه هنا وهناك فأراد نصر أن يبطل دعوته

تلك فأرسل إليه يقول : إن كنت تزعم وأنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون أمر بني أمية ، فخذ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير ، وأحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر ، فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك ، وإن كنت لست ذاك فقد أهلكت عشيرتك فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعنى عليه من صحبى ، فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولا هم مثل بصيرتك وأنهم هم فساق ورعاع ، فأذكرك الله فى عشرين ألفاً من رببعة واليمن سيهلكون فيما بينكم .

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف ، فلم يقبل ، فقال له نصر : فإن شئت فابدأ بالكرمانى فإن قتلته فأنا فى طاعتك ، وإن شئت فخل بينى وبينه فإن ظفرت به رأيت رأيك ، وإن شئت فسر بأصحابك فإذا جزت الرى فأنا فى طاعتك.(١)

إن من يتأمل هذا العرض الذى عرضه نصر على الحارث ابن سريج يدرك أن الوالى بذل له ما وسعه حتى يجنب نفسه خوض معركة ضده فى هذا الوقت الذى كثر فيه أعداء الدولة الأموية وبلغ فيه الضعف مداه بالخليفة الأموى ، فهو إذن يعلم مقدماً أن جابه الأمر بقوة السلطة وعزيمة القائد الحربية لن يجنى إلا الهزيمة التى قد تعجل به من خراسان فلا هو بمستطيع حشد العدد والعتاد اللازمين لمجابهة عشرات الألوف التى انضمت للحارث بن سريج ومناوئيه الآخرين ، ولا هو بالرجل الذى يقبل الاتسحاب من هذا الميدان معلناً

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ -

عن عجزه تدبير، الأمور فقبوله للمفاوضات مع الحارث وعرضة عليه هذه التنازلات كان أمراً لا بد منه بل قل إن شئت كان بمثابة الورقة الأخيرة التي لم يعد يملك سواها ، فلا يلام نصر والحالة هذه فى عرضه الأخير الذى عرضه على الحارث بن سريج الذى نجح فى تجنيد بعض عمال نصر معه فلما وقف نصر على أن عددا من رجال ولايته قد ظاهروا الحارث عليه جمعهم نصر إليه وأجلسهم عن يساره وجعل المخلصين من معاونيه عن يمينه وقال لهم أحمد الله وأنم من على يسارى ، وليت خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مرو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم فى الرجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردت المسير إلى الوليد فمنكم من رفع ألف ألف وأكثر وأقل ثم ما لآتم الحارث على ، فهلا نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزموني مؤاسين على غير بلاء وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه فاعتذر القوم إليه فقبل عذرهم ^(١) أدرك نصر بن سيار أنه لا مناص من حرب تدور بينه وبين الحارث بعد ما أعلن المحكمون رأيهم بخلع نصر بن سيار وجعل اختيار والى خراسان إلى المسلمين يختارون على أساس مبدأ الشورى ^(٢) من يروونه كفأها فأبى نصر قبول هذا رأى الذى يعنى إقراره بزوال خلافة الأمويين الذين جعلوه واليا على هذا الإقليم ، وزاد من تلبس

=النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٢٣.

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٣.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٢٩.
ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٦.

الأجواء بين ابن سريج وابن سيار هذا الشحن المعنوي الذي عبأ به الأول الناس فأمر بقراءة سيرته في المساجد والتجمعات فأتته جموعهم مرحبةً به ترى فيه منقذاً لهم من تعصب الأمويين عليهم ليس هذا فحسب بل إن أحد من كلفوا بقراءة سيرة الحارث استطاع قراءتها عند باب نصر بن سيار الذي أمر بحشد طاقاته العسكرية بعد علمه بذلك لخوض الحرب ضد الحارث بن سريج فولى عاصم بن عمير قيادة جيشه فسار إلى الحارث لتدور بين الفئتين حرب ضروس انتهت جولتها الأولى بانتصار الحارث بن سريج ودخوله مرو ثم ما لبثت الحرب أن صارت في صالح نصر والذين معه فالحقوا هزيمةً بالحارث بن سريج^(١) الذي أوى برجاله المنهزمين إلى الكرمانى^(٢) فأنشأ الأخير يلعب دوراً بارزاً في الصراع بين نصر بن سيار^(٣) والحارث بن سريج^(٤) وحتى يقف القارئ على الدوافع التي جعلت الكرمانى يؤازر الحارث على نصر يحسن بى الإلماع إلى ما كان بين نصر والكرمانى من علاقات جعلت الأخير يقف من نصر موقف العداء بعد أولولة أمر خراسان إليه.

٥- بين نصر والكرمانى

كان جديع بن على بن شبيب بن برارى بن حنيم المعنى^(٥) المنسوب إلى كرمان مسقط رأسه ترباً لنصر بن سيار قبل توليته على خراسان

(١) خليفة بن خياط تاريخه ص ٣٨٣ ، ٣٨٤

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٧٢٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٨٧ .

وكلاهما عمل على تهيئة الأجواء لنفسه وجذب الانتظار إليه حتى يصبح في يوم ما والياً على الإقليم .

ولقد رأيت فيما سلف من القول أكثر من رواية ذكرت الكرمانية مع الرجال المرشحين لهشام بن عبد الملك حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ، فلما أصبح نصر والياً على خراسان حلق عليه "جديع بن علي" وأنشأ يعمل على إثارة القلاقل في وجهه، ولكي ينجح في بلوغ مأربه راح يتلمس الأسباب التي تسوغ له الثورة على نصر ابن سيار والتي من بينها تأخر نصر في إخراج العطاء من بيت مال خراسان على ما جرت عليه عادة أهل الإقليم وذلك بسبب أن الوليد ابن يزيد حين آلت إليه خلافة الأمويين في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة (١)

سار إليه يوسف بن عمر والى العراق فاشتري لنفسه منه تبعية الإقليم الذي يحكمه نصر ، وكتب يوسف إلى نصر يطلب منه إرسال الهدايا إليه حتى يبعث بها إلى الوليد فقام نصر بتقسيم عصب تدبير هذه الهدايا على عماله وأهل خراسان فلم يدع بها جارية ولا عبداً ولا برزوناً فارهاً إلا أعده واشتري ألف مملوك وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل ، وقال بعضهم : كان قد أعف خمسمائة وصيفه ، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماتيل الظباء ورعوس السباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه ، فسرَح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق (٢) فكتب إليه الوليد يأمره أن

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٠ .

(٢) بالفتح كوروا سعة كثيرة البلدان والعمارة بين أول حدودها ونيسابور

يبعث إليه ببرابط^(١) وطنابير^(٢) إلا أن شيئا من هذه الهدايا لم يصل إلى الخليفة الذى قضى أجله ونصر يتأهب إلى ارسال الهدايا إليه^(٣). فكان من الطبعي أن يؤدى هذا إلى حدوث تدمر بين الخراسانيين حين تأخر عطاؤهم بسبب الأزمة المالية التى تسبب فيها الإتفاق على تدبير هذه الهدايا فقاموا بالمسجد يوم الجمعة يطالبون نصرا بالعطاء فرأى ابن سيار أن الفتنة قد اطلت برأسها وأن رجالا ينفخون فى نارها فحذر الخراسانيين من غائلتها وقال لهم : إني لمكفر ومع ذاك لمظلم^(٤) وعسى أن يكون ذلك خيرا لى إنكم تغشون أمرا تريدون فيه الفتنة فلا أبقي الله عليكم ، والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فما عندى منكم عشرة وإني وإياكم كما قال من كان قبلكم.

اسْتَمْسِكُوا أَصْحَابَنَا نَحْدُو بِكُمْ فَقَدْ عَرَفْنَا خَيْرَكُمْ وَشَرَّكُمْ
فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم لیتَمَنَّيَنَّ الرجل منكم أنه يخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان أنكم غمظتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة أسلطان المجهول تريدون وتنتظرون ! إن فيه لهلاككم معشر العرب^(٥) فاهتبل الكرمانى هذا الأمر فراح يشيع فى أتباعه الأزد أن خراسان مقبلة على فتنة بعد ما آلت لابن سيار فقال لهم : انظروا لأموركم رجلا فقالوا : أنت لنا فلما وقف نصر على

(١) البربط : العود ، أعجمى ليس من ملامى العرب فأعربته حين سمعت به ، وفي حديث علي بن الحسين لا قد كتبت أمه فيها الكبريط .
ابن منظور : لسان العرب مادة بربط .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤) الجوزي : المنتظم ج ٤ ص ٧١٦ ، ٧١٧ .

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

جلية ما يدبر له من وراء ظهره دعا مستشاريه ليستنصحهم عن السبيل الذى يسلكه فى تألف الكرمانى إليه واتقاء خطره فمنهم من قال له : أرسل إليه فاقتله أو فاحبسہ فقال نصر لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث فأزوج بنى من بناته وبنيه من بناتى فأبوا قبول ذلك من نصر فقال لهم ابعث إليه بمائة ألف فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ويعلمون به فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة له قال نصر فندعه على حاله يتقيننا ونتقيه^(١)

ومن الأسباب التى جعلت الكرمانى يعمد إلى إثارة القلاقل فى وجه نصر والدولة الأموية أنه كان يطمح إلى أن يولى مروان ابن محمد أحد ولديه السيوف فينال بذلك ثأر بنى المهلب فلما لم يحقق له الخليفة ما تمناه أزمع النبل من نصر والخليفة بإثارة الفتن الداخلية فى الإقليم ، والذى زاد من تصميمه على إثارة الاضطرابات فى وجه نصر بن سيار أن الكرمانى ونصراً قبل ولاية الأخير كانا متصافيين حيث أحسن الأول إلى الثانى فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى فلما تولى نصر خراسان لم يحفظ للكرمانى صحبته

ومن ثم حنق الكرمانى على ابن سيار فلما أوقف الكرمانى عصمة بن عبد الله الأسدى على طويته فى أمر نصر قال له :-
إنها بدء فتنة فتجن عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سباع بن النعمان الأزدى والفرافصة بن ظهير البكرى

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٨٧.

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٣٠٤.

النويرى : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٤٩٧ ، ٤٩٨.

فإنه لم يزل متغضباً على الله بتفضيله مضر على ربيعة^(١) ومن الأسباب التي أثارت الفتنة بين الكرمانى وابن سيار أن الأول كاتب عامل جرجان يخبره بأمر منصور بن جمهور الذى آلت إليه ولاية العراق وما كان من موقفه من نصر بن سيار فأغضب ذلك نصرراً على الكرمانية^(٢).

وكان منصور بن جمهور قد تولى العراق وخراسان بعد عزل يزيد بن الوليد ليوسف بن عمر عنها ومنصور بن جمهور هذا جاء إلى العراق وما تبعها من الأعمال مثل خراسان وهو يريد إعلاء شأن اليمنية على حساب غيرها من القبائل فلما علم نصر بن سيار بعزل منصور بن جمهور له عن خراسان تصدى له وأبى تسليم البلد إليه حتى جاءته ولاية البلد من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذى استبدله الخليفة الأموى يزيد بن الوليد بمنصور بن جمهور^(٣) وسواء أصحت هذه الأسباب أم لم تصح فإن نصرراً أزمع على إلقاء القبض على الكرمانى حتى يجنب خراسان فتنة تاكل بنارها الأخضر واليابس لو ظل جديع بن علق على حاله فى موقفه من أميره ابن سيار فلما تم نصر ذلك ودخل عليه الكرمانى قال له : يا كرماني ألم يأتى كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعت وقلت شيخ خراسان وفارسها فحققت دمك؟ قال بلى . قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٨٧.

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٨٧.

ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٢٧.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠.

حسين عطوان : الأمويون والخلافة : ص ٢٢١.

ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم فى العصر العباسى الأول ص ٢٥ ، ٢٦.

الغرم وقسمته فى أعطيات الناس ؟ قال : بلى قال : ألم أ رؤس ابنك
علياً على كره من قومك ؟ قال بلى : قال فبدلت ذلك إجماعاً على
الفتنة.

قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه وأنا
لذلك شاكر ، وقد كان منى أيام أسد ما قد علمت فليستأن ويتثبت
فلست أحب الفتنة (١)

وعندما وقفت الأزد على اعتقال زعيمهم تمالئوا فيما بينهم
على إخراجهم سرّاً من سجنه ليقولوا به ثورةً على المضريّة التى
اعلى نصر كعبها على الأزد واليمنية (٢) فلما نجحوا فى تحقيق
مأربهم وأخرجوا الكرمانى من سجنه كادت تحدث معركة داخلية بين
القبائل بسبب ما كان بين نصر والكرمانى فإن العصبية القبلية بلغت
بهما مدى بعيداً فى العداوة إلى حد أن نصرّاً تخلى عن حلمه وحكمته
فى سياسته فى مثل هذه الأوقات الحرجة، فخطب الناس بعد هروب
الكرمانى من سجنه خطبةً أدت إلى اتساع الهوة بينه وبين الأزد أكثر
من ذى قبل بل جعلت غيرهم ينضمون إليهم فقال عن الكرمانى : ولد
بكرمان وكان كرمانيا ثم سقط إلى هراة فكان هروياً ، والساقط بين
الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع ثابت ثم ذكر الأزد فقال : إن
يستوثقوا فأذل قوم ، وإن يابوا فهم كما قال الأخطل:-

(١) النويرى : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٤٩٨.

(٢) اليعقوبى : تاريخه ج ٢ ص ٣٣٣.

ضَفَادِعٍ فِي ظُلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

ثم ندم على ما فرط منه ، فقال أذكروا الله ، فإن ذكر الله شفاء
ذكر الله خير لا شر فيه يذهب الذنب وذكر الله براءة من النفاق .

ولقد أثمرت السفارات بين الرجلين فجنب خراسان حرباً فعلية
في ذلك الوقت الذي عرض فيه نصر أمر الكرمانى على كبار رجال
خراسان فإنه رأى أن الأجدى له ولولايته نفى الكرمانى عن خراسان
بيد أن هذا رأى لم يلق قبولاً لدى صاحب شرطة نصر "سلم بن
الأحوز الذى قال لأميره إن أخرجه نوهت باسمه وذكره وقال الناس
: أخرجه لأنه هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوفه منه إذا خرج أيسر
مما أتخوفه وهو مقيم ، والرجل إذا نفى عن بلده صغر أمره فأبوا
عليه فكف عنه وأعطى من كان معه عشرة عشرة وأتى الكرمانى
نصراً فدخل سرادقه فآمنه ^(١)

كان هذا الأمان على غرار سوابقه فقد نقضه الكرمانى حين
غضب على نصر بن سيار لما خطب فى الخراسانيين ونال من
منصور بن جمهور المعزول عن العراق وأطرى واليه الجديد عبد
الله بن عمر بن عبد العزيز فاعتزل الكرمانى نصراً وسارت الرسل
للإصلاح بين الرجلين من جديد فمما قاله عقيل بن معقل الليثى
لنصر أيها الأمير أنشدك الله أن تشأم عشيرتك إن مروان بالشام
تقاتله الخوارج والناس فى فتنة والأرد سفهاء وهم جيرانك قال فما
اصنع إن عملت أمراً يصلح الناس فدونك ، فقد عزم أنه لا يثق بى .

^(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

النويرى : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .

فاتى عقيل الكرمانى فقال أبا على قد سننت سنة تطلب بعدك من
الأمراء إني أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكرمانى إن
نصراً يريد أن آتبه ولا آمنه ونريد أن يعتزل ونعتزل ونختار رجلاً من
بكر بن وائل ، نرضاه جميعاً فيلى أمرنا جميعاً حتى يأتى أمر من
الخليقة وهو يأتى هذا فقال : يا أبا على ، إني أخاف أن يهلك أهل
هذا الثغر فأت أميرك وقل ما شئت تجب إليه ولا تطمع سفهاء قومك
فيما دخلوا فيه ، فقال الكرمانى إني لا اتهمك فى نصيحة ولا عقل
ولكنى لا أتق بنصر ، فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص .
قال : فهل لك فى أمر يجمع الأمر بينكما ؟ نتزوج إليه ويتزوج إليك
قال لا أمانة على حال قال ما بعد هذا خير ، وإني خائف أن تهلك غداً
بمضيعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عقيل : أعود إليك
؟ قال لا ، ولكن أبلغه عنى وقل له : لا آمن أن يهلك قوم على غير
ما تريد ، منا مالا بقيه بعده ، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ،
ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها ^(١) وكان
الحارث بن سريج قد أوى هذا الوقت إلى الكرمانى ليكون بداً واحدة
على نصر ابن سيار الذى أيقن أن حسن السياسة والكياسة يقرضان
عليه الاستمرار فى بذل المحاولات مع الكرمانى حتى يتألفه ويباعد
بينه وبين التحالف مع الحارث بن سريج فأرسل نصر إلى الكرمانى
ليأتيه فلما جاءه كلمه فى التقارب بينهما حتى يحقنا دماء المسلمين
بخراسان وبينما هما كذلك شجر خلاف بين أتباعهما فحسب الكرمانى
أن هذه مكيدة من "نصر بن سيار" أراد منها إلقاء القبض عليه فترك
مجلس نصر فلما علم الحارث بن سريج ذلك اهتبلها فرصة فأرسل

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

إلى نصر يقول: له : (إنا لا نرضى بك إماماً ، فأرسل إليه نصر :
كيف يكون لك عقل وقد أفنيت عمرك في أرض الشبرك ، وغزوت
المسلمين بالمشركين : أتراني أتضرع إليك أكثر مما تضرعت !)^(١)
أصبحت خراسان بعد الذي كان من أمر الكرمانى والحارث بن سريج
ميدان حرب تقارعت فيه سيوف المسلمين في صراع لم يستفد منه
إلا دعاه العباسيين وغيرهم من الخارجين على الدولة الأموية فلما
وقعت الحرب بين نصر من جهة والكرمانى والحارث بن سريج من
جهة أخرى كادت تنتهى بإحراز نصر انتصاراً حاسماً في هذه المعركة
لولا أن بعض الموالين للكرمانى أشاعوا في الناس أن ابن سيار قد
قتل فانفضت المضربة عن نصر ومن معه فلم يجد مناصاً من هروبه
عن مرو فتركها ليدخلها الكرمانى الذى خطب الناس فأمنهم بعد ما
هدم الدور ونهب الأموال ولاسيما من كان منهم خرج مع نصر من
أهل خراسان ^(٢) فأنكر الحارث عليه ذلك فهم الكرمانى به ثم تركه^(٣).
لما رأى الحارث بن سريج أن الكرمانى أنشأ يميل عن المبادئ
التي دعا الحارث الناس إليها أراد أن يفعل به مثلاً فعلاً قبلاً بنصر
ابن سيار فأرسل الحارث إلى الكرمانى يدعوه إلى الكتاب والسنة
ونشر العدل وتطبيق الشورى فلم يقبل الكرمانى منه ذلك فدخل مع
الحارث في معركة انتهت بقتل ابن سريج ، وهكذا يصفو الجو بمرور
للكرمانى ^(٤) ولقد قال نصر بن سيار " حين علم بمقتل الحارث ابن

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٤٥ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٨٣ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ .

سريع أبياتا أظهر فيها المقتول بأنه جلب الذل والفرقة إلى خراسان
وأشعل فيها نيران العصبية القبلية فلم تجن البلاد من إقامته على -
أرضها إلا البوار والخسران :-

يا مدخل الذل على قومه	بعداً وسحقاً لك من هالك
شؤمك أردى مضراً كلها	وغض من قومك بالهالك
ما كانت الأزد وأشياؤها	تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بنى سعد إذا أجموا	كل طمر لونه حالك ^(١)

لم يكن من المعقول أو المقبول أن يترك نصر بن سيار^١
الكرماني نعم بإقامته في مرو دون أن يجرد الحملة تلو الأخرى عليه
حتى يستطيع نصر العودة إلى حاضرة مصره من جديد غير أن ابن
سيار وهو يبذل هذه المحاولات لاسترداد قصبه خراسان من
الكرماني وجد أن عقبة كؤود تحول بينه وبين بلوغ مأربه ممثلة في
أبي مسلم الخراساني^(٢) الذي أخذ دوره في الحياة السياسية بين
الخراسانيين يتعاطم يوماً بعد آخر ليجني في نهاية الأمر ثمرة
الصراع الداخلي بين نصر ومناوئيه بخراسان.

= ابن الأثير : الكامل — ٥ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ / شاعر التاريخ الإسلامي
— ٤ ص ٣٠١ .

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٨٤ .

الطبري : تاريخ الرسل والملوك — ٧ ص ٣٤٢ .

ابن الأثير : الكامل — ٥ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٢) النويري : نهاية الأرب — ٢١ ص ٥٢٩ .

ومن ثم فإنه يحسن بى الاماع إلى هذه الشخصية التى كان وجودها بخراسان إيذاناً بانتهاء الدولة الأموية كى يستطيع القارئ تصور مدى الأهوال والعقبات التى ألمت بنصر وهو بخراسان يدافع عن حكم تهرأت أوصاله.

٦- بين نصر وأبى مسلم

"ظهر عبد الرحمن بن مسلم" وقيل "عثمان الخراسانى" القائم بالدعوة العباسية على مسرح الأحداث بخراسان حين تلقفه نقباء العباسيين المقيمين بالكوفة فراقهم رجاحة عقله فأعلموا به إبراهيم الإمام الذى قال للنقباء دعوته عن أبى مسلم حين طالبوه أن، يرسل من عنده رجلاً يتولى أمر الدعوة بخراسان إنسى قد جريت هذا الأصبهانى وعرفت ظاهرة وباطنه فوجدته حجر الأرض فأدنى أبا مسلم إليه وكلفه بقيادة الدعوة فى هذه البلاد ^(١) النائية عن حاضره الخلافة الأموية.

كان أبو مسلم عند حسن ظن إمامه فيه فأحسن إختيار المكان الذى يدير منه أمر الدعوة فنزل بقرية بالين وهى بعيدة عن أنظار نصر بن سيار فلما أخذ أبو مسلم يبيت دعوته بخراسان راحت أخباره تتراعى إلى الكرماني والشيباني ونصر فأما الأولان فقد أظهرهما عدم مبالاة بأمر الرجل ولا أشياعه إذ هو يدعو إلى خلق "مروان بن محمد"

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ج ٢ ص ١٣٧

ابن الوردي : تاريخه ج ١ ص ١٧٩ .

ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ١٩

وهذا ما يوده الكرمانى ليصفى به حساباته مع الخليفة الذى حرمه
وبنيه الولاية والشيبانى لأن من مذهبه التصدى للخلفاء الأمويين
وجعل الخلافة شائعةً فى المسلمين دون توريثها بين أفراد فرع بعينه
وأما نصر بن سيار فإنه أدرك عظم الخطر الذى يمثله أبو مسلم فبادر
من فوره إلى مخاطبة الشيبانى وكان من بين من ناوأوه بخراسان
قائلاً له: إن شئت فكف عنى حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعنى على
حربه حتى أقتله أو أنفيه فهم شيبان أن يفعل لولا أن أبا مسلم حين
علم بتحركات ابن سيار أزكى عيونه هنا وهناك بقصد السعى إلى
إجهاض الخطة التى أعتها نصر لمواجهة أبى مسلم^(١) وهى ما تزال
فى مهدها فكان أبو مسلم يبعث رسله إلى شيبان بكتب يعده فيها
النصرة ويأمره أن يجعل طريقه عبر مضر كى تقف على ما فى كتاب
أبى مسلم إلى شيبان حتى يزيد الهوة بين اليمنية والمضرية فإن
كتاب أبى مسلم فيه : رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا
تثقن بهم ولا تظمن إليهم فإنى أرجو أن يريك الله ما تحب ولئن
بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً ويرسل رسولاً آخر فى طريق ثانٍ
بكتاب فيه ذكر المضرية وإطراء اليمن بمثل ذلك حتى صار هوى
الفريقين جميعاً معه^(٢).

ومن ثم أبى الشيبانى إلا مناهضة ابن سيار بالرغم مما
عرضه عليه نصر من خيارات لو تدبرها لوجد أنها تقيـه وحليفه

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٢، ٣٦٤

ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٣٦٧

للخضرى: الدولة العباسية ص ٣١

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٩

الكرمانى من خطر هذا الخراسانى الذى جاء من مكة حاملاً المعاول لهدم كل صرح يقف فى سبيل إنجاز مهمته بغض النظر عن هويته ، ولم يكتف أبو مسلم بذلك بل إتصل بالكرمانى الذى رأى القارىء مراحل صراعه مع نصر فوعده النصره^(١) فلما علم نصر بذلك بعث إلى الكرمانى يقول له: ادخل إلى مرو واكتب بيننا كتاباً^(٢) بالصلح وهو يريد أن يفرق بينهما غير أن شيئاً من ذلك لم يتم بسبب الوشاة^(٣) الذين أوغروا صدور كلا الفريقين على بعضهما فدارت معركة بين اتباعهما فلما رآها أبو مسلم أنهكت قواتهما كتب إليهما يقول : إن الإمام قد أوصانى بكما ولست أعدو رأيه فيكما وكتب إلى الكور باظهار الأمر فكان أول من لبس السواد (شعار العباسيين) "أسيد بن عبد الله بنما ونادى: يا محمد يا منصور وسود معه مقاتل ابن حكيم" وابن غزوان ، وسود أهل أبيورد وأهل مرو الروذ وقرى مرو^(٤) والذى شجع أبا مسلم على المضى قدما فى ذلك أن المعركة أسفرت عن قتل نصر للكرمانى وصلبه على ميدان مرو^(٥)

استثمر أبو مسلم نتيجة هذه المعركة لصالحه فجعل من بنى جديع بن على المعروف بالكرمانى وسيلة يقصم بها عرى التحالف الذى كان شيبان على وشك إتمامه مع نصر ليواجهها سوياً أبا مسلم

(١) ابن أعم: الفتوح ج ٨ ص ١٦٠

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٧٠

(٣) عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى

ص ٥٢٥

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٩

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٣٨٨ اليعقوبى: تاريخه ج ٢ ص ٣٤٠، الإمامه

والسياسة المنسوب لابن قتبية ج ٢ ص ١٣٩ ، النويرى: نهاية الأرب ج ٢١ ص ٥٢٩ ، ابن حبيب المحبر ص ٤٨٤

فقال لعلى بن الكرماني (إنك موتور قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبيان وإنما تقاتل لثأرك ، فامنع شيبيان من صلح نصر ، فدخل ابن الكرماني على شيبيان ، فكلمه فثناه عن رأيه فأرسل نصر إلى شيبيان : إنك لمغرور ، وأيم الله ليتفارقن هذا الأمر حتى تستصغرني في جنبه فبينما هم في أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثي، فطرده عنها ، فقدم عيسى على نصر منهزما وغلب النضر على هراة^(١).

والجدير بالذكر أن نصر بن سيار^٢ الذي حمل على كاهله عبء مواجهة الكرماني وبنيه والشيباني ومن معه وأبى مسلم الخراساني لم يكن عنده من القوى العسكرية التي يستطيع بها التصدي لهؤلاء فرادى أو مجتمعين فقد كاتب الخليفة مروان بن محمد كتاباً^٣ أطلععه فيه على أحوال خراسان وما ينتظرها من سوء المال فقال له:-

أرى جَدَعًا^(٢) (١) إن يثن لم يَقُورِيضُ^(٣) عليه، فبإِذْرَ قَبْلَ أن يَتْنَى الجَدَعُ

وكان مروان مشغولاً عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتية وغيرها منهم الضحاك بن قيس الحروري وغيره فلم يجبه^(٤) فلما استبطأ نصر بن سيار^٥ جواب خليفته على كتابه ورأى أن أبا

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٤ و ٣٦٥

(٢) أرى شيئاً صغيراً إن يترك كبير ولم يقدر الإنسان عليه.

(٣) الريض من الدواب التي لم تقبل الرياضة ولم تمهر المشية ولم تذل لراكبها، والريض من الدواب والإبل ضد الذكور ابن منظور: لسان

العرب مادة روض

(٤) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٤٩

مسلم الخراساني يزداد قوة عند كل يوم تشرق شمس عليه وهو
بخراسان معاودة الكتابة إلى الخليفة لعله يظفر من هذه المحاولة
الأخيرة بمدد عسكري يتقوى به وهو يجابه أعداءه الذين حاصروه
من كل مكان فضمن نصر بن سيار كتابه إلى الخليفة قول أبي
مريم^(١)

أرى خلل الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون لها ضرامٌ
فإن النار بالزندين تُورى وإن الحرب أولها كلام
لئن لم يُطفأ عقلاء قوم يكون وقودها جثثٌ وهام
أقول من التعجب ليت شعري أليقاًظ بنى أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهم نياماً فقل قوموا فقد حان القيام^(٢)

ولقد جاء كتاب الخليفة إلى نصر مخيباً لآماله التي علقها
على أمير المؤمنين إذ قال له فيه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب

(١) عبد الله بن إسماعيل البجلي الكوفي وكان الرجل منقطعاً إلى نصر بن
سيار وله مكتب بخراسان .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٩

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٠، ١٤٩ ذكر الطبري في

ج ٣ ص ٣٦٩ ثم الزركلي في الأعلام ج ٨

ص ٢٣ ما يفهم منه أن هذه الأبيات لنصر بن سيار فلم ينسبها إلى

أبي مريم مثل ما فعل ابن خلكان .

فأحسم التَّوَلُّول (١) قَبْلَكَ فلما قرأها نصر قال لأصحابه أما صاحبكم
فقد أعلمكم ألا نصر عنده (٢)

لما استيقن نصر بن سيار من عدم نصره مروان له ولى
وجهه شطر عامل العراق لعله يجد عنده من المدد ما لم يجده عند
أمير المؤمنين فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يقول له:-

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت ألا خير في الكذب
أن خراسان أرض قد رأيتُ بها بيضا لو أفرخ قد حُذِنَتْ بالعَجَب
فراخُ عامنين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سُرِلْنَ بالزَّعْب
فإن يطرن ولم يجتل لهن بها يُلْهِنَ نيرانَ حرب أَيْما لَهَب (٣)

كان موقف يزيد بن عمر بن هبيرة من نصر بن سيار على
غرار موقف مروان فإن والى العراق قال حين وصله كتاب ابن سيار
لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل (٤).

(١) واحدة التَّوَلُّول وهو بمعنى المحكم " يريد من نصر لحكام أمر البلاد
ودرع أبواب الخطر لصالح الدولة
ابن منظور لسان العرب مادة ثَلَّ

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٩

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ج ٢ ص ١٣٨

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٦٩، ٣٧٠

على أدهم: مقالة بمجلة الثقافة عدد ٥٨ ص ١١

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٧٠

مما تقدم يرى القارئ أن نصر بن سيار بلغ به الضعف مبلغه وهو يواجه أبا مسلم الخراساني فقد تخلت عن نصر بن سيار دولته التي يمثلها ويستمد منها سلطانه بخراسان في الوقت الذي استطاع فيه أبو مسلم نشر دعوته بالإقليم وجعل السواد الأعظم من رجالات القبائل العربية المقيمة بخراسان يتخلون عن نصرة ابن سيار بغض النظر عن الأسباب التي كانت وراء موقف كل واحد منهم من عامل الأمويين على خراسان صحيح أن مروان بن محمد وهو الرجل القوي جاءت خلافته في وقت كانت فيه المعارضة لسلطان الأمويين قد انتشرت هنا وهناك كما رأى القارئ إلا أنه ليس في استطاعتي أن أدفع عن الخليفة الأموي مسئولية ما أصاب نصر ابن سيار من ضعف وهو يواجه أبا مسلم بعد الذي عرفه الخليفة الأموي من أمر زعيم الدعوة العباسية بخراسان وأنه يدعو إلى إبراهيم الإمام وهذا كما يرى القارئ يعني أن بني هاشم قد حققوا نجاحا في تنظيم دعوتهم التي أرادوا بها إدالة سلطان الأمويين.

أما عامل الخليفة في العراق فإن موقفه من ابن سيار كان غاية في الخذلان فالرجل يستطيع نصرة ابن سيار لو أراد لكنه اعتقد خطأ أن بقاءه في عمله ومحافظته على قوة رجاله في هذا الوقت الذي بلغت فيه الفلاقل مداها في أقاليم الدولة الأموية سيكفل له المحافظة على سلطانه ، ومن ثم لم يستجب ابن هبيرة في هذا الوقت إلى استغاثة ابن سيار به، جاءت هذه الظروف التي تعيشها خراسان "نصر ابن سيار" إلى مكاتبه أبي مسلم الخراساني ليحكم بينه وبين على بن جديع الكرماني الذي ما فتىء يحشد الحشود حتى يزول الأرض من تحت قدمي نصر بن سيار."

وفعل ابن الكرمانى نظير ذلك مع أبى مسلم فأشخص إليه
الرسل حتى ينقلوا له رغبته فى معاونة أبى مسلم له وهو يواجه
"تصر بن سيار".

إهتبل أبو مسلم الخراسانى هذه الفرصة فكتب إلى ابن سيار وعلى
الكرمانى بالحضور إليه حتى يعرض أمرهما على شيعته ليختاروا أى
الرجلين فينصروه على صاحبه وأوعز أبو مسلم إلى شيعته أن يميلوا
عن ابن سيار ويفضلوا عليه عليا ابن الكرمانى^(١) فلما اجتمعا إلى
أبى مسلم فى ملا من شيعته فعلوا ما أراده منهم أبو مسلم فخرج
"تصر بن سيار" وهو مزعم الاستمرار فى مواجهة اعدائه بما لديه
من امكانيات فى خراسان فتصدى إلى علي ابن الكرمانى الذى أراد
منازلة ابن سيار حتى ينال ثأر أبيه منه فجابه نصرأ بجموع كثيرة
ظاهاها أبو مسلم بالعدد والعتاد فحاضوا معركة ضد ابن سيار
أسفرت عن غروب شمس ولايته عن خراسان فقد خرج من دار
الإمارة ودخل أبو مسلم الخراسانى مرو لتسع خلون من جمادى
الأولى سنة ثلاثين ومائة وهو يتلو قول الله تعالى:- "ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه"^(٢) فأتاه على بن جديع الكرمانى فسلم عليه بالأمره

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص٣٧٧، ٣٧٨.

ابن الأثير : الكامل ج٥ ص٣٧٨

ابن الجوزى : المنتظم ج٤ ص٣٩٩

النويرى : نهاية الأرب ج٢٢ ص٢٢، ٢٢٠

الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ص٣١

(٢) سورة القصص آية ١٥

وأعلمه أنه معه على مساعدته وقال مرني بأمرك فقال: أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى^(١).

أنشأ أبو مسلم الخراساني بعد دخوله مرو يعمل على التخلص من وجهاء خراسان الذين قد يشكلون خطراً عليه وعلى دعوته لما لهم من مكانة في قبائلهم أو بحكم سلطانهم الذي ما يزالون يمثلونه من الناحية الشرعية دون العملية مثل ابن سيار فإن هروبه من مرو أن جعل أبو مسلم صاحب السلطان الفعلي إلا أن ابن سيار ما يزال من الناحية الشرعية والياً للخلافة الأموية على هذا الإقليم فرأى أبو مسلم ضرورة التخلص من ابني الكرمانى وملاحقة نصر بن سيار حتى يتأكد من نجاح الدعوة العباسية في خراسان ومنها إلى سائر أرجاء الدولة الإسلامية فدبر أبو مسلم الخراساني مؤامرة لعثمان وعلى ابني الكرمانى ففرق بينهما بأن أشخص عثمان ابن الكرمانى عاملاً له على بلخ واستبقى علياً إلى جواره فلما قدم عثمان بلخاً التقت به المضربة قوم نصر بن سيار في معركة انجلت عن هزيمته فلما قدم أبو مسلم نيسابور قرر التخلص من ابني الكرمانى فأمر أبا داود خالد بن إبراهيم وهو من نقباء الدعوة العباسية الاثنى عشرو^(٢) بمقتل عثمان بن الكرمانى فاغتالة أبو داود وهو في الطريق إلى الختل التي كان عهد بها أبو مسلم إليه في حين قتل أبو مسلم ففى ذلك

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٧١، ٣٧٨، ٣٧٩.

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٠

ابن خلدون: تاريخه ج ٣ ص ٢٠٩

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٩٣.

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٧٤٠.

اليوم علياً ابن الكرمانى^(١)

وهكذا ترى أبا مسلم ينجح فى التخلص من عقبة كؤود كانت لا مراء ستقف فى سبيل تحقيق الإستقرار له فى خراسان وهو لا يبالي بما قدمه له الكرمانى ثم بنوه من تسهيلات كانت السبب فى ترسيخ أقدامه على أرض خراسان وعلو مكانته بين أهلها وهو بذلك يجعل سلوك كل وسيلة توصله لغايته منهجاً له فى علاقاته بالمحيطين به .

ولقد رأى القارئ الكريم غير مرة نصراً يحذر الكرمانى ثم الشيبانى وغيرهما من أبى مسلم الخراسانى الذى كان يقف لابين سيار بالمرصاد كى لا ينجح فى إبرام تحالف مع أحدهما أو كليهما فأضعف أبو مسلم الوالى حين دخل فى صراع مع الرجلين ليجتنى وحده ثمرة هذه الصراعات بعد ما قتل نصر الكرمانى واستمالة أبى مسلم ولديه اللذين حسبا أن هروب نصر من مرو وتدخل أبى مسلم إليها سيجعلهما من ذوى السلطان ، ومن ثم يكونان بمثابة إمتداد لأبيهما فى خراسان فإذا بـسيوف أبى مسلم الخراسانى تغيبهما عن الحياة التى حتى ينفرد بالسلطة التى لا يحب صاحبها مزاحمة أحد مهما كانت الظروف والأسباب.

فإذا ما ولى القارئ وجهه شطر الشيبانى الذى كان ناوياً نصراً بالأمس يجده قد ولى خراسان دبره بعد ما رأى علياً ابن الكرمانى يرتقى فى أحضان أبى مسلم الخراسانى ناقضاً التحالف المبرم بينهما ضد نصر بن سيار حتى يزيله عن السلطان ويجعل الأمر شورى فى أهلها.

أرسل أبو مسلم إلى الشيباني يدعوهُ إلى طاعته فأبى ، ومن ثمَّ أرسل أبو مسلم جيشاً لمناهضته فتمكنوا من قتله^(١)

وأما نصر بن سيار ثالث الرجال في خراسان فإنَّ أبا مسلم حين صفت له مرو أرسل إلى نصر لاهز بن قريظ بكتاب يطلب فيه أبو مسلم من نصر مبايعته على كتاب الله وسنة رسوله والدعوة للرضا من آل محمد .

فلما وجد نصر بن سيار أنه لا طاقة له بأبى مسلم ورجاله أظهر لرسوله إستعداده للقدوم عليه ومبايعته بعد أن يعد نفسه للقائه واستمهل نصر ليلةً فقبل ثم جاء لاهز بن قريظ نصراً بأمر من أبى مسلم يطلب منه الوفاء بما كان وعد به من قدومه على الخراساني ومبايعته فاستمهل نصر بن سيار رسول أبى مسلم ريثماً يتوضأ للصلاة فبينما هو كذلك إذا بابن قريظ يسمع نصراً قول الله تعالى: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إتيك من الناصحين)^(٢) فدخل نصر منزله وأعلم ابن قريظ ومن معه أنه ينتظر عود رسوله من عند أبى مسلم ، وأقام حتى جنة الليل فخرج من خلف حجرته ومعه تميم^٤ ابنه والحكم بن نميلة النميري وإمرأته المرزبانة^(٣) ،

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٤ ص ٧٤٠

(٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) كلمة فارسية مؤلفة من لفظين هما مرز بمعنى حد وحدود دولة وبان بمعنى رئيس وحاكم ، وإذا ألحقنا بإسم تعنى حارس أو حامى وأصلها البهلوي مرزبان فيكون إطلاقها فيما يعتقد والحالة هذه على زوجة الوالى أو القائد يشبه إلى حد كبير ما نراه فى عصرنا من إطلاق لقب السيدة الأولى على أزواج رؤساء الدول. ابن منظور: لسان العرب مادة مرزبان / حفي الباشا: الفنون الإعلامية والوظائف ج ٣ ص ١٠٧٧

وانطلقوا هرباً ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد
هرب فلما بلغ أيا مسلم هربه سار إلى عسكر نصر وأخذ ثقات
أصحابه وصناديدهم فكتفهم ، وفيهم سلم بن أحوز صاحب شرطة
نصر والبختري كاتبه وابنان له وآخرين بلغوا أربعة وعشرين رجلاً
من صفوة أتباع ابن سيار فأوسعهم وثاقاً وسار أبو مسلم في رجال
معه يريدون اللحاق بنصر فلم يظفروا إلا بامرأته المزربانة^(١) أم بلج
بنت قديد بن منيع المنقري التي خلف أبو مسلم نصراً عليها فظلمت
معه حتى توفي عنها فتزوجت بعده عبد الجبار بن عبد الرحمن
الأزدى الذي تولى خراسان بعد ذلك^(٢) ونجح نصر بن سيار في
الوصول إلى سرخس^(٣) ومعه ثلاثة آلاف رجل من أشياعه فلما وقف
أبو مسلم على السبيل الذي جعل نصر بن سيار يلوذ بالفرار أدنى
لاhez بن قريط إليه فقال له تدغل في الدين وقتله^(٤).

ومضى أبو مسلم في ملاحقته لنصر فسير إليه قحطبة بن
شبيب^(٥) فالتقى بجيش ابن سيار وعليه ولده تميم بن نصر في معركة
انتهت بهزيمة قوات ابن سيار وقتل ولده ومعه نحو من سبعة عشر

(١) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٣٩٠

ابن الجوزي: المنتظم ج ٤ ص ٧٣٩، ٧٤٠ ، ابن الوردي: تاريخه
ج ١ ص ١٨٠
النويري: نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٢٤٠.

(٢) ابن حبيب المبرج ص ٤٥٠

(٣) يفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة وآخره سين مهملة ، مدينة
قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهى بين نيسابور ومرو يفصلها
عن كليهما مت مرأجل.

ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧

(٤) النويري نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٢٤٠

ألفاً وغنم ابن قحطبة وجيشه أموالاً عظيمة^(١). فلما بلغ نصر بن
سيار ما حل بولده وجيشه هرب إلى قومن وتفرق عنه أصحابه
فسار إلى نباته بن حنظلة^(٢) بجرجان^(٣)

أحسن نباته بن حنظلة استقبال نصر وراح كلا الرجلين
يعملان على حشد الطاقات للدفاع عن البقية الباقية من أملاك الدولة
الأموية بخراسان فحفر خندقين عند الجوزجان وجورجان.

فلما رأى الخراسانيون المنضمون إلى ابن قحطبة العدد
والعتاد اللذين حشدهما نصر بن سيار و ابن حنظلة دب الرعب فسى
افندتهم فأدرك القائد العباسي أن الجند إن قاتلوا على غير معنويات
مرتفعة لحقت بهم الهزيمة فأنشأ ابن قحطبة يعبى جنده معنوياً فقام
فيهم خطيباً وقال :-

(إن الإمام وعدكم النصر عليهم وقد عهد إلى أنكم تلقونهم
فينصركم الله عليهم)^(٤)

(١) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٣٩٠، ٣٩١

ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٥

(٢) هو من بنى بكر بن كلاب وكان فارس أهل الشام وكان على المنجنيق
يوم الكعبة وولى حرجان والرى لمروان فقتله قحطبة بها وقتل معه ابنه
حيه بن نباته وكان له ابن يقال له محمد قتله يزيد بن عمر بن هبيرة
صبراً فى ذى الحجة سنة ثلاثين ومائة ابن قتيبة: المعارف ص ٣٧٠ ،
٤١٨

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٤ ص ٧٤٠، ٧٤١

النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٢٧

(٤) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٢٨

فلما التقت الفتتان العباسية بقيادة ابن قحطبة والأموية بقيادة نباته وابنى سيار مشى النصر فى ركاب الفئة الأولى فقتل العباسيون عشرة آلاف من الشاميين ودخلوا جرجان التى لم يستطيعوا السيطرة عليها إلا بعد ترويع أهلها بقتلهم ثلاثين ألفا من ساكنيها^(١)

وبهذه النتيجة إزداد موقف نصر سوءاً على سوء فسار إلى حوار^(٢) فلم يجد أمامه إلا الكتابة إلى خليفته مروان بن محمد ثم إلى أمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة الذى حبس رسول نصر بن سيار إلى مروان وقد كان يحمل الأموال والأمتعة إلى ابن هبيرة التى حازها نصر بن سيار من جيوش الدعوة العباسية حين خاض معها آخر معاركه على مقربة من الرى. على الرغم من قلة رجاله فلما وقف نصر بن سيار على ما فعله ابن هبيرة مع رسوله قال : أبى يتلعب ابن هبيرة أيشغب على بضغابيس قيس أما والله لأدعنه فليعرفن أنه ليس بشيء ولا ابنه الذى تربص له الأشياء^(٣).

فلما علم مروان بحرج موقف "نصر بن سيار" أمر يزيد بن هبيرة بإرسال المدد إليه فأشخص والى العراق جيشاً من ثلاثة آلاف رجل عليهم ابن عطيف غير أنه لم يغن عن نصر بن سيار فتبلا فالقائد أخذ يتكأ فى الوصول إليه لنجدته فمكث طويلاً فى الرى^(٤)

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ ٤ ص ٧٤١

النويرى نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ٢٧ ، ٢٨

(٢) بضم أوله وآخره راء مدينة كبيرة من أعمال الرى يفصلها عنها نحو من عشرين فرسخاً

ياقوت: معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٠٣

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٣٩٦

ابن الجوزى: المنتظم جـ ٤ ص ٧٤٢ =

ولعل السبب الذي جعل ابن هبيرة وقائده يقفان هذا الموقف من نصرين سيار راجع إلى أن ابن هبيرة لم يرد لقائده وجيشه الدخول في مواجهة حربية مع جيوش الدعوة العباسية تلافياً لهزيمة قد تلحقهم فتريد من حرج موقفهم في بلاد العراق

وعلى كل حال فإنه لم يقدر لنصر بن سيار خوض غمار معركة حربية ضد جيوش أبي مسلم الخراساني بعد ما جاءه مدد والى العراق حيث وافاه أجله المحتوم وهو بالرى إثر مرض ألم به فمات بساوة لإثنتى عشرة ليلة مضت من شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة عن عمر بلغ خمسا وثمانين سنة^(١).

هتبل قحطبة وفاة نصر بن سيار فأوغل في ملاحقة أتباعه فضرب حصارا على نهاوند^(٢) أربعة أشهر نال فيه ساكنوها من الضيق ما نالهم إلى حد أنهم أكلوا أوراق الأشجار الأمر الذي ألجأ مالك بن أدهم إلى طلب مصالحة قحطبة الذي ما إن دخلها حتى أعمل السيف في أتباع" نصر بن سيار" على زعم أنهم غير داخلين في

حاله عمال نصر وأتباعه بعد وفاته

=التويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ٢٩

عبد القادر البغدادي: خزنة الأدب جـ ٢ ص ٢٢٣

(١) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٣٩٦

الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤

ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٧ ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٥٠

عبد القادر البغدادي: خزنة الأدب جـ ٢ ص ٢٢٣

(٢) بفتح اللون الأولى وتكسر والواو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة ، وهي مدينة عظيمة في قبلة همدان بينهما ثلاثة أيام - ياقوت: معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٠٩

الصلح الذى أبرمه مع مالك وأوقف على مداخل المصر من تلقف كل خراسانى نابه كان شايح نصرأ فضرِب أعناقهم ليس هذا فحسب بل إنه قُتل رَعوس بنى نصر بن سيار الذين كانوا فى نـهاوند زمن الحصار^(١).

ولما قامت الدولة العباسية وحان الوقت الذى جلس فيه أبـو جعفر المنصور على أريكة خلافتها لم ينس ولى عهده عيسى ابن موسى ما كان لنصر بن سيار من مواقف كافح فيها ضد دعاة هذه الدولة فأنشأ يتلمس أخبار عمال نصر وبنيه الذين تواروا عن الأنظار بعد وفاته حتى ظفر عيسى بن موسى بواحد من ولد نصر بن سيار فقتله بالكوفة فلما بلغ ذلك الأمر^{*} أبـا جعفر المنصور أنكره وأعظمه فكتب إليه:

أما بعد فإنه لولا نظر أمير المؤمنين وإستبقاؤه لم يؤخرِك عقوبة قتل^{*} ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال فى مثله، فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربى وأعجمى ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدن على أمير المؤمنين بامضاء عقوبة فى أحد قبله تباعة فإنه لا يرى أن يأخذ الله أحدا بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولا يحدث كان منه فى حرب أعقبه الله منها سلماً ستر به عن ذى غلة وحجز به عن محنة ما فى الصدور وليس بياس أمير

المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر كما أنه لا يأمن إقبال مقبل إن شاء الله والسلام^(١).

فأنت ترى أبا جعفر المنصور يعطى ولى عهده درساً فى السياسة التى ينبغى للإمام أن يسوس بها أمته فلا يظل ملاحقاً لعقب من غلبه ما دام لم يبدر منهم شىء من عداوة وبغضاء للنظام العباسى الجديد وذلك هو العدل الذى يحفظ للجبهة الداخلية أمنها ويجعل الخليفة يصرف جل همه إلى النهوض بالأعباء الأخرى التى ألغاهما المنصب على كاهله.

ولقد جنى من تواطأ من عمال نصر بن سيار مع العباسيين من بنى هاشم ودعاتهم ثمار تواطئهم بعد غروب شمس نصر وشروق شمس العباسيين الذين غرسوا فى أفئدة المسلمين أنهم ما خرجوا على الأمويين إلا لنيل وتر العلويين ، ومن ثم فإن أبا مسلم الخراسانى لما استقامت الأمور لخليفته السفاح أنشأ يلاحق من حاربوا يحيى بن زيد بخراسان حتى يقتلهم به^(٢) إن وجدهم أو يستصفى أموالهم إذا ما نجوا من بين يديه فلاذ من بقى منهم بخراسان إلى بلاد تميمه أو بأماكن تواريه عن أعين أبى مسلم بخلاف داود بن طهمان الذى كان واخوته كتاباً^(٣) لنصر بن سيار^(٤) لأنه كان حين ظهر يحيى بن زيد يطلع^٦ بدور الجاسوس على نصر

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٦٢، ٦٣

(٢) المسعودى: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٢

ابن حبيب: المحبر ص ٨٤

(٣) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٥٥

ابن سيار" فكان ينقل إلى يحيى وأصحابه ما يسمع من نصر ، فأتى داود بن ظهman ابا مسلم مطمئنا لما كان يعلم مما جرى بينه وبينه ، فآمنه أبو مسلم ولم يعرض له فى نفسه ، وأخذ أمواله التى استفاد أيام نصر ، وترك منزله وضيعة التى كانت له ميراثا بمرور^(١)

خاتمة المطاف

وهكذا رأى القارئ "تصيرين سيار" ظهر فى زمن سادته الفتن والاضطرابات فكان مثله كمثّل من يعوم فى وجه التيار فيصادف عقبات لا قبل له بها ، وفى يقينى أن الأمر لو اطرّد على نهجه أيام عبد الملك بن مروان والوليد وعمر بن عبد العزيز ، لكان لامثال نصر جهد أكبر وثمرا أنضج والشاعر يقول :

أتى الزمان بنوه فى شببيته فسرهم وأتيناها على الهرم^(٢)

نعم لم يأت نصر فى زمن الشبيبة بل جاء فى زمن الهرم حين قامت الفتن بين الخوارج والاموية وبين القيسية واليمينية وبين العلوية والمروانية ناهيك عن وجود تلك الفتن والخلافات بين أفراد الأسرة الأموية الحاكمة وكلها فتن تزحزح الجبال الرواس وتهدم ما اجتمع من كلمة الأمة الإسلامية.

فى هذا الجو الكريه كان ظهور "نصر بن سيار" وكان لابد أن يجد العوائق المانعة من النشاط ، فبدل أن يمتد به الأمل إلى أرض جديدة يضمها إلى الإسلام أصبح كرجال أهل جيله منتميا إلى الأموية يدافع عنها وله خصوم كبار

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ، ص ١٥٤ ، ص ١٥٥

(١) هذا البيت للمتنبى من قصيدة مطلعها :-

ختاما نحن نسارى النجمة فى الظلم وما ثراه على خف ولا قيم

أمثال أسد بن عبد الله والكرماني والحاتر بن سريج وأبى مسلم
فلقى من هؤلاء شراً مستطيراً مما عجل بنهاية ولايته فى خراسان.

ويمكن للمرء إلتماس الأسباب التى جعلت الإخفاق يمشى فى
ركاب نصر بن سيار وهو يحاول السيطرة على الفتن الداخلية فى
مصره وهى كما أرى تتلخص فيما يلى:-

(١) التنافس المحموم الذى كان بينه وبين تربيته جديع
ابن على الكرماني فإن هذا الأمر جعل نصراً ينفق كثيراً من وقته من
أجل السيطرة عليه ، ولا مراعاة فى أن ذلك قد كان على حساب أمور
أخرى كان بالإمكان لنصر بن سيار أن ينهض بها حتى يجعل إقليمه
يحيا حياةً مزدهرةً تجعله بمنأى عن الصراعات الداخلية التى لم يجن
منها الخراسانيون إلا البوار.

(٢) إن نصر بن سيار لما استوى على كرسى الولاية لم
يمكث طويلاً وهو يدبر أمر إقليمه حتى توفى هشام بن عبد الملك
فجاء من بعده خلف كانوا على النقيض منه فشغلهم التنافس الأسرى
عن العناية بأمور الكثير من أقاليم الدولة الإسلامية ومنها خراسان.
ليس هذا فحسب بل إن بعضهم عكف على الملاهى والشهوات
ونسبت إليه أقوال وأفعال تجعل الناس ينفضون عن الخليفة الأموى
إذ ذاك.

ومن هؤلاء الوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، فزالت هيبة
السلطان فى أعين الثائرين الذين لم يجدوا مقاومةً تذكر وهم ينشرون
مبادئهم فى أرجاء خراسان.

(٣) إن تعصب بعض ولاة الأمويين في خراسان للعرب بسبب أمور تتعلق بأشخاصهم والقبائل التي ينتمون إليها كان هو الآخر بمثابة عقبة كؤود حالت بين نصر بن سيار وبين تألف العجم الذين قطنوا خراسان وأولئك الذين خضعوا لها إدارياً فكلما قام نصر بعمل يدنى منه هؤلاء صدر عن والي العراق صاحب الأمر على خراسان ما ينفر هؤلاء من حكم الأمويين وأميرهم نصر بن سيار^١ مثلما رأيته من يوسف بن عمر حاكم العراق من الكتابة إلى نصر بن سيار فسي تنحية العجم عن وظائفهم في الإدارات المالية وقصرها على العرب فذلك بلا ريب أوغر صدور هؤلاء على عامل الأمويين وعجل بإنضمامهم إلى كل ثائر متى نفسه باهتبال الضعف الذي تمر به الدولة للقيام بثورة لعله يحقق بها مكسباً سياسياً يعود عليه وعلى قبيلته بالنفع .

(٤) تأمر يزيد بن عمر بن هبيرة على نصر بن سيار كان هو الآخر من الأسباب الجوهرية التي مكنت أعداء الدولة الأموية في هذا الإقليم فلقد رأى القارئ الكريم مظل الوالي في إرسال المسدد إلى نصر بن سيار^٢ حتى يستطيع به التصدي لأبي مسلم الخراساني وأبناء الكرمانى في وقت تمكن فيه ابن سيار من إحراز الإنتصارات على الجند الخراسانية الذين إلتقوه ورجاله على مقرية من الرى فلم يهتم بالغانم التي أرسلها ابن سيار إليه فأظهر وقائده أنهما يريدان إستنقاذ نصر ورجاله في حين أن واقع أمرهما كان على النقيض من ذلك فمات نصر وهو ينتظر المدد المرتجى دون أن يأتيه. تاركاً للتاريخ الحكم له أو عليه خلال مدة إقامته بخراسان سواء تلك التي كان فيها عاملاً لولاتها أو حاكماً لها فالتاريخ قاض يصدر الحكم الفصل فيما

كان من جليل الأحداث والأعمال دون مجاملة لحاكم أو إنحياز
لمحكوم.

"وسبحان من له الدوام والملك والملكوت الذى يغير ولا يتغير"

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا
إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين " .

تم بحمد الله

الأربعاء ٢٩ من رجب ١٤١٩ هـ
١٨ من نوفمبر ١٩٩٨ م
د/ محسن سعد عبد الله
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة
جامعة الأزهر

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم:

ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ

٢- الكامل في التاريخ

ط دار صادر بيروت ١٩٧٩م عدد الأجزاء ١٣ جزء

٣- أسد الغابة

ط/مجددة إشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر ١٩٩٥م عدد الأجزاء ٦.

أحمد : أمين

٤-ظهر الإسلام : دار الفكر العربي / بيروت لبنان ط الخامسة ١٩٦٩م

أحمد : شلبي

٥- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

مطابع سجل العرب ط الأولى ١٩٨٣ الجزء الثامن

أحمد : عطية الله

٦- القاموس الإسلامى نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣م
عدد ٥ أجزاء

الأصفهاني : أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦

٧- مقاتل الطالبين

شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٨- الأغاني

تحقيق على محمد الجاوي. دار العودة - بيروت / دار إحياء التراث
العربي ط ١٩٧٠ الجزء ١٧ فقط

ابن أعثم الكوفي: العلامة أبي محمد ت نحو ٣١٤هـ - ٩٢٦م

٩- الفتوح

ط الأولى ١٩٧٥م عدد الأجزاء ٨

البغدادى: عبد القادر عمر

١٠- خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون

الناشر: مكتبة الخانجي للطبع والنشر (بدون) الجزء الثانى

البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ

١١-فتوح البلدان

نشر وتحقيق : صلاح المنجد. ط/ ١٩٥٦م ، ٣ أقسام فى مجلد واحد

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى ٨١٣ ،
٨٧٤

١٢-النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط الأولى ١٩٩٢م الجزء الأول
ثريا حافظ عرفة:

١٣-الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول

ط الأولى - جدة - المملكة العربية السعودية ١٩٨٢م

الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى ت ٣٣١هـ

١٤-الوزراء والكتاب

القاهرة ١٩٨٠ ط الثانية

ابن الجوزى: جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ

١٥-المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم تحقيق د/ سهيل زكار

ط ١٩٩٥م عدد الأجزاء ١٣ جزء

ابن حبيب أبو جعفر محمد

١٦-المحبر

اعتنى بتصحيحه د / إيلزه ليختن ستيتز

ط / دار الأفاق الجديدة - بيروت (بدون)

حسن الباشا

١٧-الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية

ط ١٩٦٥ ، ١٩٦٦م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

حسين عطوان

١٨-الأمويون والخلافة

دار الجيل ط الأولى ١٩٨٦م

الخضري : محمد بك

١٩-محاضرات في تاريخ الدولة العباسية

تحقيق الشيخ / محمد العثماني

دار القلم بيروت - لبنان

ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

ابن خلدون: عبد الرحمن المغربي ت ٨٠٨هـ

٢٠- تاريخه المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والسير
ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر

إعداد خليل شحادة. دار الفكر ط الثالثة ١٩٩٦م

ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر
٦٠٨-٦٨١

٢١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق : إحسان عباس

دار صادر بيروت. عدد الأجزاء ٨ أجزاء

خليفة بن خياط : ت ٢٤٠هـ

٢٢- تاريخه

تحقيق أكرم ضياء العمرى

دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٥

الذهبي : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ

٢٣- سير أعلام النبلاء تحقيق محب الدين أبى سعيد / ط الأولى
١٩٩٧ عدد الأجزاء ١٧

٢٤- العبر فى خبر من غير

حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عدد الأجزاء ٣ أجزاء ١٠٠

الزركلى : خير الدين

٢٥-الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين
والمستشرقين

دار العلم بيروت - لبنان ط ١٩٧٥م

السيوطى : الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
٩١١هـ

٢٦-تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ط الأولى ١٩٥٢

شاکر: محمود

٢٧-تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر

الجزء الأول قارة آسيا شارك فى تأليفه د/ إسماعيل أحمد ياغى

دار المريخ - الرياض ط ١٩٩٣

٢٨-التاريخ الإسلامى

المكتب الإسلامى - بيروت

ط السابعة ١٩٩١ عدد الأجزاء ٩ أجزاء

الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ

٢٩-تاريخ الرسل والملوك

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ط ٤ دار المعارف عدد الأجزاء ١٠ أجزاء

ابن عبد الحق : صفى الدين عبد المؤمن البغدادى ت ٧٧٩هـ

٣٠-مرصد الإطلاع تحقيق وتعليق : على محمد البجاوى

ط الأولى ١٩٥٥م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

عبد الشافى : محمد عبد اللطيف

٣١-العالم الإسلامى فى العصر الأموى

ط الأولى ١٩٨٤م

العشرى : بكر محمود

٣٢-خراسان بين دعاء العباسيين وولادة الأمويين

مكتبة الأشول للطباعة

ط الأولى ١٩٩٦م

على : أدهم

-مجلة الثقافة عدد ٥٨٠ فى ٦ / ٢ / ١٩٥٠م

أبو العنين فهمى محمد

٣٤- أفغانستان بين الأمس واليوم

دار الكتاب العربى للطباعة

فرع مصر ط ١٩٦٩

ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم ت ٢١٣-٢٧٦هـ

٣٥- المعارف

حققه: د/ ثروت عكاشة. ط الثانية دار المعارف - مصر ١٩٦٩م

٣٦- الشعر والشعراء

تحقيق وشرح محمود شاكر. دار التراث ط ثالثة ١٩٧٧م عدد
الأجزاء ٢ جزء

٣٧- الإمامة والسياسة المنسوب إليه

مؤسسة الوفاء

ابن كثير : أبى الفداء الحافظ ت ٧٧٤هـ

٣٨- البداية والنهاية .

ط جديدة منقحة ١٩٧٨م

دار الفكر بيروت عدد الأجزاء ١٤ جزء

٣٩- بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد

مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٩٨٥م

المتنبى: أحمد بن الحسين

٤٠- ديوان المتنبى شرح الشيخ نصيف اليازجى

دار صادر بيروت (بدون)

المجلد الثانى

ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى سنة ٧١١هـ

٤١- لسان العرب ط دار المعارف .

المسعودى : أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ت ٣٤٦هـ

٤٢- مروج الذهب معادن الجواهر

تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام

ط الأولى ١٩٩٧م عدد الأجزاء ٤ أجزاء

النرخشى : أبى بكر محمد بن جعفر ٢٨٦-٣٤٨هـ

عربه عن الفارسية وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوى / نصر الله
ميشر الطرازى ط الثالثة دار المعارف القاهرة .

التويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٦٧٧ ، ٧٣٣ هـ

٤٤-نهاية الأرب

تحقيق محمد جابر عبد العال / إبراهيم مصطفى

ط ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ

٤٥-تاريخه . دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط الأولى
١٩٩٦م عدد الأجزاء ٢ جزء

ياقوت : الإمام شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومى
ت ٦٢٦هـ

٤٦-معجم البلدان

ط الأولى ١٩٩٧م - ٤ مجلد ٨ أجزاء

يسرى : الجوهرى

٤٧-آسيا الإسلامية . ط ١٩٨٠م دار المعارف

٤٨-جغرافية الشعوب الإسلامية

الناشر منشأة المعارف - اسكندرية. ط ١٩٨١

اليقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت نحو

٢٨٤هـ

٤٩-البلدان

دار إحياء التراث العربى. ط الأولى ١٩٨٨م

٥٠-تاريخه. ط ١٩٩٢م دار صادر بيروت عدد الأجزاء ٢ (بدون)



فهرس الجزء الأول

الموضوع	رقم الصفحة
افتتاحية العدد أ.د/ محمد حسين حماد عميد الكلية	ص ١
الحس القصصى فى شعر ساعدة بن جؤبة د/ عبد الناصر محمد السعيد	ص ٤
العامل والمعنى النحوى أ.د / محمد إبراهيم عبد الرحمن البنا	ص ٧٥
الأديب الكاتب (محمد صادق عنبر) د/ عبد الحميد شعبان	ص ١٠٣
أمثلة المبالغة بين القياس والسماع دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى د/ عادل محمد على الطنطاوى	ص ١٣٥
المماثلة والمخالفة الصوتيتان بين القدماء والمحدثين د/ على سعد عبد الحميد الخولي	ص ٣١٣
أضواء على حياة "نصر بن سيار" د/ محسن سعد عبد الله	ص ٣٦٤
الفهرس	٤٧١



شركة
حكاية للطباعة

كفر الشيخ تقسيم القضاء ٥٥ ٢٧٢٣٦٣/٢٣ ٠٤٧

رقم الإيداع
١٩٩٩/٦٢٠٤

رقم الإيداع
١٩٩٩/٦٢٠٤ هـ

مطبعة
حكاية

كفر الشيخ ٢٣٦٣٢٧/٤٧